

مجلة المجمع العلمي العربي

تموز وآب سنة ١٩٤٦

شعبان ورمضان سنة ١٣٦٥

(١) العلامة الميراجي شيخ الأزهر

لم تنبغ أمة من الرجال في العلم والآداب بقدر ما نبغ من العرب ومن دخل في جملتهم من الأجناس والعناصر . حقيقة اعترف بها من يجردوا من الغرض في درس تاريخنا من الإفراج . بيد ان من كان لهم طابع خاص وأثروا تأثيراً لم يؤثره غيرهم كانوا فلائيل في كل جيل ولا سيما في القرون الأربعة الأخيرة . فلو فرضنا ان من استحقوا ان تدون سيرتهم في هذه الملة لا يقلون عن مئة الف لا يتجاوز النوابع الممتازون منهم المئات ظهوروا خلال عمر هذه الأمة الطويل وخدموا بأبحاثهم وتأليفهم ودروسهم ومواعظهم .

وقد وضع العلامة ريدرا من علماء المشرقيات من الاسبان جزازات في تراجم ثلاثين الف عالم وأديب أخرجتهم الأندلس من رجال العرب في ثمانية قرون . وليسوا كلهم بالطبع من عيار ابن رشد وابن باجة وابن حزم وابن زهر وابن الخطيب وابن خلدون كما ان من ظهوروا في الشرق ليسوا كلهم من طبقة الرازي وابن سينا والفارابي والبيروني وأبي حنيفة والجاحظ والنظام والخليل وابن المقفع وابن تيمية .

(١) ألفت أولاً في ردهة المجمع العلمي العربي .

ظهر في الاسلام ألوف من المحدثين والطبقة المختارة منهم عشرون أو ثلاثون وظهر عشرات الألوف من الفقهاء واهل الطابع الخاص منهم الممتازون بإبداعهم ليسوا كثرة ، وخرج مئات من الحكماء ، والمشهورون منهم لا يعدون العشرات . ان الدساتير يحفظها أكثر من يعانون أعمال العقل والعبرة بما يتم على أيديهم وبما يحملون الى امتهم من جديد يجدي عليهم .

كان العلم في العصور الماضية يصدر عن العواصم الكبرى يهرع اليها ارباب الكفايات لما يجدونه فيها من استعداد لسماع اقوالهم والانتفاع بمواهبهم . وكانت المدن الذاهبة بهذا الفضل باديء بدء البصرة والكوفة والمدينة ودمشق وبغداد والقسطنطين والري وشيراز واصفهان ونيسابور ثم النجف والموصل وحماة وصعدة وفاس والقيروان وتونس (افريقية) والقاهرة . ولما تحيف الخراب معظم هذه العواصم وانحطت في مدينتها بقيت القاهرة وتونس وفاس والنجف تخرج علماء للأمة فعدت لذلك مراكز العلم . وكان الجامع الأزهر اشهرها واعظمها لتوسط مصر بين مدن الاسلام في افريقية وآسيا ولأن اهل الخير من سكانها وقفوا على هذا الجامع من الاحباس ما يضمن الانتفاع به على الدهر ، ولأن مصر كانت في الاسلام دولة برأسها أو شبه دولة ممتعة بحكم ذاتي « والعلم منذ كان محتاج الى العالم » .

وظل الأزهر يخرج رجال الدين منذ اقام صلاح الدين يوسف بن أيوب دولة السنة وقضى في مصر على دولة الشيعة الفاطمية . وكان اصحاب الفضل الواسع المتخرجون في تلك الدار أقل من القليل والمتوسطون كثرة على ما هم في كل زمان ومكان . والمتوسط في العادة ينسى والمبرز هو الذي يفاخر به تاريخ الامة ، ولا تبرح الألسن تردد ذكره ، والصحف تنقل آراءه وأخباره ، والناس يستفيدون من كلامه ما انعقدت للعريية سوق وأقيمت شعائر الاسلام في ارض . ومن نبغ في مصر من المتأخرين شيخ الأزهر العلامة الشيخ محمد مصطفى المراغي . اشتهر لأنه تولى اعظم منصب في الاسلام ، فقد يتولى المتوسطون

بعلهم أسمى الرتب وهم لا يَعْدُونَ حفظ ما جرت العادة بحفظه ولا تمثلوا ما قرأوه . .
اشتهر لأنه كان حرياً بالشهرة جمع الى الفقه والأصول ما تعوز العالم معرفته
من أصناف العلم فما أتقن علوم الدين وقال : قطني ، بل تعلقت همته بمطالب أخرى
فشارك مشاركة لا بأس بها في المعارف التي كان رجال الأزهر ينفرون منها .
وهذا من النادر في العلماء المعاصرين ، ونعني بالعلماء هنا علماء الدين . وكان العلم
إذا أُطلق يراد به علم الكتاب والسنة فقط . والقاعدة عند من انصرفوا الى هذا
الضرب من العلم ان صاحبه لا يشغل قلبه بغيره من اصناف المعرفة التي كانت
في القديم العامل الأول في تميز العرب على من عاصروهم من الأمم وهي في العهد
الحديث من أعظم الأسباب في قيام الحضارة الغربية .

ومن أهم ما ساعد المراغي على تفوقه على أقرانه ان امتاز بذاكرة قوية يذكر
ما مرّ به من خمسين سنة لا يخرم منه معنى وقد جمع الى ذكائه الفطري استقلال
الفكر وحب الاطلاع فما سد أذنيه وعينيه عن سماع الجديد والنظر فيه ،
وكان على مثل اليقين ان مجد الاسلام لن يكتب له الظهور ان لم يقرن بالعلم
الجديد . استظهر القرآن وتدبره تدبراً قل ان كان في الفقهاء المتأخرين من دأناه
فيه ، وحفظ وهو في القضاء بضعة دواوين لشعراء معروفين من اهل الجاهلية والاسلام .
وحظه الحظ فتخلص من القيود التي وضعها اهل كل مذهب وقضوا ان
تؤخذ اقوال صاحبه قضايا مقررة يحظر على العقل ان يجول فيها ، فهو مجتهد استوفى
كل شروط الاجتهاد ومجتهد ممتاز بمشاوره العقل . نعم عزم الشيخ منذ تمت
أدوات ثقافته ان يستقي من بنايع الشريعة الصافية ولم يغفل ما تعب اهل
المذاهب الجماعية به من الآراء والأحكام ، وما تشدد فيما رخص به الشرع
او أقرته المذاهب الأخرى ، ودعا للعمل بجوهر الدين من دون ما تزمت ولا
تضييق ، وحرص على ان يعبده عما لا يتفق مع منازع التجدد .

فصديقتنا المراغي خلق عالماً امتاز ببروته وما كان فيه جمود من أخلتهم التقية
وما اتسعت صدورهم الا لما رووه عن مشايخهم او وقفوا عند حد ما قرأوه في

الكتب وما عبأوا بسواه ، نظر وهو في سن الطلب في علوم لم تدخل برنامج الأزهر وشعر بفساد طريقة المشايخ في تدريسهم ، وشارك في الشكوى من الشروح والخواشي والهوامش ، ولطالما كانت تربك ذهن الطالب وتقصيه عن معرفة اللغة وعن روح الشريعة فيخرج كالبيغاء يحفظ ما يلقنه دون ان يفهم معناه . وكان بقدر ما يعنى بالأخذ عن شيوخه يعتمد على درسه اخص وبقدر ما كان بدأب على تحصيل دروس الأزهر يسمو به الشوق الى الاطلاع على ما في علوم الغربيين من منافع للروح والعقل ، وقد قيل لي انه تعلم اللغة الانكليزية أيام كان في السودان قاضياً واصبح يفهم الكتب العلمية فيها وانه قرأ ترجمة مير علي للقرآن باللغة الانكليزية وكان يصحح ما وقع من غلط في الترجمة الانكليزية . نعم لم يقيد الشيخ نفسه باعتبارات الأزهريين كثيراً شأن بعض النوابغ يشذون أحياناً عن مصطلح قومهم ويكون الخير في هذا الشذوذ .

استطال الشيخ اعوام الدراسة على ما يظهر وحمته تحفزه الى الاسراع بالخروج الى ميدان العمل ، فتقدم لامتحان العالمية وجاز السنتين الأخيرتين في سنة واحدة كما قال لي عن نفسه معتقداً انه ما دام قد تعلم ما يطلب منه معرفته فالواجب ان يقدم ولا يضيع وقته في الانتظار . وبهذا أثبت ان الطالب قد يتعلم في بيته اكثر مما يتعلم من حضور الدروس في اوقات مخصوصة علي معلمين بعينهم . اما هو فقد جمع بين الفضيلتين ما زهد في التلقي ولا اقتصر عليه ، وروى العارفون انه حضر على المشايخ قراءة الكتب المطولة المعروفة عند الأزهريين إلا انه ما أتم قراءة كتاب منها ذلك انه كان يرى ان من العبث صرف الوقت في حل معميات هذه الأسفار .

دخل الأستاذ في الحياة العملية في سن مبكرة فتولى القضاء قبل أن ينتصف العقد الثالث من عمره وابان عن مقدرة على معاناته وظهر انه عارف بسياسة العلم وسياسة الخلق ، فكان والده وهو رجل شرع مثله أورثه خير صفات من يعدلون بين الناس ، وكانت داره في الصعيد الأعلى مفتحة الأبواب لحل مشا كل قومه

وفض خصوماتهم . وقد اخذ القاضي الشاب من بيته من الأخلاق عدل ما تعلمه في الأزهر من علم ، فسعد أبوه به وباخوته وهم بضعة علماء وقضاة على رأسهم ابنه الأكبر شيخ الأزهر الذي تولى هذه الرياسة العظيمة في حياة أبيه . أما بنوه هو فقد ربوا تربية مدنية ليس فيهم من لاث العمامة على رأسه .

أصبح المراغي شيخاً للأزهر في الثامنة والأربعين من عمره ، وندر من تولى هذه المشيخة وهو في هذه السن فأتى بنشاط الشباب وحنكة الشيوخ فاهتم الاهتمام كله لاصلاح الأزهر الذي كان واضع أساس الاصلاح فيه شيخه وشيخنا الأستاذ الامام محمد عبده . ولما شعر بأن لائحته في اصلاح الأزهر لن تقبل استقال ولزم بيته محتفظاً باستقلال فكره وعزة نفسه ، وخلفه في الرياسة الشيخ الظواهري وكان أشبه بشيخ زاوية منه بشيخ علماء وانحصر عمله في الاصلاح بطرد سبعين عالماً من خيار علماء الأزهر . وعاد الشيخ المراغي الى الأزهر ثانية بعد ما تركه الشيخ الظواهري بإهانة لم يهن مثلاً شيخ قبله ، يشمر عن ساعد الجد في اصلاحه وأتم وضع اساس كليات التخصص ككلية علوم اللغة العربية وكلية أصول الدين وكلية العلوم الشرعية . وكان يعتقد ان الأزهر يحتضر منذ طلبت وزارة الأوقاف وهو من مفتشيها خطباً منبرية فجاءها خمسمائة خطبة لم تصلح واحدة منها لأن تلقى على المسلمين ، يعتقد ذلك وهو يرى ان دار العلوم تنازع الأزهر افضليته في تعليم العربية ومدرسة القضاء الشرعي الملقاة تنازعه بتدريس الشريعة . وبإصلاح المناهج قضى الأزهر الحديث على فوضى التدريس فيه ، وبالرجوع عن البرامج العتيقة صبح الأزهر بما بلائم الزمن ، وبقرتب الأزهر من الحياة العملية ، وصارت دروسه القديمة بمثابة دروس ثانوية تهي الطالب للتخصص وهذا بمثابة الدراسات العالية او التعلم العالي .

تم له كل هذا بعد ان صرح في مذكرته الاصلاحية : واني اقرر مع الأسف ان كل الجهود التي بذلت لاصلاح المعاهد منذ عشرين سنة لم تعد بفائدة في نهضة التعليم وأقرر ان نتائج الأزهر والمعاهد تؤلم كل غيور على أمته وعلى دينه

وقد صار من المحتم لحماية الدين — لا لحماية الأزهر — ان يغير التلميم في المعاهد وان تكون الخطوة الى ذلك جريئة ويقصد بها وجه الله تعالى فلا يبالي بما تجذته من ضجة وصراخ وقد قرنت كل الاصلاحات في العالم بمثل تلك الضجة .
والى هذا شجع الشيخ أيضاً البعثات الأزهرية . ومتى كان الأزهر يقول بأكثر العلوم الحديثة حتى يذهب نوابغ طلابه يستزيدون من العلم في جامعات الغرب ^(١) ؟ ومتى كان طلاب الأزهر قبل المراغي يدرسون اللغة اليابانية وغيرها ليكون منهم دعاة يدعون الى الاسلام على نحو ما يدعوا المبشرون الى النصرانية ؟ وفي أي عهد قرئت الفلسفة في هذا الجامع وشرحت قضاياها بجرية كما كان في زمن المراغي ؟ الى غير ذلك من الأمور التي كان يريد بها اطلاق عقول الأزهريين من عقالها وادخالهم في طور جديد ينفع .

حاول الشيخ النهوض بالأزهر بثقيف خريجه ثقافة جديدة وكان يحز في قلبه تخلف اهله في علمهم وعملهم وهو القائل في وصفهم : « انهم استكانوا في القرون الأخيرة الى الراحة وظنوا ان لا مطمع لهم في الاجتهاد فأقفلوا أبوابه ورضوا بالتقليد وعكفوا على كتب لا يوجد فيها روح العلم وابتعدوا عن الناس فجهلوا الحياة وجهلهم الناس ، وجهلوا طرق التفكير الحديثة وطرق البحث الحديث وجهلوا ما جد في الحياة من علم وما جد فيها من مذاهب وآراء فأعرض الناس عنهم وتقموا هم على الناس ، فلم يؤدوا الواجب الديني الذي خصصوا أنفسهم له وأصبح الاسلام بلا حملة ولا دعاة بالمعنى الذي يتطلبه الدين .

في احدى جلساتنا في دار الشيخ المراغي في حلوان ايام كونه معتزلاً الأزهر — وكثيراً ما كانت تدوم الجلسة ثماني ساعات — تفضل وقرأ علي بعض تقاريره الدينية ومنها تقريره في الأحوال الشخصية الذي صدر القانون المصري عليه ،

(١) سبقت وزارة المعارف في عهد وزيرها العالم معالي محمد حلمي عيسى باشا الى ارسال أول ستة أزهرية الى الغرب تألفت من أزهريين وغيرهم من طلاب الجامعة ودار العلوم كتب فيها التفوق لطلاب الأزهر أولاً وآخرأ .

وهو التقرير الذي لم يتقيد فيه بالمذاهب الأربعة واخذ من أكثر المذاهب المعتمدة، وكتبه ببيان يقل نظيره في الكتابات الرسمية، فرجوته ان يطبع ما كتب فما رأيت منه ميلاً الى النشر، وكان عمله في هذا الباب لا يقل نفعا عن فتواه في الحد من الطلاق وقبلة كان باب الطلاق مفتوحاً على مصراعيه. وقد حدثت في العهد الأخير حوادث في الطبقات العالية طلب اليه ابداء الرأي في الطلاق فأبى مع علمه ان امتناعه قد يغضب المستشير.

ومما دل على علو كعبه في حرية البحث فتواه في جواز ترجمة القرآن وله في هذه المسألة الشائكة بحث ممتع نشر في مجلة الأزهر. وفي هذه المجلة طائفة من تفسيره بعض سور الكتاب العزيز وبعض خطبه وآرائه وفيها فتاواه في المعضلات وهي تدور على تقريب الناس من الشرع والتوفيق بين الدين والمدنية ويبدو فيها نور العقل والتجدد.

وقد حملت افاديره وتفسيره من اساليب البلاغة ما يستكثر من شيخ ازهري. وفي الرسائل القليلة التي دارت بيننا نموذج من فصاحته وبلاغته. وكان يكتب بدون تكلف بألفاظ عذبة رقيقة لا مبالغ فيها ولا ازدواج. وعبارته رشيقة موجزة تشبه عبارات المؤلفين في القرن الرابع والخامس وتغلب عليه الفاظ القرآن وتحس ان كاتبها مشبع الى الغاية بألفاظه ومعانيه. أما طلاقة لسانه فكانت كبلادة قلمه وربما ظن السامع وهو يتلو درسه او عظته او خطبته انه يقرأ من كتاب او من حفظه لأنه يشاهده وقد نسق كل فكر الى جانب اخيه ووضع ما يروى وما يريد ان يعلق عليه في مواضعه.

كان الشيخ حنفي المذهب ويأخذ من المذاهب الأخرى ما يناسب العصر والمصلحة، وكان في اطلاعه على المذاهب الأخرى آية وكثيراً ما قال للجنة الأحوال الشخصية عند البحث في الهبة والوصية والوقف: ضعوا من المواد ما يبدو لكم انه يوافق الزمان والمكان واتا لا يعوزني بعد ذلك ان آتيكم بنص من المذاهب الإسلامية يطابق ما وضعتم.

ومن رأيه توحيد المذاهب وقال في إحدى مذكراته «يجب العمل على إزالة الفروق المذهبية أو تضيق شقة الخلاف بينها فان الأمة في محنة من هذا التفرق ومن العصبية لهذه الفرق» . «ومعروف لدى العلماء ان الرجوع الى اسباب الخلاف ودراستها دراسة بعيدة عن التعصب المذهبي يهدي الى الحق في اكثر الأوقات وان بعض هذه المذاهب والآراء قد أحدثتها السياسة في القرون الماضية لناصرتها ونشطت أهلها وخلفت فيهم تعصباً يساير التعصب السيامي ، ثم انقرضت تلك المذاهب السياسية وبقيت تلك الآراء الدينية لا تتركز الا على ما يصوغه الخيال وما افتراه أهلها . وهذه المذاهب فرقت الأمة التي وحدها القرآن الكريم وجعلتها شيعاً في الأصول والفروع ، ونتج عن ذلك التفرق حقد وبغضاء يلبسان ثوب الدين ، ونتج عنه سخف مثل ما يقال في فروع الفقه ان ولد الشافعي كفء لبنت الحنفي ومثل ما يرى في المساجد من تعدد صلاة الجماعة وما يسمع اليوم من الخلاف العنيف في التوسل والوسيلة وعذبات العائم وطول اللحي حتى ان بعض الطوائف لا يستحي اليوم من ترك مساجد جمهرة المسلمين ويسعى لانشاء مساجد خاصة» .

وقال : يجب ان يدرس الفقه الاسلامي دراسة حرة خالية من التعصب لمذهب وان تدرس قواعده مرتبطة بأصولها من الأدلة وان تكون الغاية من تلك الدراسة عدم المساس بالأحكام المنصوص عليها في الكتاب والسنة والأحكام المجموع عليها والنظر في الأحكام الاجتهادية يجعلها ملائمة للعصور والأمكنة والعرف وأمزجة الأمم المختلفة كما كان يفعل السلف من الفقهاء .

وقال بشأن دراسة التفسير والحديث : يجب ان يدرس القرآن دراسة جيدة وان تدرس السنة دراسة جيدة وان يفهما على وفق ما تتطلبه اللغة العربية وعلى وفق قواعد العلم الصحيحة وان يتعد في تفسيرهما عن كل ما ظهر للعلم بطلانه وعن كل ما لا يتفق مع قواعد اللغة العربية .

وصرح ان الكتب الأزهرية معقدة لها طريقة خاصة في التأليف لا يفهمها

كل من يعرف اللغة العربية وإنما يفهمها من مارسها وصرن على فهمها وعرف اصطلاح مؤلفيها . وقال : كان اكثر العلماء يطرقون الاحتمالات المتعددة في عبارات الكتب وكان هذا هو كل شيء اشتهروا به في العلم وما كان يوجد فيهم من يستطيع ان يحاضر في موضوع علمي ولا ان يلخص مسألة من المسائل بعبارة يمكن ان تفهم ، وما كانوا يعنون بالمرضوعات العلمية من جهة الأدلة ومقارنة المذاهب وتقدها ، بل كانوا يعنون بالألفاظ فلم تكن الدراسة شبيهة مثمرة .

نعم هو يرى ان الشريعة جاءت لخير البشر وما دسَّ فيها بعض المتأخرين يجهلهم أو تساهلهم يجب ان ينتق منها كما ينتق الزؤان من صوبة الخنطة ، ويعتقد اعتقاداً جازماً ان الله يجب ان تؤتى رخصه كما تؤتى عزائمه . واليكم ما قاله من مقالة أخيرة (جريدة الاهرام غرة رمضان ١٣٦٣) تحت عنوان « مرحلة من الحياة تقضت » وفيها كلام جليل لا يقول مثله الا رجل اتسع أفقه وعقله واستبطن اسرار مجتمعه وكان من عيار الشيخ المراغي في العلم قال :

هناك أمور ينبغي ان يترفق الفقهاء فيها بالناس وان يراعوا قواعد اليسر التي هي أخص صفات الاسلام ، يراعونها في العمال والمرضى ومن يخدم المرضى ومن يشايعهم فيقربون الناس من الاسلام ولا يوقعونهم في الحرج . وعندى ان من يفتقر بعذر ويصرح بذلك أظهر ممن يفتقر من غير عذر او بعذر ويظهر أمام الناس بالتقوى يرأى الناس ولا يخشى الله . والترخص في المرض أو الترخص للمشقة في العمل يقدره أصحابها ويفتون أنفسهم فيها ، والرقيب هو الله ، والعلماء يبينون الحكم وهو اباحة الفطر للمريض ومن لا يقدر على الصوم أما تقدير القدرة فهو خاص بالعبد ولا شأن للعالم فيه . ثم استشهد بحديث من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في ان يدع طعامه وشرابه .

ما كان الشيخ ممن يرضيهم الأمر الواقع بل كان ممن يجهدون بتغيير الحاضر بما ينفع المستقبل ويدعو الى الاعتبار بالماضي . استمعوا الى هذه الصفحة البديعة ، يصف فيها العصر الذي نشأ فيه شيخه الامام محمد عبده قال وأبدع :

«نشأ الشيخ في عصر من العصور القائمة ، كل شيء فيه محض مؤلم للنفوس الحرة والفطر الصادقة: الأمم الإسلامية تنحدر عتياً وسياسياً واجتماعياً الى احط الدرجات ، وليس لطالب الحرية العقلية بينها متنفس ، والدين يفهمه الناس على غير وجهه ، واللغة العربية اختلطت بغيرها من لغات العجم ، والزلفى الى الله لها طرق لم يشرعها الله ، والزلفى الى الحكام لها طرق لا يرضاها ذو مربية . ذهبت ريح المسلمين وتفلت من أيديهم . أم الحياة العامة ، وتداعت عليهم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصائع ، وايسروا قلة بين الأمم ، ولكنهم كغناء السيل .

«ذهب يتعلم فتعلم كما يتعلم غيره قواعد جافة ليس لها حياة تصلها بمنابعها من الكتاب الكريم والسنة المطهرة . ولا بأحد لها من لغة العرب وأصاليهم وأديبهم ، وتعلم القواعد في مختصرات رضيها ذلك العصر المظلم ، لا تفهم إلا بشروح وحواش وصناعة خاصة ، فلا اللغة العربية بمسعدته على اجادة النظم والنثر والكتابة والخطابة وحاجة الحكومات والدول في التشريع والتنظيم ، ولا دراسة الكلام والمنطق بموصلة الى الاستدلال الصحيح الذي يطعن الى العقل ويقنع الخصم ، المتحدث في الاجتهاد وتخبر الأحكام لنطاق الأحكام حاجة العصر ولتلائم أصول الأمم وأحوال الأزمنة مبتدع مخالف لما أجمع عليه المحققون ، والداعي الى سيرة السلف الصالح داع الى مخالفة سيرة العلماء المبرزين ، والداعي الى كتب الأولين مقصر عن فهم كتب المحققين المتأخرين ، والمنادي بأن كتب الفقه وكتب التفسير وكتب الحديث ملئت بمعلومات خاطئة . وبأوهام وقصص لفقها من قبل علماء الاسرائيليات مخالف لما درج عليه صالحو هذه الأمة وجهابذتها» قال : عاش الشيخ في هذه البيئة العلمية ضيق الصدر مرير العيش ، فمن من أصحاب الفطر الصادقة والنظر السليم ، يؤمن بالقرآن ويعتقد ان فيه هدياً وفيه شفاء ، وان شريعة محمد ﷺ عامة للأمم كلها وللصور كلها ، يؤمن بأن هذه الدراسة الدينية والعربية تخرج للناس اماماً يهتدون بهديه ، ويشفي أمراض المجتمع سيف علمه وخلقه ونظامه ويضع له القوانين الصالحة والنظم اللائقة ؟

الى ان قال « عاملان من أقوى العوامل وقفا في طريق الشيخ (الشيخ محمد عبده) عامل الحسد وعامل البيئة ومن المحال ان يوجد رجل كالشيخ في صفاته وعلمه لا يحسد ، ولو انه لم يحسد ولو انه لم يرم بالكفر والضلال ، ولو انه لم يشتد حساده ولم يقاوم أشد المقاومة بسبب الحسد لما كان شيئاً يتحدث عنه ولما كان رجلاً من رجال التاريخ » قال وسبب ثالث له خطره « وهو أن جهة من جهة ذات نفوذ اظهرت عدم الرضا عن الشيخ وساعدت خصومه وان جهة ذات نفوذ آخر ساعدته وشدت أزره فظن القوم انه رجل يريد افساد الدين وافساد العلم » . ومن أشد مظاهر الحسد إذ ذاك ان عالماً من كبار العلماء كتب سلسلة مقالات في جريدة المؤيد يحرم فيها تعليم الحساب والجبر والهندسة والتاريخ في الأزهر ، لأن الشيخ كان أول المبشرين بتعليم هذه العلوم في الأزهر ، وكاد العناد يكون كفرة .

قال : ترك بذور اصلاح التعليم الديني وتعليم علوم العربية وبذور اصلاح القضاء الشرعي وبذور اصلاح المجتمع الاسلامي والأمم الاسلامية وليس في رجال تفسير كتاب الله من يضارع الشيخ أو يقاربه في تطبيق آي القرآن على سنن الاجتماع ، وفي تصوير هدي القرآن وفي فهم أغراض الدين عامة .

وختم الكلام عنه بقوله ودعته ليلة سفري الى السودان لتولي قضاء مديرية دنقلة في نوفمبر سنة ١٩٠٤ فما قال لي أنصحك ان تكون للناس مرشداً أكثر من ان تكون قاضياً واذا استطعت ان تحسم النزاع بين الناس بصلح فلا تعدل عنه الى الحكم فان الأحكام سلاح بقطع العلاقات بين الأسر ، والصلح دواء نلتئم به النفوس وتداوى به الجراح . وداعبني مرة أثر خروجي من امتحان شهادة العالمية قائلاً : هل تعرف تعريف العلم ؟ فقلت له : نعم ، وكنت أحفظ إذ ذاك أكثر تعاريف العلم ، فسررت بعضها ، فقال : اسمع مني تعريفاً مفيداً ، العلم هو ما ينفعك وينفع الناس . ثم سأل : هل انتفع الناس بعلمك ؟ قلت له : لا ، قال : إذا انت لست بعالم فانفع الناس بعلمك لتكون عالماً .

هذا ما قاله الشيخ في شيخه وما قال الا الحق والغالب انه تقبل نصيحته بقبول حسن وأزمع ان يكون من ذاك اليوم عالماً كما يريد امامه ينفع الناس بعلمه فخرى على هذه الخطة في القضاء ثم في مشيخة الأزهر وما انفك يدرس ويعظ ويكتب ويفسر القرآن ويدعو الى الأخذ بالكتاب والسنة ويسهل على قاصديه وسامعيه فهم الشريعة السمحة ويطبق أحكامها على العصر أو يطبق احكام العصر عليها واعترف مرة اننا لم نوجد جديداً نافعا في علم من العلوم حتى الآن ، وما أصدق ما قاله عنه صديقي الأستاذ الشيخ محمود شلتوت من جماعة كبار العلماء ان الشيخ المراغي ما خرج بروحه وعلمه وعقله وتفكيره عن ان يكون تلميذ الأستاذ الامام محمد عبده . وقال مرة : « ولدى الأمة الاسلامية قضايا كثيرة معقدة ، قضية الرجوع بالدين الى كتاب الله وسنة رسوله وأعمال الراشدين . وقضية التعليم الديني على وجه صحيح يوافق ما أثرت التجارب في الحياة وما أخرجته العقول من ثمرات ناضجة ، وقضية حماية الدين من العدوان والدعوة اليه كما امر الله بالحكمة ، وقضية نظام الأمم الاسلامية وارتباطها ببعضها ببعض ارتباط تعاون وتناصر ، وقضية الفقراء والضعفاء واليتامى والمساكين وتدير أمرهم بحيث تخفف عنهم آلام الحياة وبنفع المجتمع بهم .

« وهناك قضية هي أهم القضايا وهي مقومات الأمم الاسلامية التي يجب ان يحافظ عليها ويبني المجد على أساسها وهي قضية دقيقة يثور من أجلها عن قصد أو غير قصد خلاف بين المعلمين وغير المعلمين والمتمدنين وغير المتمدنين ، ويترتب عليها نظام الاجتماع وقوانينه ونظام التقاليد والعادات .

ولدى الأمم الاسلامية ماض يجرر اثواب الفخر والشرف في كل ميادين الحياة : في ميدان العلم وفي ميدان الفنون وفي ميدان السلطان والعز ، وميدان التشريع والقانون ، لكن بعض الناس يحاولون طمس اعلام هذا الماضي والتخلص منه والزراية عليه والخط من شأنه ويحاولون بناء مجد جديد على أرض يضاء بحيث لا يكون بين الحاضر والماضي صلة .

«وليس أدعى الى الدهشة ولا أبعث على اللوم من هذه المحاولات التي فيها عقوق الأبناء للآباء ونكران الجميل وانكار التاريخ وفيها لؤم الطباع وسفه الجاهل وطيش المغرور .
«وهل يستطيع عاقل ان ينكر ان لنا أسساً صحيحة قوية من دين وعلم وتقاليد ومقومات من حقها ان نحافظ عليها وان نعتبرها تراثاً عزيزاً لا يليق ان نبذده كما يفعل الوارث السفينة .

«يحاول بعض الناس هذا مع ان الأم التي ليس لها ماض تحاول ان تخلق لها نسباً بماض مجيد . وبعض الأفراد الذين لهم ذكر نابه بأعمالهم وليس لهم نسب معروف بالمجد يحاولون ان يخلقوا لهم أنساباً معروفة بالمجد والشرف ليحدثوا في نفوس الأبناء شعوراً بعظمة من حقها ان يحافظ عليها اه

وصف ما حمله القرآن من التعاليم وردّ دعوى بعضهم ان فيه علوم الأولين والآخرين بقوله : «انه كلما حدثت في العالم فكرة طريفة اجتهدوا في تلخيصها في القرآن وفرحوا ان استطاعوا الاهتداء الى اشارة بعيدة اليها ، يفعلون هذا في جميع النظريات المرتبطة بالكون وامراره وقواعد الاجتماع والسياسة ولكن من حقهم ان يفهموا ان المعارف البشرية غير مستقرة وانها تتغير ويتجدد بدلها معارف أخرى تختلف عنها أو تناقضها وانه ليس من الحكمة ان نربط هذه المعارف غير القارة بكتاب الله الثابت الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . ومن اخطير ان ندع كتاب الله بقرر لنا أحكام التشريع ويهدم الوثنية ويحلتها من أصولها ، ويرفع العقل البشري الى المستوى اللائق به ، ويأخذ بيد الانسان الى المقام الأسمى اللائق بخلافته في الأرض ، ويبين لنا العبرة والعظة بأحوال الماضين ، ويغرس في نفوسنا تلك الأخلاق الفاضلة من الصبر والقناعة والرضا والشجاعة ويفتح أمامنا أبواب العلم والهداية بما أشار اليه من وجوب النظر فيما صنعه الله . خير لنا ان تفعل ذلك وندع العلماء يقررون معارفهم ويستدلون عليها ، ويحملون نتيجة خطئهم اذا تغيرت معارفهم وأثبت العلم تقيضها . قال نعم ان في الكتاب الكريم آيات لا تفهم حق الفهم الا بمعارف فلكية وطبيعية ،

ولكن تلك لم تُسَقِّ لتقرر تلك المعارف وإنما نزلت للهداية والعبرة . فليس القرآن الكريم كتاب حساب وفلك وطبيعة وإنما هو كتاب هداية وتنظيم لعلاقة الانسان بربه وعلاقة أفراد الناس بعضهم ببعض » .

أجمع انصار السيد المراغي وخصومه على انه كان من خير من تولى رئاسة الأزهر لصفات كثيرة اجتمعت له وقل أن يجتمع لغيره ذلك لأنه كان يعرف ما هنا وما هنالك ، وبعد من العلماء العارفين بأزمانهم معرفة ثاقبة . طلب اليه ان يترك رئاسة الأزهر ويعطى ما شاء من الأقدنة والمال فأبى . وطلب اليه ان ينضم الى جهة معينة في الرأي (حزب معروف) ويكون له ولأولاده وذوي قرباه ما شاء من الكرامة فأبى وقال ان أولادي واخوتي في نظري أقل من أن أبيع لهم كرامتي . كانت يستميل بحديثه قلوب سامعيه وتفعل في نفوسهم نبراته اللطيفة وان كانوا ممن لا يوافقونه على آرائه كلها . تأدب بأدب الدنيا وأدب الدين اذا عاشرته تتحقق انه بلغ الغاية في التهذيب الحديث مضافاً الى ما تحلت به نفسه من فضائل الاسلام ولا تلبث ان تقول ان الشيخ يصلح لإمامة الدين كما يصلح لإمامة الدنيا اي ان يكون شيخ الاسلام بدعو الى عقيدة وإيمان وان يكون رئيس وزارة يعاني من احداث الزمان ما يعاني . ولا نكون الى الغلو اذا ادعينا انه قل في امثاله من استجمعوا صفات العظمة الحقيقية . وله في باب الاريجية أشياء عرفت عنه بالعرض تدل على صفاء روحه وفضل نجلته . كان يتصدق في السر وهو ليس بغني ويأخذ العهد على من يعطيه ان يكرم ما وصل اليه منه . وحدث ان احد أصدقائه من أهل العلم هدد بالافلاس ان لم يؤد ما استحق عليه من مال للحكومة ففتح الشيخ دواوين الأزهر ليلاً لبتاع منه مقداراً من الكتب ويدفع له ثمنها في الحال لينقذ شرفه واعتباره .

ولقد انتخبه المجمع العلمي العربي عضواً مراسلاً فيه فاعتذر بكثرة أشغاله قائلاً انه استقال من المجمع اللغوي في مصر للسبب ذاته ، ودعوته لينزل على ضيفاً في دمشق ويصطاف في ربوعنا فتعذر عليه البر بوعده لأن حاله لم تمكنه من مغادرة القطر خصوصاً بعد عودته ثانية الى مشيخة الأزهر .

أخذت الأعمال الادارية والسياسية والقضائية من وقت الشيخ الأكبر فكان شأنه شأن أستاذه الشيخ محمد عبده لم يخلف مؤلفات كبيرة يودعها لباب علمه وزبدة تحقيقه ، وما خطته يمينه دعت الى تسطيره الدواعي وقام به لأمر اقتضتها حالة عمله . وعندى ان تقاريره ومذكراته ومقالاته كافية في الحكم عليه وافية في تخليد اسمه اذا تيسر لها من يجمعها ويطبّعها^(١) ورب صفحة تعادل بفائدتها رسالة مطولة ، وكم من رسالة هي أيضاً انفع لقارئها من تلاوة المجلد الكبير . وقد رأينا كثيراً من مدرسينا ممن تمت لهم آلات الفضل وشغلتهم دروسهم عن التصدي للتأليف كان نصيبهم منه نصيب المراغي ، ولو وجدوا متسعاً من أوقاتهم وصرفوا فيه ساعة كل يوم لانفتحت أمامهم طرق في العلم يهديهم اليها الدؤوب وطول النظر . على ان الشيخ لم تحمل مناصبه الخطيرة دون عمل ما ينفع الاسلام والمسلمين وما كان يستهويه غير النهوض بالمصريين يتلطف ، وهو الدراكة النظامي ، في وصف الدواء الناجع لاسقامهم وما كانت يتقل من معاونة كل مسلم يهبط مصر من القاصية ليرشف من معين العلم في الأزهر مع انه لم يزر بلادهم ولم يختلط كثيراً بأهلها لما اقتضته حالة عمله وقيود مناصبه .

أهم ظاهرة بارزة في أخلاق الأستاذ المراغي تجرده من المطامع التي قد يتلوث بها بعض أهل صناعته فما أتى ما يشين سمعة العالم . وعلى طول تقلبه في درجات القضاء وآخرها رئاسة المحكمة الشرعية العليا ما اُحصيت عليه زلة تنال من مروءته وشرفه وكانت أحكامه مثال العدل يتحدث المتجدثون بها لا يصانع في الحق ولا يداجي . وفي قضية الارث الكبير الذي كان يقدر بملايين من الجنيهات وما أبداه الشيخ من المتانة في احقاق الحق مثال من تقواه ، حتى لقد قذف بماء الفضة في عنقه يوم صدور الحكم وهو في طريقه الى المحكمة في القاهرة

(١) أخبرني شقيق صاحب الترجمة الأستاذ الشيخ أحمد مصطفى المراغي وقد قرأت عليه ما كتبت واستفدت منه أموراً في حياة الأستاذ الأكبر انه خلف مذكرات يومية يشرح فيها مواقفه مع رجال السياسة من المصريين والأجانب وان أسرته لا تريد نشرها قبل ان يمضي زمن على وفاة صاحبها لأن فيها مساماً ببعض المعاصرين .

ليتعذر عليه الحضور فأصر على الذهاب وأصدر حكمه . ولو كان حب الدنيا مستحكماً فيه أكثر من حب الدين لجوز لنفسه تناول ما يغنيه من المال يدفعه المدعي راضياً . ولكن شيخنا كان يحسب حساب يوم الحساب .

ولما استقال من قضاء الخرطوم وعاد الى القاهرة أخذ يتبلغ بوظيفته مفتش مساجد في الأوقاف وصلى الخديو الجمعة في مسجد من مساجدها فلاحظ على المفتش ان الامام أعمى فأجاب ان الامام وهو العلامة الدجوي من جماعة كبار العلماء استوفى شروط الامامة والعلم لا يمنعه من القيام بما يطلب منه ، فغضب عزيز مصر ، ولما عرضت عليه حكومة السودان منصب قاضي القضاة اشترط ان يكون تعيينه بمرسوم خديو فقيل له ان مشاهرتك ستزيد بضعة أضعاف راتبك الحالي وأنت تشترط مثل هذا الشرط ، فكان له ما أراد . أما الخديو فرجع عن رأيه في المراغي وأدرك أنه قوال بالحق يهتم لدينه ولا يعبأ بالظواهر كثيراً . ولما ثارت مصر وانتقلت أخبار الثورة الى السودان كان قاضي قضائها السيد المراغي في مقدمة المتظاهرين فلم يسع حكومة ذاك القطر الا أن تمنحه اجازة طويلة فأضاع منصبه ليعخدم وطنيته . وجرى في مجلسه ذكر هلاك من لم يستلوا من الافرنج فأورد أسماء عظماء خدموا الانسانية منهم وقال انهم ناجون لأن الدعوة الى الاسلام لم تصلهم ونحن قصرنا في هدايتهم فلو كنا عرضنا عليهم الدين وما استجابوا له ربما ساغ لنا ان نقول انهم هالكون . وقال لي إنه عرض احدى الغنيات — لما خاف عليها الفتنة عند طلاق زوجها لها — على تعلم اللغة الفرنسية فشغل وقتها بما أسلاها في محنتها وكان من نصيحته ان تعلمت اللغة وتأديت بأديها من حيث لا تشعر . ولما مرَّ ملك انكلترا بسواكن وكان قاضي قضاة السودان استقبله مع الحاكم العام وصاحبه كما يتصافح الممثلون فقال بعض الانكليز كان يصح له ان ينحني للملك كما انحنى المستقبلون قال : ليس في ديننا سجود لغير الله . واجتمع يوماً الى السير لامبسون سفير بريطانيا العظمى في مصر فقال له هذا ان السمكة تفسد من رأسها مشيراً الى بعض المقامات العليا فقال

الشيخ ان السسكة تفسد من بطنها قال السفير : هذا غير صحيح وأنا صياد أعرف السمك معرفة جيدة قال : الغالب انك تحسن الصيد في نهر التيمس ، والصيد في النيل غير الصيد في التيمس . ولما قيل له وهو في مشيخة الأزهر انه كان الأول به ان يعتمد عن السياسة ويبعد الأزهر عنها وان يشغل به أوقاته قال ان الاسلام دين سياسة ولا يسعه ان يتخلى عنها . وفي أيامه انقسم الأزهر قسمين بتأثيرات الحزبية فاضطر شيخه الى ان يقف الى جانب الفريق الذي اعتقده على الحق فسبب له ذلك اضطرابات نفسية ما حمدت مغبتها على صحته . ولو سئل عن سلوكه هذا ما عدم حجة يبرئ بها نفسه من الوفاء المشهود في انهاض الأزهر على عهده الأخير . والداخل يعرف ما لا يعرفه من وقف وقفة المتفرج في الخارج . لو انتفع الناس ببعض ما تفيض فيه قرائح المصلحين ما بقي في الناس جهول ولا ضال ، وواجب دعاة الاصلاح الا بتوانوا فيما تمحضوا له مها قل المستفيدون منهم .

المراغي كان على أوفر نصيب من العلم والعمل فهو شخصية نادرة بين أهل جيله رحمه الله رحمة واسعة .

محمد كرد علي



ابن أبي عذينة وتاريخه (تاريخ دول العربيات شرح قصيدة نظم الجمان)

١ - كلمة :

الآراء كثيرة ، ويتوجه إليها النقد ، ولكنها لا تستدعي البند دائماً ، ولا يعمل على كل قول ، ولا يسلم بكل نقد . وإذا كان مع الخواطي سهم صائب ، وإن كل أحد يؤخذ من قوله ويرد فلا ريب أن ثروتنا التاريخية تتعين آثارها المشهودة بالتمحيص والنقد ، فترتفع قيمتها ، أو تنحط ، ولكنها لا تعدم فائدتها بوجه لما يجري عليها من غمز . والزمان كفيل بالتقدير .

وتاريخ ابن أبي عذينة من تلك الثروة ، اشتهر في حياة مؤلفه ، وتناوله المؤرخون قديماً وحديثاً بالنقد ، فدخله التحقيق والتدبيد . وقد نقل الأستاذ الفاضل عبد الله مخلص قسماً من ذلك ولكن ليس من الصواب أن يترك من جراء ما توجه من الغمز ، ويصح أن يكون صواباً أو غير صواب . وإذا كان مخطئاً في أمر فلا نهمل مطالبه كلها .

جاء في (أنس الجليل بتاريخ القدس والخليل^(١)) ما نصه :

«الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الشافعي المشهور بابن زوجة أبي عذينة ، مولده بالقدس الشريف . قرأ القرآن ، واشتغل بالعلم . وكان من الفقهاء بالمدرسة الصلاحية ، واعتنى بعلم التاريخ ، وكتب تاريخين أحدهما مطول (وهو هذا^(٢)) والآخر مختصر . توفي يوم الجمعة ١٥ ربيع الآخر سنة ٨٥٦ هـ (١٤٥٣ م) ودفن بباب الرحمة .» ١

(١) لطيفي القاضي مجير الدين أبي اليس عبد الرحمن المتوفى سنة ٩٢٧ هـ - ١٥٢١ م وتقل هذا النص من غلاف تاريخ ابن أبي عذينة . وفي كشف الظنون أنه أتم سنة ٩٠١ هـ .
(٢) هذه الزيادة من ناسخ كتاب ابن أبي عذينة .

وزاد الأستاذ عبد الله مخلص أنه أورد في تاريخه المطول والآخِر المختصر أشياء فاحشة من ثلب أعراض الناس ، فأعذبه بعض المطلعين عليه ضناً بكرامة من تناولهم المؤلف بالطعن والتشنيع ، وأن التاريخ المطول لم يظهر بعد وفاته كما ان المختصر لم يبق منه إلا بعض كراريس تقل ذلك من التاريخ المذكور . وأقول ان تواريخ المؤلف لم يعدم منها شيء ، وفي بحثي هذا أبين عنها ، وأدون المعروف من مؤلفاته . وكنت كتبت مباحث في تاريخ ابن أبي عذبة عند الكلام على حوادث العراق المنقولة منه ^(١) . وهنا أقدم للقراء الأفاضل ما عثرت عليه مؤخراً مع تلخيص لما سبق نشره . وان إثارة بحثه مجدداً يرجع الفضل فيها للدكتور اسعد طلس ، والأستاذ عبد الله مخلص مما شجع على إعادة القول . فقد أتاحت الفرصة .

وكان قد كتب أفاضل في موضوع تاريخ ابن أبي عذبة ، فأوضحوا بعض الإيضاح وأبدوا تحقيقات نافعة ^(٢) ، فالفكرة متوجهة الى كشف النواحي المجهولة ، والقطع في بعض المطالب المشتبه فيها ، وقصدنا متوجه الى التعريف بالمؤلف وأثره .

٢ -- حياة المؤلف :

لا شك ان آثاره مرآة نفسه ، وتعد صفحة كاشفة عن حياته ، ولا نعجل بالحكم ، فعمل المرء معروض للنقص والإكمال الا اننا نقول يحق لبيت المقدس أن تفخر بهذا المؤرخ ، فانه بعد من أكابر مؤرخينا ، وأفاضل ادبائنا وعلماؤنا كتب في التاريخ السياسي ، والعلمي والأدبي ، فكان جديراً بالتقدير والاطراء . ولا يخلو امرؤ من هفوة ، أو تقص . والحكم يجلو ، والتمحيص يميظ عن وجه الحقيقة . والناس قباين متولهم ويختلف أنظارهم ولكل رأيه . ومن ثم يكون التعديل والتجريح ، ولكن على كل حال نريد ان نصغي وان نكون أوسع صدراً ، فنلتبس الصواب . رأينا تواريخ عديدة كتبت قبله ، فأحدثت تيارات متعاكسة ، وأوجدت

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ١ ص ٢٥٠ و ٢٥١ و ٢٧١ و ج ٢ ص ٢٣٧ و ٢٧٥

وملحقه ص ٢٢ و ج ٣ ص ١٢٢ .

(٢) مجلة الهلال ج ٢٨ ص ٦١٧ و ص ٦١٠ و ٩٢٦ و ج ٣٠ ص ٨٦٢ .

بعضها رغبة عامة ، وأخرى نفرة لما احتوت من دعاية أو تزلف . فظهر عليها الهوى واللبيل المنحرف وأخرى أصابتها السهام ولم تسكن الثائرة إلا وظهرت عظمتها . وهكذا كان قد لحق بعض المؤلفين ما لحق .

والمترجم الشيخ العلامة الأثري المؤرخ أبو عبد الله شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر المقدسي . ولد سنة ٨١٩ هـ ١٤١٦ م ببيت المقدس ، وتوفي ليلة الجمعة ١٤ شهر ربيع الآخر سنة ٨٥٦ هـ - ١٤٥٢ م ، وعرف بابن أبي عذبية بأستاذه محمد بن أحمد بن حاجي . فكان أحد شيوخه ، ذكر ابن أبي عذبية أنه به عرف ، وأنه قرأ عليه العربية والتفسير والقراءات . وكان يعرف بابن عذبية ^(١) ، كما أخذ عن المؤرخ المعروف (ابن قاضي شهبة) ، فاستمد منه ، وانتفع بتاريخه وتراجمه ، وأذن له في الكتابة في التاريخ والجرح والتعديل والتصنيف وأشار عليه به ، وقال له أنت حافظ هذه البلاد بل وغيرها ، وقد أجزت ذلك لك .

ومن شيوخه الشيخ عماد الدين القديسي . ذكره في خلال مباحث كتابه (دول الأعيان) قال : وكان من التاريخ بمكان ^(٢) .

ومن شيوخه في مصر (المحب ابن نصر الله البغدادي) وغيره . ونرى السخاوي في الضوء اللامع - بعد أن أورد ما ذكر - صاريتهما عليه قال : « ولع بالتاريخ ، وجمع من ذلك جملة ، لكنه تتبع مساوي الناس فتنفر لذلك بعده ، ولم يظفر بما كتبه بطائل مع ما فيه من فوائد وإن كان ليس بالمتقن ، وجمع لنفسه (معجماً) وقفت على جلد بخطه وفيه أوهام كثيرة جداً ومجازفات تفوق الحد بل من أجل ما سلكه كان القدر فيه من كثيرين ^(٣) » ، اهـ .

فهنا يبين أن له ولماً بالتاريخ ، وأنه جمع جملة ، وبين أنه ليس بالمتقن ، ولم يعين السبب ، ولا من ذكر مساويهم . . . في حين أن السخاوي لم يسلم من مثل هذه الأقوال ، ولا كان بنجوة من ذلك بل كان مؤرخون قد طعن بهم جماعة مثل ابن خلدون وآخرين ، ونعلم أن السخاوي نقل الكثير من ابن أبي عذبية

(١) الضوء اللامع ج ٦ ص ٣٠١ وهناك ترجمته (٢) تاريخ (دول الأعيان) ج ١ ص ٣٣٨

(٣) الضوء اللامع ج ٢ ص ١٦٠ .

في مواطن عديدة من تاريخه . . . ولعله أدى الى ما كتب العليبي ، فتأثر به .
 والملحوظ ان التاريخ الكبير غير هذا ، فقد جاء في الجلد الأول صفحة ٣٥١
 من دول الأعيان عند الكلام على ترجمة النجعي أنه بسط ترجمته في التاريخ
 الكبير . ولعل ناقل النص عن تاريخ الأنس الجليل ظن ان هذا التاريخ هو
 التاريخ الكبير . ولا شك انه التاريخ الصغير للصراحة الموجودة في تاريخ
 دول الأعيان نفسه .

٣ - تاريخ دول الأعيان :

وهذا (تاريخ دول الأعيان شرح قصيدة نظم الجمان في ذكر من سلف
 من اهل الزمان) في خمسة مجلدات .
 أوله : « الحمد لله القديم قبل حدوث الزمان والمكان ، الدائم الأبدى وكل
 من عليها فان » اهـ .

جاء في مقدمته : « لما وقفت على القصيدة المسماة (بنظم الجمان في ذكر من سلف
 من الزمان) فوجدتها بديعة في بابها ، قريبة من طلايها ، مذكرة بالقرون الماضية ،
 والاثم الخالية . . . أحيت ان اضع عليها شرحاً لطيفاً يوضح ما فيها من الفوائد
 الغريبة ، والأخبار العجيبة ، والتواريخ الموقظة من رقدة الغفلات ، المعلقة بما ليس
 له فوات ، المعرفة بمن كانت الدنيا في يديه ، فلم تفده شيئاً ولا أبقت عليه . . .
 وهي لمن تأملها يحسن النظر ، مقام كل تاريخ وخبر .

قال الناظم :

نصيحة من عالم خبير	لكل شيخ عارف كبير
وكل كهل فاضل فحير	وكل حلف للصبي غزير
وامرأة عاقلة لييه	صبة أو كهلة أريبه
ولغني والفقير البائس	وللنديم والرئيس الجالس
ومن سطاوصال في المالك	ولم يظن أنه يهلك
وخائف من كل أمر وجل	عن الأنام كلهم بمعزل
وجامع الأثاث والأموال	وباذل ما حاز بالسؤال

وفاجر منهمك في الفسق وعارف مجتهد في الحق
 وزاهد قد ترك اللذات وعابد مواظب الصلاة
 وجاهل لم يذر ما يقول وعالم في علمه تكميل
 ليسمعوا وصيبي ويعلموا فان في الوجود من لا يفهم» اهـ .
 وهكذا يمضي بالنصيحة فيذكر الطوفان إلى آخر ذكر الأنبياء . . . فيوضح
 عن كل نبي تاريخه ، وفي خلال ذلك يتعرض للأقوام وبعض الأمم القديمة ،
 والشعوب العربية ، ثم يذكر الرسول ﷺ ، والخلفاء الراشدين ، ودولة بني أمية ،
 والدولة العباسية إلى آخر أيام نيمور . . .

وفي مباحثه يتناول الحالات العلمية والأدبية ، فيذكر لكل خليفة من توفي
 في أيامه من العلماء والأدباء بعد ان يذكر وقائمه السياسية وغيرها . . . فهو تاريخ
 سياسي علمي أدبي ومن ثم تتجلى أهميته . وما يؤسف له ان الكتاب قد مسخه
 ناقله ، فكثير فيه اللحن والغلط ، فلم يبال بضبطه إلا أن الغالب من ذلك لا يخفى ،
 ولا يحتمل ان يكون من عمل المؤلف . لأنه أديب فاضل ، وعالم مدرّس ،
 وآثاره تنبئ عن قدرة .

ويعول في تاريخه على مؤلفين عديدين ، ينقل نصوصهم ويصرح بأسمائهم ،
 فلم يبد من تلقاء نفسه أمراً إلا ما تقتضيه مطالعته ، وما تسوق إليه آراؤه ،
 أو يستدعيه البحث ، شأن المؤرخ الفاضل الذي يريد أن يؤيد قوله بنص منقول .
 وقد أشبع هذا التاريخ من المباحث العلمية والأدبية ما هو نافع جداً ، ولاذ أيضاً .
 ومن نسخه الموجودة النسخة التي وصفها الأستاذ الشيخ كظم الدجيلي الأديب
 المعروف وهي النسخة التي بين أيدينا . ولا يخلو الكتاب من غلط نامخ إلا
 انه سهل التصحيح . وبعد من أجل الآثار فهو صالح للطبع والنشر على ان
 يخدم بتعاليق توضح بعض مطالبه .

ومن هذا الكتاب نسخة في مجلد واحد خطها واضح ، وليس فيها ذلك الغلط ،
 بل هي أقرب للصحة ، وأصلها في خزانة كتب المرحوم احمد باشا نيمور ، وجاءت
 باسم (انسان العيون في مشاهير سادس القرون) وقد نهيت في تاريخ العراق

عليها^(١) . رأيت منها نسخة بالتصوير الشمسي لدى الأب أنستاس ماري الكرملي ، فصارت خزانة المعارف العامة . وذكرت بهذا الاسم (انسان العيون) في مقدمة الجامع المختصر لابن الساعي ، فكانت هذه النسخة من مراجع تصحيح الكتاب ، وهي لابن أبي عذبة . ونسخة أخرى من هذا التاريخ ليست قديمة كثيراً ، انتهى بها الى أيام الوليد بن عبد الملك ، موجودة في خزانة قرا چلي باستانبول برقم ٢٣٠٦ وتصلح للمقابلة .

٤ - القصيدة المشروحة (نظم الجمان) :

وهذه القصيدة لم تكن لابن أبي عذبة قطعاً ، وان الأستاذ عيسى المعلوم قد رجح ان تكون للشيخ عبد الرحمن بن علي بن احمد البسطامي الحنفي المتوفى سنة ٨٤٣ هـ ولكن تبين أنها لمؤلف كتاب (أخبار الأعيان شرح نظم الجمان في ذكر من سلف من ملوك الزمان) فقد جاء البحث عن هذا الكتاب في فهرس دار الكتب المصرية بما نصه :

« وهو شرح على القصيدة المسماة (نظم الجمان في ذكر من سلف من ملوك الزمان) كلاهما للشيخ عبد الله الشافعي الكاتب » ١ هـ .

وأوله : « الحمد لله القديم في الأزل قبل حدوث الزمان والمكان الخ » ١ هـ . ذكر في مقدمته : « وبعد فاني كنت نظمت قصيدة وسميتها نظم الجمان بذكر من سلف من الزمان . وضمنتها كتابي المسمى بـ (منهج المعارف وبيجة الواصف ... ثم عنّي لي أن أضع لهذه القصيدة شرحاً تظهر به معانيها ، وتبين أحوال من ذكر فيها ، فوضعت هذا الكتاب يتضمن نبذاً من أخبار ... » ١ هـ . ومن هذا النص تقطع بأن المؤلف الشارح هو الناظم ، ومن كتابه هذا ثلاث نسخ في دار الكتب المصرية كل نسخة في مجلد واحد ، الا ان النسخة الثالثة لم يتيسر لنا الاطلاع عليها لأنها كانت في جبل المقطم . ومن ثم علمنا أنها غير مارجحة الأستاذ عيسى المعلوم . والقصيدة في تاريخ ابن أبي عذبة عين

(١) تاريخ العراقي بين احتلالين ج ٣ ص ١٦٢ .

المذكورة في هذا الكتاب . ولعل العثور على كتاب (منهج العارف) ، أو (نظم الجمان) يسهل لنا المعرفة عن المؤلف فيزيل الإيهام . وورد في ذيل كشف الظنون لا سماعيل باشا البغدادي ذكر هذه النسخة أيضاً ولكنه لم يعين مؤلفها .
هذا ونظم الوقائع قديم في التاريخ ، وعندني قصيدة لعل بن الجهم في التاريخ لأيامه . ولعلها أقدم القصائد . ثم جاء آخرون منهم صاحب هذه القصيدة ، ومنهم السيوطي وعديدون . لا محل لذكرهم الآن .
٥ - التاريخ الكبير :

وهذا رأيت في خزانة كتب قراچاي باستانبول برقم ٢٥٩ وهو الأول من التاريخ الكبير ، بخط مؤلفه أحمد بن محمد القدسي الشافعي الشهير بابي أبي عذبة ، قال في مقدمته :

« هذا تاريخ مختصر وضعته على السنين ٠٠٠ بتعين على الذكي حفظه وابتداً بالسنة الأولى من الهجرة ، وانتهى بحوادث سنة ١٣٢ هـ » ١ هـ .
قال في آخره : « أنهى تمامه جامع الفقير الى الله تعالى أحمد بن محمد بن عمر القدسي الشافعي الشهير بابن أبي عذبة ٠٠٠ » ١ هـ . وهنا ابن أبي عذبة واضح جداً لا لبس فيه ، وفي أول الكتاب وعنوانه جاء الاسم بوجه الصحة . وهو مجلد ضخيم . والكتاب نفيس جداً ، يراعي الحوادث منظمة على السنين . وقد أزال بصراحته كل إيهام ، وفي الفهرس اللامع قد ذكر بهذا اللفظ أعني (ابن أبي عذبة) . ولعل الأيام تكشف عن باقي أجزائه . وهذا لا ينبغي كونه التاريخ الكبير وإن جاء أنه تاريخ مختصر على السنين . لأن التاريخ العام مختصر دائماً ، فلا يسهه التفصيل الزائد ٠٠٠

٦ - قصص الأنبياء :

للمترجم ابن أبي عذبة . وقد ذكره الأستاذ عبد الله مخلص ، والدكتور أسعد طلس في مجلة المجمع الغراء لهذه السنة وللسنة التي قبلها كما جاء ذكره في الهلال بمناسبة ما كتبه الشيخ كاظم الدجيلي . وانت المؤلف تعرض لذكره

عند الكلام على (شداد) قال : « وقد ذكرنا ذلك بأبسط من هذا في كتابنا «قصص الأنبياء» وذكرنا ما دخل على الامام الثعلبي من الفساد في هذا الكلام ٠٠٠ » اهـ
ولما ذكر قصة يوسف عليه السلام قال :

« القصة محفوظة قد أفرد الناس فيها مصنفات ، وقد بسط الكلام عليها في (قصص الأنبياء) من تأليفي ٠٠٠ » اهـ .

٢ - سيرة الرسول :

وهذه تكرر ذكرها في تاريخه (دول الأعيان) ، وصرح بأنها من تأليفه .
قال عند الكلام على مولده صلى الله عليه وسلم :

« وقد جمعت له صلى الله عليه وسلم سيرة في جزء مفيد لم أترك فيها إلا ما شئت ، نافعة ان شاء الله تعالى . ذكرت فيها مبدأ أمره وسيرته وغزواته وبعوثه وسراياه ، ومتوفاه ٠٠٠ » اهـ .

وليس لدينا ما نضيفه لعدم الحصول عليها ، وامكان وصفها .
٨ - الملل والنحل :

وفي تاريخ دول الأعيان تكلم في (كيومرث) ، وبين انه ادعى النبوة وان
الفرس الثوية اثبتوا أصلين يزدان وأهرمن . ويزدان عندهم هو الله تعالى ،
وأهرمن هو ابليس . وقالوا يزدان أولي قديم ، وأهرمن محدث مخلوق ، فكان
يزدان وهو النور فكر في نفسه انه لو كان له منازع ، فحدث من هذه الفكرة
الظلمة ، وخلق من الظلمة أهرمن ، وكانت مطبوعاً على الشر ، فخرج على النور
وخالفه طبيعة وقولاً ، وجرت بينهما محاربة ٠٠٠ (الى ان قال) :
قال أبو عبد الله (أي المؤلف) :

« هكذا ذكرت مذهبهم في الملل والنحل من تأليفي على ما نقلت من
مذاهب الناس ٠٠٠ » اهـ .

٩ - معجم بن أبي عذبة :

قال السخاوي وجمع لنفسه معجماً وقفت على جلد يخطه ، وفيه أوهام كثيرة
جداً ومجازفات تفوق الحد ، بل من أجل ما سلكه كان القدر فيه من كثيرين .

ولعلّ هذا هو ما جاء في مخطوطات الظاهرية قسم التاريخ ، فان زمنه يوافق ما ذكر وهذا نص ما هنالك :

« مؤلف هذا الكتاب من علماء القرن التاسع ، فقد ذكر في كتابه امم الأهدل أبي عبد الله حسين بن عبد الرحمن وقال «عصريّنا» . والأهدل توفي سنة ٨٥٥ هـ . والكتاب مرتب على الحروف ... » (١) هـ
ومن المحتمل ان يكون قطعة من هذا الكتاب .

١٠ - المجتلى بأخبار أبي العلاء :

للمترجم في سيرة أبي العلاء . وهذا الكتاب لم يتعرض له أحد عند الكلام على أبي العلاء في مهرجانه ولا في ما كتب فيه .

قال المؤلف في كتابه دول الأعيان في ترجمة أبي العلاء :

« أبو العلاء أحمد بن سليمان المعري الأعمى ، وعمره (٨٦) سنة ، واختلف في عماء . والصحيح أنه في صغره من الجذري ، وهو ابن ثلاث سنين فانه قال ما أعرف من الألوان الا الأحمر ، فاني لما جدّرت ألبسوني أحمر . وكان غشي يمتني حدقته يباض ، وذهبت يسراه . ورحل الى بغداد ، وأقام بها سنة وسبعة أشهر ، ولزم منزله عند منصرفه من بغداد وسمى نفسه رهين الحبسين للزومه البيت ولذباب بصره . وكانت عالماً ، شاعراً ، لغوياً ، آية من الآيات ، وشعره في غاية الرقة والانسجام اليه النهاية ، وطبق ذكره الأرض ، وذكر عنه أقوال وأشعار يدل ظاهرها على فساد عقيدته وسوء طويته . قال ابن دقيق العيد : وكان الرجل في سيرة من دينه . قال الذهبي : والذي يظهر من حال الرجل انه مات متخيراً ، لم يجزم بدين من الأديان ، نسأل الله السلامة . وكان يزعم ان لأقواله باطناً وانه مسلم ، ويقال انه كان يرجع لمذهب الهنود البراهمة لتركه أكل اللحم والبيض واللبن ٤٥ سنة . وما كان يرى إيلام الحيوانات . وله مصنفات كثيرة ، وأشعار جيدة مشهورة لو لا ما شابهها . ومن شعره :

(١) الجلد السادس من فهرس مخطوطات الظاهرية من ١٦٨ رأيت عند الدكتور أسعد طلس

قبل أن ينشر من تأليف الأستاذ الفاضل السيد يوسف العش .

أبا العلا ابن سليمان أن العمى أولاك احسانا
لو أبصرت عيناك هذا الوري لم ير انسانك انسانا
وأوصى أن يكتب على قبره :
هذا جناه أبي علي وما جنيت على أحد
لأنه ما تزوج قط . ولما مات رثاه جماعة من تلامذته ، فقال بعضهم
قصيدة أولها :

سمر الرماح ويض المند تشتور في أخذ ثارك والأقدار تعتذر
وقال الآخر من قصيدة :

إن كنت لم ترق الدماء زهادة فلقد أرقى اليوم من جفني دما « ١ هـ
ثم قال المؤلف :

« وقد ذكرته في مصنف مفرد ، وذكرت أشعاره وما فيها ، وكثيراً من
أقواله ، وسميته (المجتلى بأخبار أبي العلا) (١) » ١ هـ .
وهذا من تأليفه بلا ريب ، ولم نعثر على نسخة منه .
١١ - مراجع تاريخ دول الأعيان :

تراجع هذا الكتاب كثيرة ، ومباحثه موسعة إلا أنني رأيت أن أذكر بعض
المراجع التاريخية التي تقل منها ، وعوّل عليها . وهذه كثيرة جداً . منها :
القضاعي ، وابن الجوزي ، وابن الأثير ، والثعلبي ، وابن وصيف شاه ، والهروي ،
وعمارة اليمني ، والكسائي ، والمسعودي ، والشرشي ، والقرطبي ، وابن عساكر ،
وابن اسحق ، وابن خلكان ، وابن الشحنة ، وابن عربشاه ، وابن خطيب داريا ،
وابن عبد البر ، والشيخ عماد الدين القسمي ، والأصمعي ، وابن هشام ، والزحشري ،
والذهبي ، والطبري ، وابن ظفر ، وسبط ابن الجوزي ، وأبو معشر الفلكي ،
وأبو الفرج الاصبهاني .

هذا بعض ما رأيناه في الجلد الأول بنظرة سريعة لا على سبيل الاستقصاء ،

ولعل ما في الأجزاء الأخرى مما لم يتكرر ذكره أكثر من هذا العدد بكثير .
 وبين هؤلاء مؤرخون ، وقصاص ، وأدباء ، لا تهتمهم إلا الصنعة الأدبية . ومن
 مطالعة تاريخه يظهر ان الرجل منهمك بكتب الأدب وقصصها ، بفجره ذلك
 وأدى به الى نقل حكايات مجالس لا يقصد منها إلا التلذذ ، أو الدعاية ، وان
 ذكر الأعلام التاريخية لا يخرجها عن كونها قصصاً لا تدخل في النقل التاريخي
 الصحيح . ولعل مؤاخذه من جراء ذلك فقد وقع في هذا كثير من المعاصرين
 والقدماء . وكان المرحوم الأستاذ الحاج علي علاء الدين الألومي ينقل عن
 والده الأستاذ السيد نعمان خير الدين الألومي تحامله الشديد على مثل هؤلاء
 ويشنع عليهم ، ويذكر أنهم منحرفون بأهواء اتخذوا الأدب وسيلة ذدا التنديد
 والتثريب . وكتاباته تدل على هذا أيضاً . والمهم هنا تعيين وجهة الكاتب
 أو المؤرخ ، ومعرفة قيمة النقل لما فيه شائبة أو كان خالياً منها . . .

وهنا لا أمضي دون أن أقول ان المؤلف نقل بعض النصوص التاريخية قائلاً
 جاء في (بعض التواريخ) . وعندني تاريخ مخطوط في (الدولة العباسية) الى
 أيام المستنجد بالله الخليفة العباسي لم يعرف مؤلفه فكان هذا التاريخ من جملة
 مراجع نقله ، فقد كان من ذلك الحين مجهول المؤلف ، ولم أتمكن من معرفته .
 وربما عدت الى وصفه لعل في القراء الأفاضل من يعرف بمؤلفه .

ومن ثم نعلم ان هذا التاريخ قد صرفت له جهود كبيرة ، وروجعت مؤلفات
 عديدة في التاريخ وغيره لإبرازه . والآن مع وجود خزائن الكتب لا يكاد
 يجد المرء مجموعة مثل ما وصلت اليه يد المؤلف .

١٢ — كلني الأخيرة :

ان المؤلف قد عرف تاريخه (دول الأعيان) والمجلد الأول من (تاريخه
 الكبير) ، وتعينت بعض مؤلفاته ، ولعل الأيام تكشف عن باقيها .
 أكتفي بهذا . والله ولي الأمر .

عباسي العزاوي

بغداد

(بغداد)

أقرب الموارد

- ٣ -

ح ن ف س - قال الحفصاء : القصير الضخم البطن هكذا بالنون وصوابه الحفيساً مهموزاً غير ممدود .

ح ق ر - قال : احقره واحتقره - استصغره . فعداه بالهمز والمعروف في الفصيح حقره بالتضعيف وأما الهمز فلم أعثر عليه لأحد من الأئمة .

ح ق ل - قال الحقل - ماء الرطب في الأمعاء وصوابه ماء الرطب بسكون الطاء . قال الأزهري أراد بالرطب البقول الرطبة من العشب الأخضر قبل هيج التبت .

ح ل ب - قال . واحلب لأهله أحلاباً واحلابة : حلب لهم وهم في المرعى ثم بعث به إليهم وصوابه وهو في المرعى . وعبارة اللسان « والاحلابة ان تحلب لأهلك وأنت في المرعى لبناً ثم تبعث به إليهم وقد احلبهم وهكذا عداها صاحب اللسان بنفسها ثم ذكرها مرة أخرى كذلك ولعل صاحب الكتاب جاء باللام للتقوية ولكنها بين الفعل ومعموله ليست مستحبة لأن الفعل قوي بنفسه على العمل والأمر في ذلك سهل

ح ل ب - أورد الشاهد هكذا « نحن غداة الحي لما دعوتنا » وصوابه « ونحن غداة العين لما دعوتنا » كما في اللسان والتاج وأورد الشاهد الآخر هكذا « رد في الضرع ما جرى في الحلاب » وصوابه « ما قرا في الحلاب » كما في الكتب المعتمدة

ح ل ت - قال والحليت : البرد هكذا حرّك البرد (ضد الحر) فجعله البرد (حب الغمام) وفي القاموس والحليت البرد وضبطه الزبيدي بفتح فسكون نصاً
ح ل ج - قال : الخلج الكثير الأكل . وقد سقطت منه واو الجمع والصواب الكثير الأكل لأن الخلج جمع

ح ل ز - أورد الشاهد هكذا

« يرفعن للحادي اذا تحلّزا » هكذا بالواو وصوابه للحادي بالدال المهملة .

ح ل س - أورد الشاهد هكذا « ليس بفضل تحسّس حلتّم »

ونصه وفي اللسان « ليس بقصّر » هكذا أشده أبو عمرو وهو لما لك بن مرداس .

والقصّل بالكسر الذي لا يتألك ححقّا .

ح ل ف - جعل محلوفاً من مصادر حلف وإنما الذي ورد منها قول ابن برزج

« لا ومحلوفاؤه لا أفعل » . قالوا يريد محلوفاً فمدها ولو كانت مصدراً لما احتاجت

لهذا التعليل .

ح ل ق م - قال وفي القرآن : « فلولاً اذا بلغت الروح الحلقوم » وصوابه

« فلولاً اذا بلغت الحلقوم »

ح ل ق م - وقال الحلقامة : الرطوبة : فتح الحاء والصواب كسرهما وفي

القاموس رطوبة حلقامة . . .

ح ل ي - قال : قال القرآن « اتخذ قوم مومي » والآية واتخذ

ح م ء - قال وفي القرآن « لقد خلقنا الانسان من صلصال ومن حمأ مسنون »

أما الآية فنصها هكذا (سورة الحجر ٢٦) ولقد خلقنا الانسان من صلصال

من حمأ مسنون . ومن هنا لبيان الجنس لأن الصلصال من جنس الحمأ المسنون

وليس غيره ليعطف عليه

ح م ء - قال والحيء : الرجل العيون هكذا جاء بها على وزن فعيل وفي القاموس

« ورجل تحيء العين كخجل » عيون ولا بد من ذكر المضاف اليه في المفسر

ح م ء - كتب الحمزة في التلمأ الساكنة الميم على صورة الألف مع أنها

اذا وقعت آخر الكلمة بعد ساكن لم يكن لها صورة كالعبء والرزء والدفء

ثم انه قال والحمّ يحذف آخره واسكن الميم شكلاً ولا معنى لاسكان ميم الحم

وإنما هو بعد تقصه محلّ لحركة الاعراب واحسب ان هذين غلط مطبعي

ح م ج - قال : وجمع اليه جدّد النظر هكذا بالجيم وصوابه حدّد النظر

ح م ر - قال وحرارة القدم : ما أشرف فوق أصابعها وقيل ما أشرف بين مفصلها وأصابعها من فوق ، أورد الحرارة بتخفيف الراء أكثر من مرة والصواب تشديدها كما نص عليه في النهاية وكما أوردتها في اللسان وقوله ما أشرف فوق أصابعها لم يذكره أصحاب الكتب المعتمدة وإنما ذكرها ما أوردته صاحب الكتاب مضعفاً بكلمة قيل

ح م ر - أورد الشاهد هكذا

الجر والجر العتيقة والطلّي بالزعفران فلن أزال مردّعا
أو الذي أوردته صاحب اللسان

الجر واللحم السمين واطلي بالزعفران فلن أزال مروّعا
وفي رواية التاج « فلن أزال مبقعا » وأما « والطلّي ومردعا بالبدال فلم يروهما واحد منهما »
ح م ش - قال : وحشت الساق ض . . . و - الرجل حمشا وحمشه :
غضب و - الشر أشد وظاهر ذلك انها من باب ضرب والصواب انها من
باب تعب تعباً .

ح م م - قال وحم المرأة : متعها بالطلاق والصواب متعها بشيء بعد الطلاق
كحمها . والطلاق لا يكون متعة للمرأة

ح ن ث ر - قال الخنثر والخنثري : الرجل الأحمق هكذا فتح أولها
والصواب الكسر نصاً عن التاج

ح ن د - قال « الخنود الحسي وهو البثر والركبة ج حنْد قال بعض أئمة
اللغة وأحسبها الحند من قولهم عين حند لا ينقطع ماؤها » هكذا جاء بها بالنون
ولكن ما حسبه بعض أئمة اللغة هو الحند بالتاء قال في اللسان :
« روى أبو العباس عن ابن الأعرابي قال الحنْد الاحساء واحدها خنود .
قال : وهو حرف غريب (ثم) قال وأحسبها الحند (بالتاء) من قولهم عين حند
لا ينقطع ماؤها .

ح ن ر - قال : حنر الخنيرة ، هكذا جاء بها ثلاثية والمعروف حنر بالتشديد
وأرجح انها غلط مطبعي لأنه لم يذكر بابها من الثلاثي كما هي عادته

ح ن ص - قال : حنص الرجل . ض - كخصاً : مات ، جعلها من باب ضرب وظاهر القاموس انها من باب نصر ثم انه فتح حاء الحنصاوة والصواب كسرهما
ح ن ف - قال : تخنف عمل عمل الحنفية يقال شافعي تخنف ونص الأئمة تخنف عمل عمل الحنفية وهي ملة ابراهيم (عليه السلام) وجعل النسبة الى مذهب ابي حنيفة « الحنفي » (ياء بعد النون) والصواب ان النسبة اليه كحنفي كجهني وثقفي في النسبة الى جهينة وثقيف

ح ي د - قال : حيد السير : قدء . وصوابه جعل فيه حيوداً والحيود يقال لما يتمدد في الحبل من شدة القتل ونص عبارتهم يقال قدء السير فخرّده وحيداً أي جعل فيه حيوداً

ح و ر - قال : كشؤم ناقة ثمود . وصوابه كشؤم حوار ناقة ثمود
وقال الخوار بالفتح والكسر : مراجعة الكلام . جعل الفتح أصلاً والكسر لغة مع ان الكسر هو الأصل لانه مصدر حاوره محاوره وحواراً
ح و ص - قال : اني اجد في بطني حوصاً وبوصاً . هكذا أوردتها بالباء وصوابه ونوصاً بالنون والنوص الحركة

خ ب ء - قال الخبابة : البنت لازومها البيت (بسكون الباء) وفي اللسان والعرب تقول خبابة خير من يفعة أي خبابة بوزن همزة أي بضم ففتح
خ ب ب - قال الخب : الخبل و - حبل الرمل اللاطي بالارض هكذا فسرهم بالخبل بالخاء المفتوحة بعدها باء ساكنة والخبل في اللغة في اخص معانيه ضرب من الجنون . ولم اجد في معاني الخب ما يشبه ذلك ولعله أراد الخبل بالخاء المهملة بدون اضافة الى شيء ثم ثنى في معانيه بحبل الرمل وليس الخبل على اطلاقه من معاني الخب بل هو حبل الرمل اللاطي بالارض فليتأمل

خ ب ث - قال في نص الحديث فلا يقربن مجلسنا . ونص الحديث مسجدنا
خ ب ر - قال : خبر الشيء وخبره و - به . ر . و - له . ل . خبراً وخبراً وخبرية وخبرية وخبرية : علمه (الخ) أما خبر خبراً فهو لازم لا يتعدي

بنفسه بمعنى صار خبيراً وقد سمع قولهم لا خُبْرَنَ خُبْرَكَ كما مثل له هو حيث
عمل في المفعول المطلق فتوهم انه متعد الى المفعول به كخَبَّرَ من باب نصر فقال
وَتَخَبَّرَ الشَّيْءَ وَتَخَيَّرَهُ

خ ب ر - وقال : اعطاء خَبَّرْتَهُ اي نصيبه . هكذا بكسر الخاء والصواب
ضمها وسياقه يدل على ذلك فهو إذا غلط مطبعي .

خ ب س - قال الخبىس : آخر اظاء الابل . تبع في هذا القول صاحب
التكملة والذي عليه جمهور الأئمة انه احد اظاء الابل لغة في الخمس

خ ب ل - جعل خَبَلَهُ الحَب من باب نصر وصوابه من باب ضرب
كما في المصباح والمختار

خ ت ر ب - قال ختربه : قطعه وغطاه (بعين معجمة بعدها طاء مهمله)
وصوابه وعضاه (بعين مهمله بعدها ضاد معجمة) أي فصله عضواً عضواً

خ ج ل - قال : وفي الحديث انه قال للنساء اذا شبعتن خجلتن أي فعلتن
ما يوجب الخجل والحياء اما نص الحديث فهو « اذا جعتن دقعتن واذا شبعتن
خجلتن اي اشرتن وبطرتن » . وقد عدل عن تفسير الأئمة للحديث من الاشر
والبطر الى ما يوجب الخجل والحياء والفرق بين العبارتين واضح من حيث الكياسة
خ ج ي - قال الأنجى : الانجح . هكذا قدم الجيم وآخر الحاء والصواب
العكس وأحسب انه غلط مطبعي

خ د ب - جعل خدب خدباً من باب نصر وهو من باب ضرب كما في اللسان
خ د ج - قال وأخدج امره : أحكمه والصواب لم يحكمه . قال في مستدرک
التاج يقال أخذج فلان امره اذا لم يحكمه وانضج امره احكمه فالساقط من عبارة
صاحب الكتاب خمس كلمات فانقلب المعنى الى عكسه

خ د ش - قال والمُخْدَش : كاهل البعير ، وقد ذكر الأئمة في فعله خَدَشَهُ
يُخْدِشُهُ خَدَشًا وَخَدَشَهُ لِلتَّكْثِيرِ ولم يذكرُوا اخْدَشَهُ واما في الكاهل فقالوا
مُخْدَشٌ كَنَبَرٌ وهي من صيغ المبالغة ومُخْدَشٌ وَمُخْدَشٌ كَمُعْظَمٌ وَمُحْدَثٌ

خ ذل - جاء بالشاهد « وكأنها عياء ام جويذر » وصوابه عيناء واحدة العين وهذا غلط مطبعي

خ رب - قال خرب الجدار : ضدهدمه مع ان الخراب يصدق على الهدم وفسر اهل اللغة التخرب بالتهدم فكيف يكون ضداً له

خ رب - وقال : تخرب القادح الشجرة . هكذا بالتاء المثناة وتشديد الراء والصواب تخرب القادح الشجرة بالنون

خ رب - وقال الخربة : موضع الخراب ج خرب جاء بها وزان عنب والصواب خرب بفتح فكسر وزان حذر

خ رب ق - قال الخرنبق : اللاحق بالأرض هكذا بالخاء المهملة وصوابه اللاصق بالصاد المهملة

خ رج - قال خرجه : جعله يخرج . وهذا غريب منكر لم اره فيما رأيت من كتب الأئمة واحسب انها بعيدة عن الاستعمال وان صححت في القياس لشيوع المضاعف في معنى جعله ضرورياً ولو انما

خ رج - وقال المخرج . . . وامم مكان يقال ادخاني مدخل صدق . وهذا من عدم الكياسة لأنه ذكر الآية القرآنية ودل عليها بكلمة يقال

خ رز - قال : ما ينظم في السلك من الجذع والودع هكذا بالذال المعجمة والصواب بالزاي

خ رم - ضبط الخرومات بسكون الراء وفتح الواو والصواب العكس خ رب - جاء بالخزبة لمعدن الذهب وهي معرفة باللام مع انها علم للمعدن كما صرحوا به وحكمها حكم أسامة للأسد اوجهينة للقبيلة المعروفة

خ زر - قال خزر الشيء : ضيقه . مع ان الخزر خاص بتضييق العين خ زق - قال وعليه الحديث : « ما خزق المراض فكُل » والذي في النهاية لابن الأثير « وفي حديث عدي قلت يا رسول الله انا نومي بالمراض فقال : كل ما خزق وما اصاب بعرضه فلا تأكل » فليس الحديث كما رواه وشرط النقل الأمانة

خ ز م — قال : يقال أعطوا القرآن خزائمه ، وهذا حديث ونصه « ومرضهم ان يعطوا القرآن بجزائهم » قال ابن الأثير يريد به الاتقياد لحكم القرآن والقاء الازمة وصاحب الكتاب حرّف الحديث واخلّ - بالمراد

خ ز ي — قال : وفي حديث الشعبي « وقعنا في خزبة لم نكن فيها إلا بررة أتقياء » وهكذا تقض النبي بالا مع ان الحديث « لم نكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء »

خ ز ي — قال كلام مخزّي : يستحسن هكذا على صيغة المفعول من خزي صوابه مخزٍ على صيغة الفاعل من أخزى

خ ش ب — قال واختشب السيف : اتخذ خشكاً . هكذا حرّك الشين فأوهم انه اتخذ من مادة الخشب والصواب أخذ خشباً يسكون الشين أي مخشوباً قبل ان يحكم صقله

خ ش ب — قال : هم خشب بالليل لا يتمجدون . هذا مقتطع من الحديث في ذكر المنافقين « خش بالليل صخب بالنهار » قال في اللسان بضم الشين وتسكن تخفيفاً خ ش ب — قال ومال خشب : هنلى . وقد ضبطه الصاغاني ككتف

خ ش ش — قال : الخشاش بالكسر . . . و — العود يجعل في عظم انف البعير الواحدة خشاشة ، هكذا كسر في الجمع وفتح في المفرد والصواب الكسريهما . خ ش ف — قال خشف الخشف بالقوم خشافة : دلّ بهم . . . خشف :

دل على الطريق . هكذا اختصر وخلص كلام الأئمة ونص التاج « خشف بهم خشافة كسجاية وخشف تخفيفاً اذا مضى بهم » ، وكل ما ورد من الشرح بدل على السير والذهاب واصل معنى الخشوف الصوت والحركة والفعل من حدّ نصر وضرب خشوفاً وخشفاناً محرّكة اذا ذهب في الأرض والخشف الدليل الماضي ولعل العبارة الأخيرة حملت صاحب الكتاب على هذا التلخيص الناقص

خ ص ر — قال الخاصرة : ما فوق الحرقفة والقصيرى وقيل ما فوق الطفطفة والشراسيف . والتفسير الثاني يجعل الخاصرة فوق الطفطفة وتفسير اهل اللغة

بدل على العكس قال في التاج « وما فوق الخصر من الجلدة الرقيقة الطفطفة »
 مكذا في المحكم وغيره وفي اللسان نفس العبارة وهي كما ترى جملة مستقلة
 للتعريف بالطفطفة وليست من - تفسير الخاصرة

خ ص ص - جاء بالشاهد « واذا تصبك خصاصة فتحمل » بالخاء المهملة وصوابه
 فتجمل بالجيم كما في اللسان وهو من التجميل واظهار الغنى .

خ ص ل - قال خصالهم . ن . خصلاً وخصالاً : فضلهم ، هكذا من الفضل
 والصواب نضلهم من النضال . ولم يفته معنى النضال فجاء به بعده ولكن الفضل
 لم يكن من معاني الخصل فن اين أتى به ؟؟ ومن الذي نص عليه ؟

خ ض ب - جعل الخضة (بفتحين) للمرأة الكثيرة الخضاب وصوابه
 الخضة كهزة .

خ ض ر - قال اختضر الفاكهة : أكلها قبل إتمامها وصوابه كما نص عليه
 الأئمة قبل إتمامها اي قبل ادراكها

خ ض ر - وضبط الخضر في حديث علي « ليس في الخضر زكاة » بضم
 ففتح وزان زُفر وصوابه بفتح فكسر وزان حذر

خ ض ع - جعل خضاعاً من مصادر خضع وفتح أولها ولكنه الخضاع
 بالكسر وهو من مصادر خاضع المرأة اذا خضع لها بكلامه وخضعت له فطمع بها

خ ط ف - جاء بالشاهد هكذا « رأى الموت في عينيه أسود احمر »
 والراوية فيه « رأى الموت رأي العين » والراوية الأخرى « رأى الموت بالعينين »
 والباء هنا للاستعانة وليس للظرفية هنا محل

خ ظ ظ - قال خظ الرجل : استرخى بدنه وانдал وقد تبع في عبارته صاحب
 القاموس وصوابه اخظ الرجل استرخى بطنه وانдал كما في اللسان والتاج والتكملة والعياب

خ ف ر - قال وخفر بالعهد : وقي به . وهذا غريب لأن خفر العهد ضد
 الوفاء به وكأنه استخرج الخدبة من لازم قولهم خفرو بمعنى اجاروه فهل له ذلك
 وهل هذا صحيح ؟ ؟

خ ف ر - قال وخفر الزرع : شرحه لم أهد إلى المراد من شرح الزرع ولم أجد ما يشبه هذا المعنى في كتبهم

خ ف ث ل - ضمّ الخاء من خفثل وصوابه الفتح وزان جعفر

خ ف ج - قال : الخفج ككتف والصواب الخفج كأمير كما في القاموس وفي اللسان والغليظ مكان الضيف

خ ف س - جعل تخفه خفّساً من باب نصر وهو من باب ضرب

خ ف ي - أتى بالتباعد « خفاهن ودق ذو سحاب مركب » ورواية اللسان والتاج من سحاب مركب ورواية ابن يري من عشي محلب فمن الجارة لم تتغير على اختلاف الرواية فما بال صاحب الكتاب أحل محلها ذو

خ ف ي - قال : والخفاء أيضاً الكساء . ففتح الخاء والصواب الكسر وربما فتحوه في معنى الغطاء على أشكال

خ ف ي - قال الخفية : الركية والغیضة الملتفة وليست الخفية الركية على إطلاقها بل هي إذا تركت واندفت ثم حفرت فلا بد من ذكر ذلك ليتم المعنى المراد بها
خ ق ق - قال الخق بالضم : الغدير اذا جفّ وتلّج وفي كتب الأئمة وتقلّع ، جاء به صاحب الكتاب مضموم الأول نصاً وصوابه الفتح كما جاء أكثر من خمس مرات في اللسان وأحلّ تلّج محل تقلّع ولا مناسبة بين معنى المادتين ولا بين جفاف الغدير والتلّج الا اذا كان اقتبس من التلّاع العامية للحد الذي يقلّع من الأرض ويرمى به وهذا في الفصيح القلاع لأن أصل مادته القلع وأراه تعمد هذا التبديل بدليل قوله بعد قوله وتلّج « وفي اللسان وتقلّع » وكأنه لم يرضه قول صاحب اللسان فعدل عنه .

خ ل ب - قال الخلب بالكسر الظفر و - - حجاب الكبد وقيل غلاف البطن و - الخيل منه (كذا) و - ورق الكرم ، فها هو الخيل من غلاف البطن وقال حجاب الكبد وعبارة القوم حجاب القلب او حجاب بين القلب والكبد او لحية رقيقة تصل بين الأضلاع والكبد . وعلى ذكر الخيل قال الأئمة ان

الخَلْب بالضم حَبْلٌ دقيق صلب القتل من ليف أو قنب أو جبل من قطن ولعل القطن تحرف عليه بالبطن فقال حبل من غلاف البطن وقوله ورق الكرم . هو ليس على إطلاقه بل الخلب العريض منه

خ ل ب ب - قال الخَلْبُوبُ : الخداع المكار وصوابه الخَلْبُوبُ بياءين . محرّكاً كما في التاج

خ ل د - قال أي مقرطون مسودون بالدال وصوابه مسورون بالراء من السوار
خ ل ط - جاء بالآية الشريفة بقوله « وفي القرآن ان كثيراً من الخلطاء يعني » ونص الآية « وان كثيراً من الخلطاء يعني »
خ ل ع - قال وخلق قائده : أزاله بالزاي وصوابه اذاله بالذال المعجمة اي اهانته .

خ ل ف - وقال في جمع الخليف تخلف والصواب تخلف وجعل خلف بمعنى استقى وما بعدها من باب ضرب . وكلها من باب نصر كما هو الظاهر من القاموس ومثل للخلف بمعنى الولد مطلقاً بقولهم « عدم الخلف ولا بش الخلف » وليس هذا صالحاً للتمثيل بالمعنى المراد وإنما الذي مثلوا به قولهم « نعم الخلف وبش الخلف » وأما العدم فقد ذكره صاحب التاج بأنه على مثال ضده (أي الخلف) وهو العدم والتلف
خ ل ق - قال : خلق الأديم قدء قبل ان يقطعه والصواب قدءه وقامه قبل ان يقطعه ، وهل القدء غير القطع ؟؟

خ ل ق - تبارك الله احسن الخالقين أي المقدرين أو الصانعين أو هو مبني على زعم الزاعمين ، أنا لم أفهم مراده من قوله أو هو مبني على زعم الزاعمين والزعم مطيئة الكذب وأين عمل الزعم من هذه الآية الكريمة وصدر الآية في بيان تطور خلق الانسان في بطن أمه وقد حذف صاحب الكتاب الفاء من تبارك التي تربط أول الآية بآخرها

خ ل ق - قال : الخَلْق (هكذا بصيغة الفاعل) التام الخلق المعتدله وهو في اللسان لهذا المعنى بصيغة المفعول واستشهد له بقول البرج بن مسهر

فلما ان تنشىء قام يخرق من الفتيان مختلف هضم
ولكن صاحب الكتاب اورد هذا الشاهد بمعنى انه خلق خلقه تصليح للملك
خم م د - وقال في تخر من باب علم . و - المزايدة : خرز ناحيتها وعلاها
بخرز آخر وصوابه أنها من باب نصر

خم م س - وقال : خمس القوم . ن . خمساً : أخذ خمس أموالهم و - كان
خامسهم فجعلها من باب واحد وهو باب نصر . مع ان الأولى من باب نصر
والثانية من باب ضرب .

خم م ص - قال وفي الحديث : «خماص البطون من أموال الناس
خفاف الظهور من دماءهم» أي لم يأخذوا أموالهم ولم يسفكوا دماءهم لكن
نص الحديث في اللسان «خماص البطون خفاف الظهور» ثم قال صاحب اللسان
مفسراً اي انهم أعفّة عن أموال الناس فهم ضامرو البطون من أكلها خفاف
الظهور من ثقل وزرها وصاحب الكتاب خلط التفسير بنص الحديث ولم يجيء
بالتفسير على ما فسروه به وتصرف في شرح المعنى كما أراد لا كما أراد
المضطلمون بالكتاب والسنة !!

خم م ص - وقال الخمسان الحشى والخمسان الحشى بفتح الخاء وضمها :
الضامر البطن يخماص وهي خمصانة ونص القاموس «رجل خمصان بالضم
وبالتحريك وهذه (اي التحريك) عن ابن عباد

وكذلك ذكر الحديث «كان خمسان الأخمصين» بالفتح ونصه عند الأئمة بالضم
خم م ص - وقال : يقال لبس البطنة خيراً من خمصة تتبعها وصوابه ليس للبطنة
خيراً من خمصة تتبعها وقد انقلب المعنى بهذا التحريف من مدح الخمصة الى ذمها .
خن ه - قال خذا الجزع خناً : قطعه وصوابه الجذع بالذال المعجمة
واحد جذوع النخل

خن ب - فتح خنابة الأنف والصواب كسرهما
خن ظ ل - قال والخنظل القطار وصوابه العطار أي بائح العطر

خ ن ف س — قال : أَخْنَفَسَ من الأبل وصوابها الْخَنْفَسَةُ كَمَا بَطَلَتْ كَمَا وَزَنَهَا
صاحب التاج .

خ ن ن — وقال : أصيبت الأبل بِالْخَنَاتِ فكسر أوله وصوابه الضم
لأنه من الأدواء .

خ و ت — قال في تَخَوَّتْ و — تَخَوَّتْ حديث القوم : أخذ منه فتخفظه
وقال في اختات حديث القوم مثل ذلك والبصواب فيها فتخطفه هذا ما ذكره
أهل اللغة والاختطاف غير التحفظ .

قال في الخوخة وهي في قوله : « سَدُّوا عَنِّي كُلَّ خَوْخَةٍ فِي الْمَسْجِدِ غَيْرِ
خَوْخَةِ أَبِي بَكْرٍ » بمعنى البويب

وهذا حديث نبوي ونصه كما في النهاية : « لا يبقى في المسجد خوخة إلا
سَدَّتْ إِلَّا خَوْخَةُ أَبِي بَكْرٍ » وفي حديث آخر « الا خوخة علي » والخوخة باب
صغير كالنافذة الكبيرة ١٠ هـ . فقد حُرِّفَ الحديث كما ترى

خ و س — جعل خاست الجيفة من باب نصر وكذلك خاست البضاعة
وهما من باب ضرب .

خ و ف قال : هو يأخذهم على تخوف . وهذه آية قرآنية نصها « أو يأخذهم »

(النبطية)

اصمحر رضا

الملك الظاهر بيبرس

- ٣ -

وفوجي بيبرس وهو في مصر بأمر لم يكن في الحسبان : ذلك أن فقراء الصوفية هاجوا على شيخه الشيخ خضر . ومن مواضع العجب ان يستسلم عقل بيبرس الجبار الى هذا الشيخ وأباطيله . وما ذاك إلا لأنه كان بشره بالملك فناله فعد بيبرس هذا الاتفاق كرامة للشيخ فأسلمه قياده . وشده ما كان لأمثال هذا الاتفاق من أثر ممي في تاريخ الاسلام وفي عقلية المسلمين . فبنى له زاوية وكان يستشيريه ويطلعه على أسرارهِ . ويستصحبه في أسفاره . وقد عناه ابن رضوان بقوله في مدحة للملك الظاهر :

(لما رأينا الخضر يقدم جيشه أبداً علحنا أنه الاسكندر)

وكان يخبره بالمغيبات فتقع كما قال . وسمى أحد أولاده خضرأ تفاؤلاً باسمه فكبرت نفس الشيخ خضر . وامتدت أصابعه الى اللعب في المملكة . وتعدى طوره الى ما فيه إخلال بالأمن فتعرض للمعابد غير الاسلامية . يتصرف فيها برأيه : ففي دمشق استولى على كنيسة اليهود . وعمل فيها سماعاً للصوفية . ومدت لهم سباطاً . لكن هؤلاء الصوفية أنفسهم عادوا فثاروا عليه وأنكروا من أعماله ما لا يسوغه عقل ولا يصدر مثله من مسلم . فامتدعاه السلطان وجمع بينه وبينهم . ولما علم صدق مقالهم استشار الأمراء فيه فأشار بعضهم بقتله . وبعضهم بحبسه . وشعر الشيخ خضر بميل السلطان الى الرأي الأول فقال له : (إن أجلي منوط بأجلك فإن قتلني لحقتني) فخاف الملك وحبسه وذلك (سنة ٦٧١ هـ) وبعد خمس سنوات توفي الشيخ خضر فبلغ الملك وفاته وكان في دمشق فاضطرب ومرض ومات بعد أيام كما يأتي . وقبر الشيخ خضر معروف الى اليوم .

باسم (زاوية سيدي خضر) بشارع راس التين في الاسكندرية ^(١) .
 واتفق ان هدم بيبرس احد قصور الفاطميين فوجد فيه امرأة في صندوق
 وقد نُقش عليه اسم الظاهر وصفته . وهذا بالطبع يسره ويُعلي من شأنه .
 والصندوق قد يكون هبأه من قبل تمخرق كالشيخ خضر أو أنه فرعوني قديم
 وقد كتب عليه كلمة هيروغليفية فحرفوها الى بيبرس .

واحتفل بزفاف ابنه الملك السعيد فرسم أن يجتمع العساكر في (قره ميدان)
 تحت القلعة فبقوا خمسة أيام وهم في مهرجان أو عيد يمثلون معارك حربية وفصولاً
 هنالية . والناس من حولهم يلهون ويلعبون وخلع على رجال الدولة نحو الف وثلاثمائة
 خلعة . وأرسل مثلها الى دمشق . وُمِدَّت الأسمطة وحضرها رسل الافرنج والتتار .
 والملك جالس على تخت من آبتوس مذهب أنفق عليه الف دينار وقدم الامراء
 الهدايا حسب العادة فلم يقبل من كل منهم سوى ثوب واحد جبراً خاطره .
 قالوا (ولم تُمكن واحدة من نساء الأمراء على الإطلاق من الدخول)
 ولم أفهم معنى هذا .

وبعد ذلك شخص الملك الى دمشق وهي سفرته الأخيرة . ومنها الى حلب
 فأقام في قرية (حيلان) ذات العين الفوارة . ونهض منها فالتقى بالتتار وحلفائهم
 من بني سلجوق على نهر جيجان فكانت معركة حامية الوطيس (وكان الملك
 يكره على العدو كالأسد الضاري ويقتحم الأهوال بنفسه ويشجع أصحابه ويعطيه
 لهم الموت في الجهاد الى أن انزل الله نصره) وانكسر التتار اقبح كسرة .

(١) وقصة الشيخ خضر مع بيبرس صورة مكبرة لقصة الشيخ سليمان مع بربر . وذلك
 ان مصطفى آغا بربر الذي استبد بحكم طرابلس الشام قبيل دخول المهرين الى سوريا كان
 يعتقد بولاية شيخ اسمه الشيخ سليمان وقد أسكنه معه في قلعة طرابلس وكان هذا الشيخ
 يقول لبربر أبشر يا أقرع إنك لا تموت إلا على فراشك . وكان لا يخرج من القلعة أصلاً
 وبربر من عامة الناس لكنه أعرف الناس بطبيعة الناس فأصدر فرماناً يجلس الشيخ سليمان
 في القلعة وعدم خروجه منها مدة حياته فغضب الشيخ سليمان على بربر وما زال به حتى قضى
 حكمه عليه واسترد حريته وجعل يخرج من القلعة الى حيث شاء .

وُقتل من قوادهم جماعة كما استشهد من امراء يبيرس طائفة وأسرى من كبار
السلجوقيين طائفة . وهرب وزيرهم الأكبر المسمى (يروانه) الى عاصمتهم
(قيصرية) فأخبر سلطانه (غياث الدين) بما جرى فهرب الى توقات . وقامت الشعراء
تهنئ يبيرس وتتغنى بذكر بطولته وبطولة أمراءه . ولحق الملك بالمنهزمين الى (قيصرية)
فمر بقريه أهل الكهف وهي (أفسس) الى ان دخل قيصرية ومشى اهلها بين
يديه . وجلس على عرش ملوكها السلاجقة . وخطب فيها باسمه وهادى أولاد
(قرمان) . وهم أمراء كان لهم شأن في ذلك الزمان والمكان . وعاد فمر بمكان
المعركة فقليل له ان عدة من قتل من المغول وحدهم (٦٧٧٠) نفساً .
وعاد الى دمشق في ٧ محرم سنة ٦٦٧ وتزل بقصره الأبلق في المرجة .
وقد بلغه ان التتار يجهزون للكرّة عليه فأوجس خيفة لأنه شعر بوعكة وتعب .
ثم بلغه ان ملك التتار عاد الى بلاده منهزماً فكان ذلك من لطف الله به :
إذ أن وعكته استمرت ثمانية عشر يوماً على أثر إكثاره من شرب القمح الذي
وصفناه في اول المحاضرة وقتلنا إن (يبيرس) كان مولعاً به لأنه الشراب الوطني
لقومه . شعر يبيرس في أول الأمر بحرارة في جوفه فوصف له مقيء ثم مسهل
ثم مسهل آخر أشد من الأول أعقبه تزييف ثم اشتدت حمّاه . وضعفت قواه .
وهكذا اسلم روحه الى الله .

وذكر بعض المؤرخين لموته أسباباً ربما كان في بعضها بعض الصحة : ذلك
ان القمر كسف كسوفاً كلياً وأظلمت الدنيا على أثره . فتأولوه بموت رجل
عظيم فخشي الظاهر ان يكون هو ذلك العظيم . فرأى أن يفدي نفسه بالملك
القاهر الذي كان من عظماء مملكته . وهو ابن المعظم عيسى بن الملك العادل
(جارتنا الأدي) وكان يبيرس يحسد القاهر هذا على بطولته . وعلى لهج الناس
بالثناء عليه . ويقال إن القاهر عاب الملك الظاهر في بعض ما كان منه في
حرب التتار . كل ذلك حمّاه على الفتك به . فيتخلص من منافسته له أولاً

ويكون فديةً عنه ثانياً . فـدس له سماً في هـنـاب^(١) شراب القـحـز (والهناب قدحُ الشراب الضخم) وقام القاهر من المجلس الى فراشه ومن فراشه تَوَّأ الى قبره . وغلط الساقى فسقى الظاهر بالهناب المسموم الذي شرب به القاهر ونسي ان يفصله من أثر السم . فكان ذلك هو السبب في موته . وقد عُدت قـتـله للقاهر من أقبح المآثم التي كان ينبغي أن يتورع بيبرس عنها .

وكانت وفاته في ١٤ محرم سنة ٦٢٦ وعمره احدى وخمسون سنة ومدة ملكه ثماني عشرة سنة . فكتم الأمراء خبر موته عن الناس ونقلوه سراً من القصر^(٢) الأبلق الى قلعة دمشق . فحفظوه وعلقوا تابوته في غرفة من غرفهم . وكتبوا الى ابنه الملك السعيد بالخبر . واستأذنوه في مكان دفنه . لأن الظاهر أوصى ان يدفنه على طريق (داريا) في مكان قريب منها . فلم يرض ابنه إلا أن يُدفن داخل سور دمشق . فابتاعوا دار العقيقي الواقعة أمام مدرستنا هذه بستين ألف درهم فهدمت وُبُنيت مدرسة للشافعية . ودُفِن الظاهر في زاويتها الجنوبية . وفي الزاوية الشمالية حمام ما زال يعرف بحمام العقيقي الى اليوم .

(١) لفظ هـنـاب من الألفاظ الصليبية الدخيلة انتبسه المسلمون في أثناء الحروب الصليبية

من الألمانين واسمه في انتم (hnab) .

(٢) القصر الأبلق هذا ويسمى الجوسق أيضاً ، والجوسق كلمة تركية عربها العرب من كلمة كوشك) بناء الظاهر في مرحلة دمشق بالحجر الأسود والأصفر ولذا سمي الأبلق وهو (يشتمل على قاعات مفروشة بالرخام الملون المنسل بالصدف والفضة المذهب وله رفارف تناعى السحب وتشرف على المدينة والنخوة) وقد كتبت على أسكفته انه (عمل ابراهيم بن غناتم سنة ٦٦٨) وهو المهندس المصري المشهور الذي بنى المدرسة الظاهرية حيث مدفون الملك الظاهر وابنه الملك السعيد وعلى زاوية أسكفتها العليا كتبت العبارة المذكورة نفسها (عمل ابراهيم ابن غناتم) وبقي القصر الأبلق حتى هدمه تيمورلنك سنة ٨٠٣ ولبت متهدأ حتى بنى السلطان سليمان الثاني تكية من أقامه سنة ٩٦٢ هـ وكان على واجهته منة أسد منزلة صورها بالحجر الأسود في الأبيض وهناك أخرى بالحجر الأبيض في الأسود . وصورة الأسد هي (رنك) للـك بيبرس أي شعاره الخاص وما زال هذا الشعار الظاهري منقوشاً على بعض أحجار التكية السلمانية وبارزاً لعين من يراه . .

واشتهرت المدرسة باسم المدرسة الظاهرية وكان تقل جثثانه اليها في ٥ رجب فيكون قد بقي في تابوته معلقاً في القلعة ستة أشهر إلا أياماً .

*
**

هذا ما استطعنا ان نلخصه من أخبار جارتنا الملك الظاهر . وقد اتفقت كلمة المؤرخين على أنه اعظم السلاطين الذين ملكوا مصر والشام بعد صلاح الدين . ويحيى بعده المنصور قلاوون . وهؤلاء الثلاثة لهم الفضل الأكبر في جلاء الصليبيين عن الديار الشاميه وكانت مراكزهم الكبرى (القدس) و (انطاكية) و (طرابلس) : صلاح الدين أخرجهم من القدس . والظاهر من انطاكية . وقلاوون من طرابلس .

قال الذهبي (وكان الظاهر خليفاً بالملك لولا ما كان فيه من الظلم) وقديماً قالوا : لا يقوم الحق الا على شعبة من الباطل . ولم يبق فاتح من كبار الفاتحين ويستتب له سلطان من دون ان يرتكب شيئاً من الظلم والعدوان . من ذلك ما ذكرنا من اغتيال الظاهر للمعظم توران شاه ابن الصالح ايوب . ثم اغتياله الملك قطز . ثم المغيث ملك الكرك وهو من سلالة بني أيوب . ويروى ان السبب في قتل الأخير تعرضه بالسوء لامرأة الظاهر مذ كانت في الكرك . وأخيراً قتل يبرس الملك القاهر دسماً بالسهم .

وأفزع من هذا كله قتله الذي أسير من الصليبيين بعد أن أمّنهم (كرمون التاري) وهم يظنونهم يبرس كما ذكرنا في فتح صفد فأشبه يبرس في فعلته هذه (نابوليون بونايرت) الذي قتل الذي أسير مسلم في يافا بعد رجوعه خائباً من عكا . وقد عاب المؤرخون عليها فعلها غير أن بعضهم التمس لها عذراً بأن أسرى صفد وأسرى يافا تقضا عهد النابوليونين ولم يطبقوا شروط الصلح التي اتفقوا عليها . وللظاهر مثابه أخرى بنابوليون . ومنها النبوغ في فن الحرب وقلقلة الركاب في أطراف البلاد ونشاط الحركة في الكرك والفر . وكان الظاهر يباشر الحروب بنفسه ويشارك جنوده في هدم الأسوار أحياناً ويعتني بالمرضى والجرحى معهم .

وكان مشتغلاً بهدم سور قيسارية يوماً فورد إليه كتاب من أمرائه يشكون له ما لاقوا من أسوار (البيرة) فكتب اليهم (إنا بحمد الله ما خصصنا عنكم براحة ولا دعة . ولا انتم في ضيق ونحن في سعة . ما هنا إلا من هو مباشر الحروب الليل والنهار . وناقلُ الأشجار ومرابطُ الكفار . وقد تساوبنا في هذه الأمور . وما كنتم ما تضيق به الصدور) فهو كنايليون يتألف رجاله وينصفهم من نفسه ويحملهم على التأمي به . وأرسل الرسل مرةً الى (ييموند) صاحب طرابلس ورافقه في زي خادم كي يتعرف خبايا البلد ويدرس طرق الاستيلاء عليها . وتقض ملك الروم عهده فاستقدم اليه أساقفة مصر وسألمهم عن حكم نقض العهد في دينهم فقالوا حرام . ومن فعله 'يحرم' من دينه وكتبوا ذلك في كتاب فألف بيبرس بعثةً اكبر كية من راهب وأسقف وقسيس وأرسلهم الى القسطنطينية يبلغون الملك قرار الحرمان . لكن الملك البزاسي ارعوى عن غية واسترضى الظاهر وجدد له بناء جامع القسطنطينية الذي بناه الأمويون في صدر الاسلام فأرسل الظاهر الى الجامع السجاجيد والمباخر وقناديل الذهب .

وقد ظهر لنا من تضاعيف أخبار بيبرس أنه لم تكن له أنسة ولا اهتمام بالموسيقى والشعر والشعراء . ولا بمجالس الأدب . ومحافل الطرب : فان السياسة وحب الفتح والنكابة في العدو وعمران البلاد وتشديد المباني والآثار - كل ذلك شغله عما سواه . نعم كان 'يعني' بنشر العلوم الاسلامية على اختلاف ضروبها فقد بنى لها المدارس وعين لها الفقهاء . وأعاد الجامع الأزهر الى ما كان عليه في العهد الفاطمي بعد ان خمل شأنه في العهد الصلاحي . ولم يكن له شعراء ومغنون 'يحيون' بحالهم ويعيشون بجوائزه . كما كان لغيره من الملوك وهذا لعمرى من ممادحه . وغرّة مناقبه : فإن حراسة البلاد والقيام بأعباء الملك جدير أن يشغل صاحب الملك عن اللهو وصنوف الدعة والرفه . وبذلك على شدة اهتمامه بحراسة البلاد الاسلامية قوله لبعض امرائه وقد اشار الأمير عليه بملاينة التتار فانتهره بيبرس صائحاً : (انتم سببُ هلاك المسلمين) .

وكل ما في الأمر انه اصطفى لرئاسة ديوان انشائه أديباً من الكتاب
(وهو يحي الدين بن عبد الظاهر) فكان ينظم احياناً الشعر مهنشاً له . وواصفاً
أعماله . من ذلك أن الملك يبرس حاصر عكا فلم ينل منها . ورجع الى عكا
ففتحها فقال يحي الدين :

يا مليك الأرضُ بُشرا ك فقد نلت السعادة
إنَّ عكا لعمرى هي عكا وزيادة

ولما أوقع الملك بالتار على شاطئ الفرات هناك كاتبه بقصيدة عارض فيها
قصيدة ابن هاني الأندلسي في المعزة الفاطمي التي أولها :
ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فانت الواحد القهار
فقال يحي الدين :

سر حيث شئت لك الميمن جار واحكم فطوع مرادك الأقدار
ومنها وهو معنى أظنه مبتكراً :

رشت دماؤهم الصعيد فلم يثر منه على الجيش السعيد غبار

ولو قال (بلت) مكان (رشت) لكان أجود .

ومما يدل على ان يبرس ما كان يحفل بكل ما يسمونه أدباً وأدباء وشعراً
وشعراء — بحافاته لمؤرخ الأدباء والشعراء القاضي ابن خلكان فقد عثر له من
قضاء دمشق بعد ان قام به مدة عشر سنين . وكان المؤرخ ابن خلكان
اراد ان ينتقم منه فلم يذكر له ترجمة في تاريخه كما ترجم لغيره من الملوك ممن
لا يقاس به ولم يفرق قريه .

ومن شعراء عصره السراج الوراق وابو الحسين الجزار وابن الخشاب .
ولم يكن لهم فيه مدح يذكر . وشعر يثر . ولم ينقل عنه أنه اجازهم بالأموال
والبدر . وكانوا اذا نظموا فيه قالوا شعراً متكافئاً . وسلكوا في مدحه طريقاً
متعسفاً : من ذلك ما قالوه في مدرسته التي بناها في القاهرة ويقال انه بناها
بخصته من غنائم انطاكية .

قال السراج :

ملك له في العلم حبٌ وأهله فله حبٌ ليس فيه ملام

وقال الجزار :

ألا هكذا يبني المدارس من بني ومن يتغالي في الثواب وفي الثنا

وقال ابن الخشاب :

قصد الملوك حماك والخلفاء فافخر بأن محلك الجزاء

الى آخر القصائد وهي ليست مما اعتاد ان يقوله أمثال هؤلاء الشعراء في أمثال ملك عظيم كالملك الظاهر وما كانوا يقولوا هذا فيه لو أكثر لهم الله . إذ لا يخفى ان الله تفتح الله ولم يكن هذا بخلاً منه فقد مرّ انه كان يمنع رجاله الأموال الطائلة لكنه مشي في معاملة الشعراء على اثر عمر بن عبد العزيز . وكان الظاهر يحب التاريخ ويقول (مباح التاريخ اعظم من النجارب) وكان يطرب لصناعة الانشاء ويسرّه ان تحبّر الرسائل في مخاشنة الأعداء من ذلك ان الملك الظاهر كان حاول قتح طرابلس وتدميرها على رأس صاحبها البرنس (ييموند) . فلم يتيسر له ذلك فتركه وصمّد الى انطاكية وكانت انطاكية داخلة في حوزة ييموند ففتحها بيبرس وقتل اربعين الفا من أهلها بعد ان لم يتيسر فتحها لصالح الدين . وعاد الى دمشق وأقيمت المهرجانات في قلعتها احتفالاً بالعيد وبافتتاح انطاكية وأرسل منها الى ييموند كتاباً يخبره بما وقع من الاستيلاء عليها . والكتاب من انشاء رئيس ديوانه وقد ساق خبر الفتح مساق البشارة اييموند ولكنها على حد قوله تعالى : « فبشرهم بعذاب اليم » والكتاب طويل مذكور في صبح الأعشى (جزء ٨ ص ٢٩٩) ونكتفي منه بفقرات . قال بعد ما وصف فتحه لانطاكية :

(وسلامة النفس هي التي يفرح بها الحي اذا شاهد الأموات . ولعل الله إنما أخر أجلك لتستدرك بالطاعة لنا ما فات . ولما لم يسلم أحد من اهل انطاكية

يخبرك بما جرى لهم خبرناك . أو يشارك بسلامة نفسك وهلاك حزبك بشرناك .
 فينبغي لك بعد الآن أن لا تكذب لنا خبراً ولا تقل لما جرى كيف جرى) .
 وللشيخ النووي شيخ دمشق حكاية مع الملك الظاهر فخم بها محاضرتنا
 ذلك ان الملك أراد أن يضع ضريبة لتسديد نفقات الحرب واستفتى الفقهاء
 فأفتوه بما أراد ماعدا الشيخ النووي قائلاً : الضرائب انما تفرض عند الحاجة
 ولا تتحقق هذه الحاجة الا بعد ان يباع ما في القصر السلطاني من الممالك
 والأواني وحلي الذهب والفضة التي هي كلها من مال بيت المسلمين وبعد ذلك
 للملك ان يضع ضريبة حرب . فسكت الملك مغضباً .

هذا أيها الملك الجليل والجار العظيم ما طالته يدنا من أخبارك . واستطعنا
 ان نجعله من جليل آثارك . فإذا كان هناك أشياء من مناقبك لم تطل يدنا
 إليها . أو لم يتسع الوقت للإتيان عليها . فاعذرنا إذن وارجع الى الرمس .
 قرير العين مطمئن النفس والسلام .

المغربي



ضرب الحوطة على جميع الغوطة

للمحافظ محمد بن طولون الدمشقي الخفي رحمه الله

نشرها نشرًا جديدًا وعلق عليها الدكتور محمد أسعد طلس

(القسم الثالث)

(٢٧) المراد بالتكية تكية السلطان سليمان القانوني فان اموال نواب الممالك ومقدميهم صارت كلها الى السلطان سليم وأولاده فوقفوها أو تصرفوا بها كما يريدون (٢٨) يقول Dussaud ص ٣٠٣ ان حزرما هي شرقي بيت ناييم . وقد ذكرها

Les Sultans Mamlouks في Quatremère و 1894, II, 280 Sauvairé وقال : ان وارداتها السنوية كانت تقدر بعشرة آلاف وخمسمائة درهم . (٢٩) أقول ذلك ما يزال مكتوباً على حجرة لا تزال موجودة في دار الحديث هذه على الحائط الشرقي .

(٣٠) هو جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن عبد الهادي أستاذ ابن طولون المشهور بابن المبرد أيضاً . انظر ما كتبناه عنه وعن آثاره في مقدمة كتاب « ثمار المقاصد في ذكر المساجد »

(٣١) ذكرها باقوت دون ان يضيفها الى (العواميد) وقال Dussaud : هي قرب البحيرة وانما جاءها اسم العواميد من ثلاثة أعمدة رومانية ما زالت قائمة فيها . وانظر ما كتبه عنها Le Strange ص ٤٢٩ ، و 1894, II, 238 Sauvairé و Porter في J, 376. Five Years in Damascus

(٣٢) يقول Dussaud ص ٣٠١ : يوجد شرقي دمشق قريتان اسمها الحديثة وبعضهم يقول حديثة وحديثة — كما في السالنامة — أولاهما حديثة الجرش [التي سيأتي الكلام عليها] وهي شمال زبدین . والثانية حديثة التركان او الحديثة فقط وهي جنوب شرقي شبعاء . [ملاحظة : لقد كررتم (٣٢) في القسم الأول وهو خطأ]

- (٣٣) هذا التعبير يراد به انه كان يتصرف بها .
- (٣٤) هو صاحب التربة المزلقية ، القتي الكبير صاحب الأوقاف وقد أطلال النعيمي الكلام عنه في كتابه « تنبيه الطالب » فارجع اليه وانظر ما كتبناه عنه في نشرنا لكتاب ثمار المقاصد في ذكر المساجد لابن عبد الهادي .
- (٣٥) قال Dussaud ص ٣٠٥ هي قرية في غربي دير العصافير . وهناك خيارة أخرى بوادي العجم (انظر Dussaud ص ٣١٢) وخيارة ثالثة في البقاع [انظر ص ٤٠٩] (٩) قال ديسو ص ٢٩٧ : مشهورة بعينها وهي ضاحية كبيرة جنوب غربي دمشق نجد لها ذكراً في النصوص السريانية القديمة باسم [دار الشام] . كما نجد لها ذكراً في النصوص المسيحية اليونانية باسم (داريا) انظر ابن جبير ص ٣٠٢ وياقوت ٥٣٦/٢ و Le Strange ص ٤٣٦ و Sauvage , II, 296 . وانظر هامش ديسو ص ٢٩٧ وهناك داريا اخرى بمنطقة صيدا وثالثة بمنطقة طرابلس فانتبه
- (٣٧) لعل المراد بهذا التعبير انها كانت للسلطان .
- (٣٨) لا يذكّر Dussaud هذه القرية وانما يذكّر قرية اسمها دقا ويقول ويقول ذكرها ياقوت ٥٨١/٢ و Le Str ص ٤٣٨ ولا يعين موضعها ولا يذكّر شيئاً عنها
- (٣٩) يذكّر Dussaud ص ٢٩٩ انها شمال شرقي دمشق ويخطي* ياقوتاً حين يقول انها كانت تسمى قديماً توما (بالتاء) وان الباب منسوب اليها . وانظر ما قال عنها Le Str ص ٥٤٧ و Sauvage , II, 239 .
- (٤٠) (١) أمير كبير من القاب الممالك راجع كتاب La Syrie لديموبين .
- (٤١) لم أهتم اليها فيما بين يدي المصادر .
- (٤٢) يقول Dussaud ص ٣٠٩ : يطلق اسم الربوة على هضبة وقرية غربي دمشق وقيل ان القرآن أشار اليها بقوله عن عيسى وأمه (وأويناها الى ربوة ألق الآية) ولكن هناك خلافاً بين المفسرين على هذه القضية . . . والربوة مفصولة عن قاسيون بعقبة دمر . انظر ياقوت ٧٦٢/٢ . و Le Str ص ٥٢١ و Sauvage , II, 300 , 420 وابن جبير ص ٢٧٨ و ٢٧٩ .

(١) لقد طبع هذا الرقم في الصحيفة ١٥٧ خطأ (٣٠) فليصح

- (٤٣) يياض بالأصل ولعل المحذوف كلمة [دمشق] وفي الخزانة ص ٤٧ النيرب
- (٤٤) قال المؤلف في كتابه تاريخ الصالحية [الربوة اعظم منتزهات دمشق كان بها اربعة مساجد وجامع بخطبة ومدرسة وكان بها التخت وهو قصر مرتفع على من جبل به قاعة وطبقات على هيئة الابوان ينظر الجالس هناك من مسافة يوم لو لم يكن حائل به وكان بها خمس مقاصف وكان بها [العاشق] و [المعشوق] وهما برجان للحمام في حُف الجبل الغربي وشمالها برج العذول .
- (٤٥) قال دوسو ص ٣١٣ [زملكاً] و [زملكاً] شيء واحد فقد حذفوا النون منها كما حذفوا النون من [بلدان] فقالوا [بلدا] وهي جنوب غربي عرابين . انظر ياقوت ٩٤٤/٢ و Le Str. ص ٥٥٥ .
- (٤٦) ذكرها Dussaud ص ٣١٣ وقال انها قرب المليحة وقرب عين الحلوش أو الحروش . وانظر 1894, I, 455. Sauvage .
- (٤٧) يذكرها Dussaud ص ٣١٣ ويقول : كانت مزرعة وقرية في المرج . وانظر أيضاً 1894 II 124 Sauvage .
- (٤٨) لا يعرف Dussaud هذه القرية وإنما يعرف سويداء جبل الدروز فقط .
- (٤٩) يذكرها ياقوت ١٠٠/٣ ويذكرها Dussaud ولا يعرف موضعها انظر ص ٣١٢ . وانظر أيضاً Le Str ص ٥٦٢ و 1894, I, 265 Sauvage .
- (٥٠) لا يعرف Dussaud هذه القرية .
- (٥١) يقول = ص ٣١٢ هي ضاحية كبيرة شمالي دمشق بناها في القرون الوسطى المهاجرون المسلمون من بيت المقدس لما أخذه الصليبيون . انظر ياقوت وتاريخ الصالحية لابن عبد الهادي وتاريخها لابن طولون وكلاهما مخطوط . وقد صارت الصالحية اليوم قسماً من مدينة دمشق .
- (٥٢) يقول Dussaud ص ٣١٢ خربت في أوائل القرن الثالث عشر الميلادي وموضعها وأثارها بين دمشق والمزة انظر ياقوت ٤٣٦/٣ و Le Str ص ٥٣٠ و 1894, II, 229, 363 Sauvage فانه يقول : انها غرب نهر القنوات باتجاه جامع خاتون .
- (٥٣) لم يذكرها Dussaud

(٥٤) قال Dussaud ص ٢٩٤ هي شرقي دمشق ذكرها ياقوت ٧/٧٥٩ Le Str. ص ٣٨٧ . والمقدمي في مرصد الاطلاع ٢/٢٩٢ وقد أخطأ الناشر فكتبها عين توما (٥٥) قال Dussaud ص ٢٩٤ هي شمال شرق دمشق .

(٥٦) قال = ص ٢٩٣ هي شمال المرج قرب الصحراء ويرى دوسو ان يفتش عن هذه القرية في منطقة الخضراء ثم ساق طرفاً من تاريخها فارجع اليه اذا شئت . ويسمى المرج باسمها فيقال مرج عذرا انظر ياقوت و Le Str. ص ٥٠٣ (٥٧) قال Dussaud ص ٢٩٤ هي جنوب الجنوب الشرقي من دمشق .

(٥٨) هي راوية فانظر ما كتبناه فيها . وهي اليوم معروفة بقبر الست ويقول Dussaud ص ٣١٠ في كلامه على راوية : ان المؤرخين الثقات يقولون ان فيها قبراً لامرأة تسمى ام كلثوم وليست بنت النبي التي تزوجها عثمان ولا بنت علي وفاطمة التي تزوجها عمر بن الخطاب ولكنها من أميرة النبي (?) وهناك موضع للشك فان ابن بطوطة يذكر انهم قالوا له لما زار راوية ان فيها قبر مسكينة بنت الحسين انظر الرحلة ص ٢٢٥

(٥٩) لا يذكر هذه القرية Dussaud

(٦٠) يقول Dussaud ص ٣٠٨ : القابون غربي حرستا البعل مشهورة بماثها وهوائها وفيها قصر حسن البنيان كما يقول Sauvair [1894, II, 427] كان ينزل فيه السلطان في رحلاته . ولا يفرق دوسو بين القابونين

(٦١) بياض بالأصل .

(٦٢) يقول Dussaud ص ٣٠٩ القمير قرية صغيرة وقربها عن القمير شمال دمشق ذكرها ابن جبير ص ٢٦١ و Le Str. ص ٤٨٩ وانظر ما قال عنها دوسو في هامش ص ٣٠٩ (٦٣) لا يذكرها Dussaud

(٦٤) يقول Dussaud ص ٣٠٤ هي جنوب غربي دمشق ويسمونها الجترافيون القدماء كفسوسية وهي شهيرة بزيوتونها وفيها كتابات مريانية انظر ياقوت ٤/٢٨٨ 1894. II, 425 Sauvair أو Le Str. ص ٤٧٤

(٦٥) لا يذكر Dussaud هذه القرية وإنما يذكر قرية اسمها (قيسا) ويقول ص ٣٠٩ أنها جنوب شرقي القاسية ثم يقول انظر (دير قيسل) .
(٦٦) انظر دير محمد . ويقول Dussaud ص ٣٠٨ هي شرقي كفر بطنا انظر ياقوت ٤/٤٣٠ و Le Str . ص ٥٠٩

(٦٧) يقول Dussaud ص ٣٠٥ : هي غربي زبدین . ثم يذكر المنيحة ويقول ينبغي ان تفتش عنها ان لم تكن هي نفس المنيحة وفيها قبر الصحابي سعد بن عباد انظر ما كتبناه عنها في كتاب ثمار المقاصد .

(٦٨) يقول Dussaud ص ٣٠٨ : وفيها مسجد القدم النبوي وكان يقال لها مشهد القدم . وانظر أيضاً ما كتبناه عنها في ذيلنا على كتاب ثمار المقاصد في ذكر مساجد دمشق لابن عبد الهادي .

(٦٩) الف ابن طولون فيها رسالة خاصة اسمها المعزة فيما قيل في المزة نشرت سنة ١٣٤٨ . ويقول Dussaud ص ٣٧ هي شرقي دمشق وتسمى مزة كلب لأن فيها قبر دحية الكلبي . وكان فيها معامل ماء الورد وقد أطلال الكلام عنها ابن بطوطة في رحلته .

(٧٠) يقول Dussaud هي قرية قديمة امام باب الصغير صارت حدائق منذ عهد ياقوت ويقال ان قايل سكنها انظر ياقوت ٤/٢١٩ و Le Str . ص ٤٧٣
(٧١) نجدها بكثرة هي و (سطرا) المذكورتين في الشعر الذي قيل في مدح منتزهات دمشق [انظر محاضرة الأستاذ كرد علي] ويقول Dussaud ص ٣٠٦ : هي قرب دمشق ذكرها ياقوت ولم يعين موضعها . وانظر Le Strange ص ٤٩٩ و 1894, 1,420 Sauvair و قال الأستاذ كرد علي (مقرا) هو المكان المعروف عند طاحون الاشنان في شمال شرقي البلد .

(٧٢) قال Dussaud هي شمال المزة . ولها مسجد فية قبر أم مريم ومصلى الخضر وهي كثيرة المياه والحدائق . ومنذ القرن السادس عشر لم يعد يعرف موضعها بالضبط وانظر ابن جبير ص ٢٧٩ و ياقوت ٤/٨٥٥ وابن بطوطة ص ٢٣٥ و Le Str . ص ٥١٤ والاصطخري ٥٨٤ وابن خوقل ١١٤

(٧٣) لا وجود لهذه القرية عند Dussaud .

(٧٤) يقول Dussaud ص ٣١٣ بلدان هي بلدا ويقول ياقوت: هي قرب دمشق شرقي القدم وربما كتبت خطأ جلدا . وقد وجد فيها Porter بقايا آثار رومانية انظر ياقوت ١٠٢٥/٤ و Le Str . ص ٥٥٢

* * *

هذا ما ذكره ابن طولون من قرى الغوطة في زمنه ونحن الآن نعقب عليه بأمرين (الأول) ذكر القرى الموجودة الآن التي اهتمها ابن طولون إما لأنها لم تكن موجودة في زمنه وإما لأن اسماءها قد تغيرت . و (الثاني) ذكر القرى التي كانت قبل ابن طولون ثم اندرست وقد اهتمنا اليها اثناء مطالعاتنا في كتب شتى . وقد وضعنا القسم الأول تحت حرف (آ) والثاني تحت حرف (ب) .

(آ)

الأشرفية : لا يذكرها ياقوت وهي اليوم جنوب داريا
البلاط : ويقال لها بيت البلاط ذكرها ياقوت وقال هي من الغوطة ولم
يعين موضعها . وهي اليوم غربي زبدین .
بيلا : يذكرها ياقوت وهي جنوب شرقي دمشق . وانظر Le Str .
ص ٤٥١ و Il,380 Sauvaire .

بلاس : ذكرها ياقوت وقال : بلدة بينها وبين دمشق عشرة اميال . قال حسان :
(فالقرىات من بلاس فداريا با فسكاه فالقصور الدواني)
البلاية : ذكرها Dussaud ص ٢٩٤ وقال : انها شرقي تل الصالحية
تل السلطان : غربي قرحتا . وانظر ما قال عنها Dussaud ص ٣١٣
تل الصالحية : شرقي دمشق شمالي حزرما وغربي النشاية يقول Dussaud ص
٣١٣ : لعلمها كانت مدينة قديمة فقد اكتشف فيها Porter آثاراً

قديمة . انظر مجلة Syria سنة ١٩٢٤ ص : ٢١

تل مسكن : غربي بحيرة الميجانة ذكرها Dussaud ص ٣١٢

جديدة : شمالي بحيرة الهيجانة ذكرها دوسو ص ٢٩٩ وتسمى أيضاً

جديدة الخص انظر Porter ا ص ٣٨٢

حوش الاشعري : جنوبي جسر ين بها جامع لطيف ذكرها Dussaud ص ٣٠٤

≡ خرابو : ذكرها ياقوت ولم يعين موضعها وذكرها ≡ ≡

≡ الدوير : جنوبي دير العصافير ≡ ≡ ≡

≡ المدمل : قرب دير سلمان ذكرها Dussaud ص ٣٠٤

≡ المتين : قرب حرستا القنطرة ≡ ≡ ≡

≡ الفارة : ويقال لها قصر الفارة جنوب عدرا ≡ ≡

≡ حمّار : قرب حران العواميد ذكرها ≡ ≡

≡ المباركة : شرقي الشفونية ≡ ≡ ≡

≡ الكوكب : غربي سكا ≡ ≡ ≡

≡ الريحانية : جنوبي مسجد القدم ≡ ≡ ≡

حجيرا : يذكرونها ياقوت باسم حجرا وهي غربي قبر الست وفيها قبر الصحابي

مدرك بن زياد انظر Dussaud ص ٣٠١ و ٣٠٤ و LeStr ص ٤٤٥

حديشة التركمان : جنوبي شرقي شعبا

حصن الدوير : شمال شرقي سكا

حصن النصارى : شمالي الحمديات

حصن الكواكب : ≡ قرحتا

خربة المسيح : في منطقة حران العواميد ذكرها Dussaud ص ٣٠٥

خنيزيرة : ويقال لها خنيسرة شرقي بحيرة الهيجانة ذكرها Dussaud ص ٣٠٥

داعينة : قرية بين حمورية وبيت سوا وهي من أفضل قرى الغوطة ويقول

الأستاذ كرد علي [مجلة المجمع ١٦/١٦٢] انها كانت معروفة الى

القرن التاسع وقد تحقق عندي انها اليوم داخلة في أراضي حمورية

دلبه : قال Dussaud ص ٢٩٩ وهي بين سكا ودير سلمان

دحيريج : منطقة البحيرتين ذكرها Dussaud ص ٢٩٩

انہا شرقی ام العوامید

اسم هذه القرية مأخوذ من السريانية [دير الصغارين] محل لالشك

== القبلة : مشرقى البحرین قاله دوسو ص ۲۹۸

شمال : // // // //

راوية : هي قرية قبر الست التي ذكرها ابن طولون ويقول ياقوت : فيها

الجنوب الغربي من دمشق انظر ص ٣١٠

النظر Dussand ص ٣١٢

وتحددناها يمين لنا حدود بيت الابار التي تشمل على عدة قرى

سکانت شرقی وجنوب شرقی دمشق

وقد وجد فيها آثار رومانية ترجع الى القرن الثالث المسيحي

وكنيسة القديس بولص انظر Le Str. ص ٥٣٨

الشُّؤْنِيَّة. : شمال جسرین ذکرها دوسو ص ۳۱۲

الصفوانية : يقول دوسو ص ٣٠١ انها عند باب توما وهي التي يسمونها

الآن الصوفانية بين باب توما والمستشفى الانجليزي ..

صحنايا . : لا يذكرها يا قوت وهي اليوم جنوب داريا

صہیا : جنوب قبر الست ذکرہا دوسو ص ۳۱۱ .

الضمير : قرية أثرية هامة جداً اطلال دوسو السكلام عنها وعن آثارها وأهميتها ص ٣٠٠ و ٣٠١ وقال لعلها مدينة Admedra التي كان لها أهمية كبرى منذ القرن الأول للمسيح وفيها هيكل مؤرخ بناؤه بـ ١١٥ أكتوبر سنة ٢٤٥

العبادة : من قرى المرج

العبادية : هي شمال غربي العتيبة ذكرها ياقوت ٥٩٩/٣ و Dussaud ص ٢٩٣ و Le Str. ص ٣٨٢

الفسولية : هي جنوب شرقي سكا

القصرين : قال دوسو ص ٩ : هي قرب بحيرة الهيجانة بجانبها تل المسطبة ذو الآثار القديمة

قرحتا : شمال غرب الغزلانية ذكرها ياقوت و Le Str. ص ١٧٩
393/1 Porter و 1894, II, 237 Sauvair

القاسمية : جنوب الجرباء وربما اعتبرت من قرى المرج وبها مسجد لطيف وقال دوسو ص ٣٠٩ : هي شرقي تل الصالحية

كفر بطنا : قال دوسو ص ٣٠٤ : هي من اقليم داعية شرقي حمورية انظر ياقوت ٤ ص ٢٨٦ و Le str. ص ٤٦٩

مسرابا : ذكرها ياقوت وقال ان ابن عساكر ذكرها في تاريخه ونسب اليها احمد بن ضياء المسراي وبها جامع حسن -

مديرا : لم يذكرها ياقوت وانما ذكرت في السالنامة وهي شرقي دوما وقال دوسو ص ٣٠٥ : ينبغي أن يفرق بينها وبين معديرا

المرج : قال دوسو ص ٣٠٦ : هي المراعي التي تحيط بالغوطة وأشهرها مرج عذرا وجنوبه مرج راحط وقد اطلال في كلامه عنها ص ٣٠٦ و ٣٠٧

النشائية : هي شرقي تل الصالحية وبها مسجد لطيف

نولا : هي جنوب حرستا القنطرة (يقال لها اليوم نولة)

النحاسية : = = = =

(ب)

- الأبرشية : يقول Dussand ص ٢٩٣ : ينبغي البحث عنها حول دمشق أو لعلها خارج الغوطة انظر ياقوت ١١/٥ و Le Str. ص ٣٨٢^(١).
- أرض عاتكة : هي عاتكة بنت يزيد بن معاوية . كانت قرية خارج باب الجابية ولعائكة قصر فيها انظر Dussaud ص ٢٩٤
- أرض الأوزاع : دخلت في دمشق من جهة باب الفراديس انظر Dussaud ص ٢٩٤
- بيت سابا : قال ياقوت : من اقليم بيت الآبار عند جرمانس و كان ليزيد ابن معاوية بها قصر انظر Dussaud ص ٢٩٥
- بيت الآبار : جمع بئر قال ياقوت : من غوطة دمشق كورة فيها عدة قرى خرج منها غير واحد من أهل العلم وقال دوسو ص ٢٩٤ محلها مجهول
- بيت قوفا : قال ياقوت : من قرى الغوطة نسب اليها بعضهم قوفانيا ذكرها دوسو ص ٢٩٥ ولم يعرف موضعها
- بج حوران : ذكرها ياقوت ٤٩٦/١ وقال دوسو ص ٤٩٤ : انها مجهولة عندي وينبغي ان تكون في اقليم باناس عند باب دمشق (?)
- قلبين : قال ياقوت : موضع في غوطة دمشق قال احمد بن منير : فالقصر فالمرج فال ميدان فالشرف الأعلى فسطرا فجرمانا فقلبين^(٢)
- تلفياتا : قال ياقوت من قرى الغوطة ورد ذكرها في حديث ابي العميطير انظر دوسو ص ٣١٢
- جامع : ذكرها ياقوت ولم يعين موضعها ويقول دوسو ص ٢٩٩ هي من قرى المرج وانظر Le Str. ص ٤٦١
- حرلان : يقول دوسو ص ٣٠٢ : ذكرها ياقوت وقال انها من الغوطة وفيها

(١) وهي داخلة اليوم في أرض حوش الريعان من قرى المرج (المجمع العلمي العربي)
 (٢) يذكر ياقوت قرية في الغوطة باسم (تلين) [بالتاء] ولا شك في انه اختلط عليه الأمر فذكرها في الموضعين .

مات چان اسقف زيزا (?) والأستاذ Honigmann يعتقد انها مأخوذة من الكلمة اليونانية ['Apavv] وقد ترددت هذه الكلمة مرات في كتاب ياقوت وصححها الناشر بكلمة [خولان] وقد أطلال دوسو في الكلام عنها وعن تاريخها وتحرير اسمها فأرجع اليه اذا شئت^(١)

حلفياتنا : ذكرها ياقوت ولم يعين الموضع وقال ان فيها قبر كنائز الصحابي وانظر دوسو ص ٣٠١ و Le Str. ص ٤٤٧

حميريين : ذكرها ياقوت وقال انها قرية متهمة وانها على طريق كفرسوسية وقال دوسو ص ٣٠٢ وربما كانت في ضواحي دمشق

حوش الصالحية : ذكرها دوسو وقال لعلها هي تل الصالحية انظره ص ٣٠٢

المأمونية : = ولم يعين موضعها =

الخياط : = = = = =

خميسيني : = = = = = ص ٣٠٥ وذكرها

1894, 11, 260 Sauvaire

دير أبات : ذكره ياقوت وقال نقلاً عن ابن عساكر : انه ابان بن عثمان بن حرب وانه كان يسكن عند قرختا وذكره دوسو ص ٢٩٧

ولم يعين موضعه و Le Str. ص ٤٢٧

دير بشر : ذكره ياقوت وهو غربي حمير او ذكره دوسو ص ٢٩٧ و Le Str. ص ٤٢٨

دير يونا : = وقال هو بجانب الغوطة في انزه مكان وهو اقدم

ابنية النصارى يقال انه على عهد المسيح او بعده بقليل وهو صغير

ورهبانه قليلون ذكره دوسو ص ٢٩٧ و Le Str. ص ٤٢٨

دير حنينة : وقال هو قرب دمشق ولم يعين موضع وكذلك دوسو ص ٢٩٧

و Le Str. ص ٤٢٩

(١) ولعلها حردان فان نهر حردان فوق سقا (المجمع) .

دير قَطْرُس ودير بُوْلَس : ذكرهما ياقوت وقال : قال ابو الفرج هذان الديران بظاهر دمشق بنواحي بني حنيفة من ناحية للغوطة وانظر دوسو ص ٢٩٧
دير قيس : قال ياقوت : هو بالغوطة من مساكن خولان وقد بحث دوسو
ص ٢٩٨ في كلمة (خولان) بحثاً مطولاً فارجع اليه .

دير صليبا : انظر دير خالد الآتي .

دير يحمّد : قال ياقوت : من نواحي دمشق . وقال ابن عساكر : هو محمد بن الوليد الأموي واليه تنسب المحمديات [انظر هذه الكلمة] التي فوق الارزة ،
ودير محمد الذي عند المنجحة من اقليم بيت الآبار . وانظر دوسو ص ٢٩٨
دير مزان : قال ياقوت : بالقرب من باب الفراديس مشرف على مزارع الزعفران
ورياض حسنة انظر دوسو ص ٢٩٨

دير خالد : قال ياقوت : وكان يسمى قبل نزول خالد بن الوليد بدير صليبا . أقول :
وموضع هذا الدير خارج بابي توما والشرقي ولا يزال أثر هذا الدير في مسجد
يسمى بمسجد خالد أو الخالديات أمام ضريح الشيخ رسلان . انظر
كتابنا ثمار المقاصد وانظر كتاب دوسو ص ٢٩٧ و Le Str ص ٣٤٠
دير هند : قال ياقوت : من قرى غوطة دمشق من اقليم بيت الآبار .
انظر دوسو ص ٢٩٧ و Le Str ص ٤٣٩

دير زكا : ذكره دوسو نقلاً عن ياقوت في ص ٢٩٨ ولم يعين موضعه .
أقول ولعله محرف عن (دير سكا) انظر هذه الكلمة .

رحبة خالد : قال ياقوت : قرية من قراها بينها وبين دمشق ميل خربت . وقال
دوسو : ولعلها رحبة خالد المعروفة بدمشق . انظر كتابنا ثمار المقاصد
السفليون : ذكرها ياقوت ولم يعين موضعها وذكرها دوسو ص ٣١٢
و Le Str ص ٥٣٧

منام : (بالسين) ذكرها ياقوت وقال هي بالغوطة قرب دمشق وان الحافظ
ابا القاسم بن عساكر كان يسكنها وانظر ما قال دوسو عنها
ص ٣١١ و Le Str ص ٥٣٠

- ساقى : ذكرها ياقوت ١٠٤/٣ و Le Str. ص ٥٢٨ ودوسو ص ٣١٢
ولم يعينوا موضعها
- السطح : ذكرها ياقوت ٩٠/٣ وقال : هي في الغوطة شمال باب توما في
منطقة بيت لهما ، وهناك قرية أخرى بهذا الاسم بين الكسوة
ونباغب ذكرها دوسو ص ٣١٢ و Le Str. ص ٥٢٨
- سطرا : ذكرها ياقوت ٩٠/٣ و Le Str. ص ٥٢٨ ودوسو ص ٣١٢
حيث يقول انها في منطقة سطح من بيت لهما وقد خربت .
انظر Sauvaire II, 216, 1894 وانظر أيضاً (مقرا)
- صبيبة : ذكرها دوسو ص ٣١٢ وقال : انها تسمى أيضاً قرية تميم .
- طرميس : ذكرها ياقوت ولم يعين موضعها . انظر ما قال دوسو عنها عن اسمها ص ٣١٢
- طيرا : ذكرها = = =
- الفضليّة : ذكرها دوسو ص ٣٠١ وفي السانما لها ذكر انظر Sauvaire
II, 238 . ويقول دوسو : لعلها القرية التي يذكرها Sauvaire
عند الميدان باسم الفضيلة^(١) .
- فذايا : قال ياقوت : هدمت منذ زمن طويل . قال دوسو ص ٣٠١ كانت
فوق مقبرة اليهود انظر Le Str. ص ٤٣٨ و Sauvaire II 212 .
- الفندق : قال ياقوت : هي من قرى الغوطة وقال دوسو ص ٣٠١ لم أهتم
الى محلها وانظر Le Str. ص ٤٣٩
- قرية تميم : وهي الطيبة . ذكرها دوسو ص ٣١٢ ولم يعين موضعها .
- قرية الحمير : ذكرها صاحب مرصد الاطلاع ٤٠٤/٢ وقال دوسو ص ٣٠٩
لم أهتم الى محلها وانظر Le Str. ص ٤٨١
- قصر بني عمر : ذكرها ياقوت ١١٠/٤ و Le Str. ص ٤٨٢ وقال دوسو
ص ٣٠٩ لم أهتم اليه .

(١) ولعلها الفضالية قرب حوش التبن [المجمع العلمي العربي] ٢٠٠

- قصر الالباد: ذكره 1894 I 402 Sauvairé وقال دوسو ص ٣٠٩ : قال بعضهم هو دير وقال آخرون هو قرية خربة شرقي مقرا
- الماطرون: قال ياقوت: من قرى دمشق ولم يعين موضعها وقال دوسو ص ٣٠٦ هو حول دمشق . انظر Le Str. ص ٥٠٨
- المصيصة: قال ياقوت: من قرى غوطة دمشق كانت شرقي بيت لها ذكرها دوسو ص ٣٠٦ و Le Str. ص ٥٠٨
- المسعودية: يقول دوسو ص ٣٠٦: هي في المرج ورد ذكرها في بعض الكتابات الحجرية فقط .
- ميدعا: غربي البحيرة ذكرها دوسو ص ٣٠٦ وقال ان ياقوت قال انها في منطقة خولان .
- الميطور: قال ياقوت: من قرى دمشق قال عرقلة النمشقي: وكم ليلة بالماطرون قطعتهما ويوم الى الميطور وهو مطير النمرانية: قال ياقوت هي منسوبة الى نمران بن زيد وقد أقطعها اياه معاوية

ص . أسعد طلس

الفصل الأول في المفوضية السورية بطهران



تصويبات لأخطاء وقعت في القسم الأول:

١: صفحة (١٤٩) سطر: ٢٢ (حرسا القنطرة)
٢: (١٥٥) = ٦ (الكل)

مخطوطات ومطبوعات

موجز الاقتصاد السياسي

تأليف الدكتور احمد السيات

أستاذ الاقتصاد السياسي في معهد الحقوق العربي بدمشق

صفحات هذا الكتاب ثلاث مئة واربع صفحات من القطع المتوسط

وطأ الدكتور السيات لكتابه بمقدمة بحث فيها عن علم الاقتصاد : اصله ، وتعريفه ، وتصنيفه . فكان من جملة ما قال فيه : « انه علم جديد ، وضعه المؤلفون في فجر النهضة الحديثة ، وليس هذا يعني ان أبحاثه لم تطرق من قبل ، فقد عرفت المدنيات القديمة حياة اقتصادية باهرة ، وأبحاثاً اقتصادية هامة . وقد ترك لنا ارسطو واورسم أبحاثاً بارعة في النقد . ثم ان التراث السليبي العربي طافح بالكثير من الأبحاث الاقتصادية الصرفة ، ولا سيما مقدمة ابن خلدون ، ومؤلفات المقرئزي ، وابن الهيثم ، ويمتاز ابن خلدون بوضعه نواميس ونظريات عامة للشؤون الاقتصادية لم تفقد الى اليوم روعتها وجلالها ولكننا إذ نقول : ان الاقتصاد علم جديد ، نذهب الى انه أصبح علماً مستقلاً ذا طرائق وأساليب ونظريات خاصة ، منذ القرن السابع عشر ، اي منذ الانقلاب التجاري الذي عم العالم ، بعد اكتشاف العالم الجديد » . وأشار المؤلف في مقدمته هذه الى المراحل التي مرت على الاقتصاد من : قيد أو اطلاق .

وانتهى من مقدمته هذه الى البحث في بيئة الحياة الاقتصادية ، من حيث اختلاف عناصرها : الطبيعية ، والحقوقية ، والفنية ، والبشرية . وعرض لتقسيم العمل وتطوره وأشكاله ، والتنظيم العملي للعمل ، والاستخدام الآلات ونتائجها ، وللنطاق البشري ، وللهجرة وأسبابها ونتائجها ، وللأكرام الاقتصادي ، وما يتفرع عنه من نظام

الطبقات ، ونظام الأصناف ، ونظام الحرية الاقتصادية ومستلزماتها ، والملكية الخاصة او وسائل الانتاج . وهو القسم الأول من الكتاب .

وأما القسم الثاني فقد تناول : النقد وأسريه ، من عهد المقايضة الى عهد النقد المعدني ، فالنقد الورقي وأصله ، وإصداره ، ورقابة الحكومة ، والبنك (وهو الشك^(١)) وطريقته والتضخم النقدي . وتعرض لإصلاح أنظمة النقد ، ولإحلول التي تراها بعض الحكومات . وأشار في أحد فصول هذا القسم الى اتصال الليرة الاسترلينية عن الذهب في سنة ١٩٣١ . وما كان من نتائج ذلك ومن أثره في الحياة الاقتصادية البريطانية ، ثم ما كان من ذلك يوم انفصل الدولار عن الذهب في سنة ١٩٣٣ . وختم أبحاثه بالأسعار وقانون العرض والطلب ، والملافة بينهما بين الأسعار . وقرب هذه الأبحاث الى الأذهان بجدول رقمية ، وعزز كثيراً من أقواله بأقوال مشهوري علماء الاقتصاد وآرائهم وأنظارهم .

عارف النكري

(١) قلنا : الشك [chèque] كلمة فرنسية ، قالت معاجم هذه اللغة : انها منقولة عن الانكليزية ، وقالت هذه : انها منقولة عن الفرنسية القديمة أو العربية أو الفارسية . وفي الحق أن اللفظة قديمة في العربية وهي منقولة اليها عن الفارسية . وفي لسان العرب : والصك : الكتاب ، فارسي معرب وجمعه : أصصك ، وصكوك وصكاك . قال أبو منصور : والصك الذي يكتب له هبة ، معرب ، أصله [جك] ويجمع صكاً وصكوكاً . وكانت الأرزاق تسمى صكاً لأنها كانت تخرج مكتوبة . ومنه الحديث في النهي عن شراء الصكك والقطوط . وفي حديث أبي هريرة : قال لمروان : أحلت ييم الصكك ؟ وهي جمع صك وهو الكتاب ، وذلك إن الأسراء كانوا يكتبون للناس بأرزاقهم وأعطياتهم كتباً فيبيعون ما فيها قبل أن يقبضوها معجلاً ويمطون المشتري الصك ليبقي ويقبضه ، فلهذا عن ذلك لآفة ييم ما لم يقبض (فاستعمال الصك (الشك) هو رجع الشيء الى أصله ، واستعمال في عمله .

الوقائع والنظريات الاقتصادية في العصر الحديث

تأليف الدكتور احمد السمان

وهذا كتاب آخر للدكتور السمان ، يقع في ثلاث مئة وست وعشرين صفحة من انقطع المتوسط . يسط فيه المؤلف الوقائع والأنظار الاقتصادية في العصر الحديث . والأستاذ راض عن كتابه هذا ، وهو يعده خير كتاب وضعه . والكتاب أقسام ثلاثة ، تنطوي على أبواب ثم فصول .

فالتقسيم الأول ، من أبحاثه : الحياة الاقتصادية في القرون الوسطى ، صدر كلامه فيها بكلمة ممتعة منها : ويؤكد المؤرخون يجمعون على ان أظلم فترة في تاريخ أوربة تقع في صدور القرون الوسطى (القرن الخامس حتى الحادي عشر) فقد ساد أوربة ليل طويل لا يشع فيه فكر ، ولا يلعب فيه قيس من حياة . وقضت الغزوات الجرمانية على الحضارة الرومانية ، وأعقب السلطان السياسي الموحد الوف من الاستقلالات المحلية الاقطاعية . . »

وبعد ان يلقى المؤلف نظرة عاجلة على الوضع الاقطاعي الداخلي في أوربة ، يخلص منه الى الناحية الخارجية فيقول : « اما من الوجهة الخارجية فمع القرون الوسطى تبدأ سيادة العرب البحرية في المتوسط ، اذ تطلع المسلمون لتكوين قوة بحرية تنزع السيادة من البيزنطية وتعينهم على اخذ نصيبها من تجارة العالم . ففي عهد معاوية الأول احتلوا قبرص (٦٦٠) وظفروا بالأسطول البيزنطي في واقعة ذات السوارى التي أتاحت لهم فتح رودس ، وبلغوا حتى اقريطش . ثم سارت الأساطيل من المهدية في افريقية ومن الأندلس تنتزع الجزر والسواحل ، وتشد أزر الجيوش البرية التي تغزو سواحل فرنسا الجنوبية (٧٣٣) . ثم يعيدون الكرة بعد مقتل عبد الرحمن الغافقي فيحتلون شاطي البروفانس ، ويسمر هجومهم على سقلية طويلاً (٧٢٠ — ٧٥٣) ثم يحتلها الاغالية ويحتلون الباليار (٧٩٨)

ويحتلون مدينة معاونة النابوليين (٨٣٦) ثم يغزون ماحل ايتالية ، وينزلون في تارنتة (٨٣٨) ثم في باري بعد تحطيم اسطول البندقية وبيزنطية (٨٤٠) ويصلون في منتصف القرن التاسع الى غزو ايتالية الوسطى ، ويقفون أمام أسوار رومة وكنيسة القديس بطرس (٨٤٦) ويبقون محتفظين بنفوذهم في البحر حتى القرن الحادي عشر ، حين بدأت سفن الصليبيين تحتل جزر البحر المتوسط وشواطئه . وينقل قول ابن خلدون في هذه الفتوحات العربية ، ثم ينتهي من هذا التمهيد الى وصف الحالة الاقتصادية فيقول :

« كان الاسلام في هذا العهد يؤلف عالماً لوحده (وكان العراق عين الدنيا) كما يقول الثعالبى . وكان المسلمون بعد ان مركزوا اعلامهم على اقسام العالم الثلاثة . واطمأنوا الى الفتح ، فكروا في المساهمة بخيرات العالم وتجاراته ، ونسوا زهدهم الماضي ، وأقبلوا على الترف والبذخ ، فبدأت النهضة التجارية في العهد العباسي . . »
وبمضي المؤلف في وصف مذهب العرب وأنسواقهم التجارية في تلك الايام وصفاً تاريخياً علمياً ، لا يجيز لأنفسنا ان نختصر شيئاً منه ، مخافة ان نفكك هذه الحلقات الاقتصادية التي يبسطها المؤلف بسطاً متصلاً متسلسلاً ، فنشوه من محاسنها ، ولا المقام يتسع فنأتي بها منقولة بحملتها ، بل حسبنا ان نخيل القاري الى الكتاب نفسه ، يعترف من مائه العذب ، وحقايقه العلية .

وينتقل الأستاذ السمان بقرائه من عصر اقتصادي الى عصر ، ومن انقلاب الى انقلاب . يبحث الانقلاب النقدي ، والاستعمار الاقتصادي الأوربي : دولة دولة ، وقرناً بعد قرن . ويعرج على اميركة فيذكر اكتشافها وأثره في الحياة الأوربية ، والتطور الصناعي : مراحله ومظاهره وأسبابه ومسبباته ، وأثر الآلات فيه ، والمواصلات ووسائلها ، والأسباب الاقتصادية وعواملها الأساسية . والانقلاب الحقوقي ، والحرريات : الشخصية والاقتصادية والتجارية ، وحق الملك ، والرأسمالية ، وتفوق بعض الدول وأسبابه ، وتحول الاقتصاد من قومي الى عالمي . وفي القسم الثاني : شرح الأزمة الاقتصادية الحديثة وعواملها ، وتخلل التوازن .

والعقبات الكمركية^(١) والنقدية والمالية، ويبسط بعض المذاهب الاقتصادية بما لها وما عليها .
وفي القسم الثالث : عالج اصلاح النظام الاقتصادي الحديث في مختلف وجهاته
عند كثير من الدول .

فباحث الكتاب كلها قيمة . وهي مما نحتاج اليه في نهضتنا الحاضرة ، اذ النهضة
لا تكون صحيحة إلا اذا هي قامت على دعامة ثابتة من الاقتصاد .
والشيء الذي كنا نرجو ان يهتم له الأستاذ ، فيتبسط فيه ، هو وضعنا الاقتصادي
الحاضر : علله وأدواؤه ، فيوفي الموضوع الاقتصادي العربي حقه في حاضره ، كما
وفاه حقه في غايه . وعسى ان يفعل ذلك في طبعة جديدة .
اننا نشكر للأستاذ فضله وجهده ، ونشاركه رأيه في كتابه بأنه امير كتبه ،
بل هو من عيون الكتب التي ألفت في هذا الباب عندنا .
ع . ن



البأذة هو ميروس

كتاب من القطع المتوسط ، يقع في قرابة ثلاث مئة صفحة ، وضعه بالانكليزية
(الفرد تشرشل) أستاذ اللغة اللاتينية في جامعة لندن ، ونقلته الى العربية
السيدة عبدة سلام الخالدي .

والبأذة هو ميروس من الشهرة بالمتزلة التي لا تحتاج معها الى وصف ولا تعريف ،
فهي على ما جاء في التمهيد التاريخي الذي قدم الكتاب به : اول الشعر القديم
وأعظمه ، ولعلها أعظم شعر على الاطلاق ، قديماً كان أو حديثاً .
وقد فصل هذا التمهيد الموفق ، موضوع هذه الملحة . وهو يدور على الحوادث

(١) استعمل المؤلف [الجرك] بالجم متباعدة لما جرت عليه الصحافة والدوائر الحكومية
عندنا . تقليداً أعمى لمصر . والذي نعرفه وكنا عليه الى ما قبل هذه الأيام الأخيرة ، في
قوانيننا ، وفي استعمالنا لفظاً وكتابة ، أن نكتب الكرك بالكاف لا بالجم . والكلمة
فارسية أخذها الترك بلفظها الأصلي أي الكاف الفارسية [ك] وهي تلفظ ما بين الكاف
والغين كال [g] . الفرغية ، ومن حق المصريين أن يكتبوها بالجم ، فتبقى على لفظها الأصلي .
ولا وجه لكتابتها عندنا بخير الكاف .

التي وقعت نحو سنة ١٢٠٠ او ١١٠٠ قبل الميلاد . اثناء حرب نشبت حول مدينة اليون . وهي الحرب المشهورة بحرب طروادة .
وذكر كذلك الممالك التي كانت قائمة في ذلك العهد . وما كانت فيها من شعوب ، وما كانت لهم من لغات .

وقد وفقت السيدة الخالدية في ترجمتها توفيقاً تشكر عليه . اذ جاءت عبارتها جلية واضحة ، دلت على طول باعها في الترجمة ، كما عرفت من قبل بالأدب والفضل .

ع . ن



كتاب المؤتمر الأول للمحاميين العرب

طبعته نقابة المحامين بدمشق

كان من أعمال الأستاذ مظهر القوتلي الرائعة أيام كان تقيب المحامين بدمشق ، ان دعا الى عقد مؤتمر يجمع المحامين العرب ، الغرض منه دراسة عملية قومية لتوحيد الاتجاه في التشريع ، وانسجام الأوضاع الحقوقية في البلاد العربية . وقد تم الأمر على خير وجه ، فوفق المؤتمر توفيقاً كبيراً في ترتيبه وتنظيمه . وضم النخبة المختارة من المحامين العرب في الشام : سورية ، وشرق الأردن ، وفلسطين ، ولبنان ، وفي مصر والعراق ، وألقيت المحاضرات الممنعة في الجلسات الست التي عقدها المؤتمر .

دارت الأبحاث في الجلسة الأولى ، على الصلات القضائية بين البلدان العربية ، وفي الجلسة الثانية على الحقوق التجارية ، وفي الثالثة على الحقوق المدنية ، وفي الرابعة على توحيد المصطلحات الحقوقية ، والخامسة على الوضع المسلكي للمحاماة ، ثم كانت الجلسة الختامية التي انتهت بقرارات المؤتمر الأول للمحاميين .

ثم كان بعد ذلك ماذا ؟

كان لاشي ، فلا القوانين العربية المختلفة درست دراسة تقرب مسافة الخلف بينها ، ولا المصطلحات وحدت ، فأثبتنا مرة أخرى ، ان هذه الشعوب العربية ، أمة تحسن القول ، ولا تحسن العمل .

ع . ن



سلسلة الفكر الحديث (٧)

عصر الخرافة الذي نعيش فيه

الكتاب الأول

تأليف: جستاف شتليز . تعريب: محمد علي أبودرة ومحمد بكير خليل

راجعه: محمد عبد الواحد خلّاف

جاء في مقدمة التعريب ان الدكتور «جستاف شتليز» المستشار الاقتصادي في مدينة نيويورك قد تمكن بسبب حياته الخافلة من الالمام التام بالأوضاع الاقتصادية والسياسية في أوربة وأميركة فهو خير من يعالج هذه الموضوعات .

تصدى المؤلف في كتابه الأول للمذاهب والنظريات السياسية والاقتصادية التي يموج بها العالم وتتصارع الدول من أجلها فيردها الى اصولها ويبين الأدوار التي مرت بها وهو يحرص الحرص كله على ان يكشف عما تشتمل عليه هذه المذاهب والنظريات من زيغ وخرافة ولكنه يميل الى التهكم والهدم .

لا يؤمن المؤلف بالاشتراكية أو وضع خطط تنظم حياة الفرد وتمكن الدولة من السيطرة عليها وانما يرضى بشيء يسير من تدخل الحكومة لتوفر للفرد قسطاً من السعادة أوفر ، وهو يؤمن أشد الايمان بالحرية الفردية ويدافع عن الرأسمالية الحرة متصوراً ايها انها النظام القويم والاساس السليم الذي يمكن ان يبنى عليه عالم تشيع فيه السعادة والثقة والطمأنينة والأمن والسلام ، وهو مع هذا كله لم يحجم عن بيان مثالب الرأسمالية وشوائبها ولو سلمت من هذه المثالب والشوائب لكانت نظاماً مثالياً رائعاً .

والكتاب يتضمن ثمانية فصول تصور أعظم ماله صلة بحياتنا الاقتصادية والسياسية .

سلسلة الفكر الحديث (٨)

عصر الخرافة الذي نعيش فيه

الكتاب الثاني

تأليف : جستاف شتالر . تعريب : محمد علي أبو درة ومحمد بكير خليل

راجعه محمد عبد الواحد خلاف

يشتمل الكتاب الثاني من عصر الخرافة على سبعة فصول وهي نعمة ما اشتمل عليه الكتاب الأول من المذاهب والنظريات الاقتصادية والسياسية . تبحث هذه الفصول عن الدول المحدودة والدول المحرومة وعن الأسباب الاقتصادية للحرب وعن الامبراطورية البريطانية وعن التنظيم السوفييتي وعن المعجزة الألمانية وعن الديمقراطية الهزيلة والدكتاتورية القوية والفصل الثالث عنوانه هل تسير إنجلترا الى الوراء .

والكتاب الثاني مثل الكتاب الأول في التفرغ لبعض الأفكار المسيطرة على العقول وهي بمنزلة الخرافات ، فالمؤلف يقضي على هذه الأوهام ويرد الأمور الى مستقرها ، من ذلك الخرافة الوارد ذكرها في الفصل الأول وهي خرافة الذهب والعمل ، فبعض الدول تتهم بريطانيا بالتمسك بمقياس الذهب مع انها خرجت عن قاعدة الذهب في حرب ١٩١٤ ورهنت كل ما تملكه من الذهب .

وهكذا شأن المؤلف في الموضوعات التي غالجها فانه يبين الخرافات الاقتصادية والسياسية المسيطرة على العقول في عصرنا هذا ثم يهدي الناس سواء السبيل فيها .

س . ج

سلسلة الفكر الحديث (٩)

كيف يعمل العقل (الكتاب الأول)

تعريب : الدكتور رياض عسكر

تضامير على وضع هذا الكتاب نخبة صالحة من أكبر علماء النفس البريطانيين ،

وقد تفرغ كل واحد منهم للموضوع الذي اختص به فأصبح الكتاب بهذا العمل عمدة ، كان الكتاب في الأصل محاضرات أُلقيت في دار الاذاعة البريطانية ثم جمعت فجاءت خالية من المصطلحات المعقدة والمشاكل العويصة فلا يحتاج فيها القاري الى عناء الذهن فقد يسهل عليه إدراك كل ما له صلة بالمسائل التي تجول في خاطر الانسان وتمس تفكيره ومشاعره وعواطفه ، أي حالته النفسية بأجمعها .

هذا ما أشار اليه معرب الكتاب الدكتور رياض عسكر في المقدمة وبما يزيد في الثقة باتعريب ان الكتاب قسم قسمين ، معرب الدكتور عسكر قسماً ومعرب الأستاذ محمد خلف الله قسماً وراجع كل واحد منهما ما عرّبه الآخر توكيلاً للدقة والضبط .

يشتمل الكتاب على عشرة فصول تعاون على كتابتها ثلاثة أساتيد : الاول أستاذ علم النفس بجامعة لندن والثاني رئيس المجمع الدولي للتحليل النفسي والثالث الرئيس الفخري لقيادة شرق لندن السيكولوجية لإرشاد الأطفال ، معرب الدكتور عسكر الفصول الثمانية ومعرب الأستاذ محمد خلف الله الفصلين التاسع والعاشر . وهذه هي موضوعات الفصول : يبحث الكتاب الأول عن الحياة العقلية - شعورية ولا شعورية - عند الكبير ، فيبين الطرق التي تستعمل في دراسة عقول الآخرين وفي دراسة المرء لعقله ويصور الأسس التي يقوم عليها التحليل النفسي وآثار العقل الباطن في الحياة الانسانية وبحث عن الأحلام وما لها من دلالات ، وعن عقل الطفل وما يزود به منذ نشأته من ميل وقوة وما لبيئة الأسرة من أثر في تشكيل سلوكه . وعن مخاوف الأطفال ولعبيهم وعمل الغريزة والعادة في حياتهم .

هذا الوصف الظاهر للكتاب أما قيمته فلا يمكن تلخيصها في سطور فلا بد للقاري من قراءة الفصول كلها حتى يعرف عظمة الموضوعات النفسية فيها وبساطة عرضها وتصويرها .

سلسلة الفكر الحديث (١٠)

كيف يعمل العقل (الكتاب الثاني)

تعريب محمد خلف الله

انفرد بوضع هذا الكتاب الدكتور « ميرل برت » أستاذ علم النفس بجامعة لندن وعمرته الأستاذ محمد خلف الله والمعرب قرأ في الأصل على الدكتور « برت » فعرف في أسلوبه دقة العلم ورقة الفن وفي شخصيته حسن الخاضرة وجاذبية الحديث على نحو ما قال .

وإذا أراد القارئ ان يعرف طابع الكتابين ، الأول والثاني فليقرأ ما كتبه الدكتور « برت » في المقدمة :

« كان غرضنا الأساسي أن نبين في أمثلة بسيطة وعبارة واضحة كيف نأخذ الاهتمام بفهم طرائق العقل الانساني في سلوكه حتى أصبح دراسة علمية جادة وأن نعرض الآثار التطبيقية لنتائج هذه الدراسة على معضلات الحياة اليومية ، ان المدنية الحديثة قائمة على العلم وإذا كان يراد لها ان تستمر فيجب ان يوجه التفكير العلمي الى دراسة الانسان كما وجه من قبل الى دراسة الطبيعة غير الحية » .

أشار الأستاذ خلف الله الى الموضوعات التي عالجها « برت » في الكتاب الثاني فقد عالج : نواحي الحياة الاجتماعية واختار من بين هذه النواحي ميادين الفروق العقلية بين الشعوب والطوائف الاجتماعية : الجنسين ، وعالج الأسس العقلية العامة في السياسة والفن والدين ونبه على ان هذه المعضلات لكل انسان من التفكير فيها نصيبه ورأيه ولكن الدراسات العلمية الحديثة قد أخذت كثيراً من ظواهرها للبحث والتجريب وكانت مهمة واضع الكتاب كما يقول ان يصف في اختصار احدث نتائج هذه الدراسات وأجدرها بالاعتبار وان يبين الاتجاه الذي تنجم اليه المباحث الخاضرة فيها وما أصدق ما تمناه المعرب في آخر المقدمة اذ قال : ولعلّ تقل أمثال هذه البحوث الى العريه يحدث أثره المطلوب في توجيه الانتباه في مصر والشرق العربي الى دراسة الانسان دراسة علمية منظمة والى اقامة نواحي الحياة من سياسة وإصلاح واجتماع على أسس الفطرة القويمة كما يكشف عنها البحث العلمي الصحيح :

بين العلم والأدب قدري حافظ طوقان

جمع الأستاذ قدري حافظ طوقان ما نشره من المقالات في طائفة من المجلات وما ألقاه وأذاعه من الأحاديث في بعض دور الاذاعة في كتاب سماه : بين العلم والأدب ، وآله الوحيد ان يرى المتعلمون والمتقنون في هذا الكتاب عاملاً من العوامل التي تعينهم على تحقيق رسالتهم القومية ، وان يجد فيه النشء ما يحملهم على السير في الحياة على أسس من الخلق المتين والاخلاص للحق والحقيقة . وسواء أعالج بعض موضوعات الرياضيات والطبيعات أم أعالج بعض الموضوعات الفكرية انه توخى السهولة في كل ما كتبه حتى تكون العلوم قريبة من الأذهان خالية من التعقيد بحيث تدركها العقول دون شيء من العناء .

ولقد وقفت على مقالة : الى المتعلمين والمتقنين فشاهدت ما شاهده المؤلف نفسه فإن أكثر الذين يحملون الشهادات من طبقة الأطباء والمحامين والمهندسين وغيرهم يقولون للكتب العلمية بعد حصولهم على هذه الشهادات : هذا آخر عهد بيننا وبينك ! فكأنهم لا يدرون ان في كل يوم اختراعاً ومذهباً جديداً وان العلم لا يقف عند حد من الحدود ، فما يكون في الطب ضاراً في هذا اليوم فقد يصبح نافعاً غداً وما يكون في العلم وهماً فقد يصبح حقيقة فالذي لا يتبع العلم وأطواره ويقتصر على حمل الشهادة فهذا قد انقطعت الصلة بينه وبين سير العلم . وعلى الجملة فان كتاب الاستاذ حافظ قدري طوقان ينفخ في القراء روح العلم ويحييهم اليه .

ش . ج

نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر

محمد مهدي البصير

يحتوي هذا الكتاب على خمسة وأربعين حديثاً اذاعها صاحبها الأستاذ محمد مهدي البصير من دار الاذاعة العراقية ومن دار الاذاعة في يافا .

تتضمن هذه الأحاديث تراجم ثمانية وعشرين شاعراً عراقياً ، وقد عانى المؤلف ما عاناه في سبيل الحصول عليها لأن تأريخ أصحاب هذه التراجم غامض وأحوالهم غير معروفة على صورة واضحة فمنهم من كانت تراجمهم مطولة حافلة ولكنها متناقضة مضطربة ومنهم من كانت تراجمهم مختصرة ومنهم من ليس له ترجمة فاعتمد المؤلف في دراسة حياتهم على آثارهم قبل كل شيء . وقد نظر في التراجم المطولة المتناقضة والمختصرة المقتضبة فاستخلص منها ما يمكن استخلاصه مما له قيمة تأريخية وعمد إلى الأخبار فمحصها حتى يكاد القارئ يستطيع ان يجد في الكتاب على قدر الامكان صورة واضحة لأصحاب التراجم .

أما شعر الشعراء الواردة تراجمهم فيغلب عليه طابع عراقي وأعني بهذا الطابع حسن الديباجة حتى كاد بعض النقاد يفضلون طائفة من الشعراء الذين ترجم لهم المؤلف على المتنبي والمعري والشريف الرضي وفي هذا شيء من الشطط فان هؤلاء الشعراء ما استضاءوا إلا بضياء الشريف الرضي وأمثاله ولا عرفوا إلا من بجره .

ش . ج

خيالات

رياض معلوف

أهدى الشاعر خيالاته إلى بلاده وإلى أبيه وأمه .
أما بلاده وهي لبنان فقد وجدت لها أثراً في هذه الخيالات تدل على وصف صادق لها وعلى حب أصدق .
وأما أبوه وأمه فلم أجدهما صورة في شعره ، وإنما وجدت صورة لأخيه المرحوم فوزي المعلوف تنم عن مقدار حزنه عليه وما أحلى هذه اليمين التي حلقها :
فوزي ! وحق ثراك والأخلاق والوجه الصبيح !
وعلى الجملة فإن هذه الخيالات لا تتخلو من صور حية تدل على نفس شاعرة وروح رقيقة وذوق لا يشبه هذه الأذواق الحديثة الغريبة .

واذا لم أجد بداً من ذكر نموذج من أبياته فهذه أبيات وقعت عليها عرضاً
في خيالاته ولم أجد في التفتيش عنها .
من قصيدة عنوانها : غن يا عصفور !

فأرى شذوك شذوي وأرى لحك لحني
ليت قلبي في جناحك وفي المنقار مني
غن يا عصفور غني ثم طر عنك وعني

س ج

ميسلون

بدر الدين الحامد

أظن ان الشعر العربي لم يؤهل بعد للروايات التمثيلية التي أهل لها الشعر الغربي
ولذلك فإننا نجد ان الشاعر اذا وضع رواية تمثيلية مثل الرواية التي وضعها الأستاذ
بدر الدين الحامد وسماها ميسلون ووصف فيها فجعة أهل الشام بوطنهم اعترضته
عقبات لا يجد سبيلاً الى اتمامها فيضطر في خلالها الى التزول بالشعر الى حيث لا ينبغي
له ان ينزل له ، من هذا الشكل قول الأستاذ بدر الدين الحامد في بعض روايته :

رياق باب دمشق محطة للقطار

أو قوله : رفاق نقطة وصل تفيدنا في الكفاح

أو قوله : قبولنا أفضل من ردنا نسعى ويبقى حقنا في الكلام

أو قوله : في حياتي لم أحمل البندقية .

وليست قيمة الشعر بكثرة أبياته ولا عيب الشعر بقلة هذه الأبيات فان
ثلاثين بيتاً ينصرف الى نظمها الأستاذ صاحب رواية ميسلون فيفرغ فيها شعوره
وعاطفته وروحه أقدر على تنبيه شعور القاري وعاطفته وروحه من رواية تمثيلية
يضطر في أبياتها الى مثل ما اضطر اليه من الشعر الذي ذكرته .

ويظهر ان الأستاذ بدر الدين الحامد قد عثر على وضع سلسلة من الروايات
الشعرية يصور بها لأبناء اليوم ما لقيه آباؤهم من عنف الزمان وجور الحيدنان

فأرجو أن يقوى في هذه السلسلة على ما لم يقو عليه في الحلقة الأولى فإن من قرأ له أخيراً قصيدته في رثاء صديق له من المغنين يعترف بأن شعره لا يخلو في أحيان من شعور وعاطفة .

س . ج

أفراح الربيع

ديوان حسن البحري

أعجبتني كلمة صاحب هذا الديوان في صدر ديوانه وهي : « بابلادي ! اني اكشف الأستار عن بهائك وجلالك وأصف ما فيك من فتنة وروعة لأشعل في قلوب شبابك الغض فارحبك وأفتح عيون ابنائك الصيد على نور جمالك » .
والكني فتنشت في الديوان عن بهاء بلاد الشاعر وجلالها ، وهي فلسطين ، وعن فتنتها وروعتها فلم أهتمد الى شيء من ذلك ، لقد تغنى صاحب الديوان بالطبيعة في أكثر قصائده ولكن الطبيعة التي تغنى بها هي طبيعة بلاد كثيرة لا طبيعة فلسطين الخاصة ، وما أظن ان فلسطين شهرت بالبان والافحوات والكافور والزعفران أكثر من شهرتها بالبرتقال والموز فكنت آمل أن يتغنى الشاعر بمحاث فلسطين الفنّانة وهي « البيارات » التي لها لونها الخاص وطبيعتها الخاصة .
وهذا نموذج من شعر صاحب الديوان يصف فيه وادي « رشميا » من جبل الكرمل في ضوء القمر :

بوادٍ في ضياء البد ر فياض التعاريح

نصبت من الأمان الغر للذكرى معاريحي

وفي كوكب ليل صيغ من ذوب الدماليج

مدارجه من الخن وأرياش الجباريج

وفي روض من الأحلام مشبك العباليج

نصت بفقوة الذكرى عن النوب المباليج

أظن ان كشف الأستار عن بهاء البلاد وجلالها يحتاج الى غمط من الشعر

أقل غرابية من هذا النمط .

س . ج

تطور الري في العراق

تأليف الدكتور احمد سوسة

من منشورات مجلة العلم الجديد سنة ١٩٤٦ . وقد جاء في ٢٣٥ صفحة من القطع المتوسط «العلم الجديد» مجلة تربوية ثقافية تصدرها وزارة المعارف في بغداد ، كثيراً ما طالعت فيها مقالات نفيسة للفيق من الأساتذة والكتاب المبرزين . وما كنت أدري قبل الاطلاع على هذا الكتاب أنها تنشر للمؤلفين ما هو جدير بالنشر من كتبهم . ولا شك ان عملها هذا يضيف فائدة جديدة الى فوائدها الكثيرة . وكتاب «تطور الري في العراق» وضع ياديّ ذي بدء بالانكليزية . ثم نقله مؤلفه الى العربية . وهو يبحث عن دجلة والفرات من حيث صبيب كل نهر وجرّيته وسقيه ونقيضه وقبضه وروافده ورواضعه الخ . وعن تطور الاسقاء في تاريخ العراق ، وأعمال الاسقاء في القرن الحاضر ، وسياسة الاسقاء في أيامنا هذه . وهي في الجملة أبحاث فيها مادة وفيها دراسة تجعل من هذا الكتاب صورة صغيرة جلية مفيدة لشؤون الاسقاء في العراق . ومن يواغت الأسف انه لم يظهر عندنا حتى اليوم كتاب عربي كهذا الكتاب يبحث عن الاسقاء في ديار الشام . ومن المعلومات التي يجدها المرء في الكتاب ان الزراعة في العراق اتسعت كثيراً في ربع قرن ونيف بفضل أعمال الاسقاء وغيرها . فقد كانوا يقدرون الأرض التي زرعت في سنة ١٩١٣ مثلاً بنحو ٣٥٠٠٠٠ هكتار من الزرع المسقوي والعذي أي البعل ، على حين انها تبلغ اليوم بنحو ٢٣٠٠٠٠ هكتار (منها ١٦٠٠٠٠ هكتار من المسقويات و ٦٠٠٠٠ هكتار من البخوس أي الأعزاء شمالي العراق) . ولقد ذكرت في عدد نيسان سنة ١٩٤٦ من مجلتنا هذه شيئاً عن كتاب «وادي الفرات ومشروع سد الهندي» للمؤلف نفسه . وقلت انني لا أوافق على بعض الاصطلاحات الواردة فيه . وهنا أكرر هذا القول وأذكر فيما يلي عدداً من الاصطلاحات الأخرى غير الصحيحة أو المرجوحة مما صادفته عند تلاوة كتاب «تطور الري في العراق» نفسه .

ترجم المؤلف Régime du fleuve بنظام مجرى النهر . وأصلح من ذلك جرية النهر .

والنبات الذي يتم نموه عاجلاً (Précoce) هو البكّور والمبكر والمعجال . وهي البكّار والمباكير والمعاجيل . أما الذي يطول زمن نموه (Tardif) فهو المتأخر وهي المتأخيرات . ولا حاجة الى اصطلاحات جديدة لهذه المعاني واذا كان أحد النباتات مما يزرع في فصلين مختلفين نسب اليهما ، فيقال ذرة ربيعية وذرة صيفية وهكذا .

وذكر الخاضير والخضرات بمعنى Légumes والصحيح الخضرة والخضروات والبقول . وجمع قناة على أقيّة وهو غلط شائع . والصحيح قنوات وقني . وقال رافد ديبالي بالاضافة مشيراً الى ان ديبالي من روافد دجلة . والصحيح الرافد ديبالي لأنه يمتد دجلة . وقيل لدجلة والفرات الرافدان لأنها يمدان شط العرب . وذكر «نضوج المزروعات» . والصحيح نضجها ، أما النضوج فلم ترد . والنضج للثمار في الأرجح . أما الزرع فيقال له باحصد واستحصد وأجزأخ . وهو الحصاد والجزاز . وما لاحظته في الكتب العلمية الحديثة ان معظم الكتاب يستعملون كلمة ري للدلالة على كلمة Irrigation الفرنسية ترجيحاً على «سقي وإسقاء» على حين ان أجدادنا العرب القدماء رجحوا الكلمتين الأخيرتين في كتبهم القديمة فيجب مجازاتهم في ذلك .

وقال : «تراكّم الترسبات في الأهوار» . والصحيح الراسبات Alluvions . وهي الغرين والغرين . ومن الأسماء المقاربة التّقانة والطلّخ والمطّخ . وسماه مجمع مصر الطّحي . قلت والغرين أصلح .

وقال : «خطر التسبّخ» قلت هو السّبخ والاسباخ . ولم أجد التسبّخ بهذا المعنى . واستعمل الصيهورد بمعنى Etiage والصحيح البرّوض والضّحل .

وقال «حوض دجلة والفرات» ترجمةً لمثل قول الفرنج Bassin du Tigre

et de l'Euphrate : الصحيح سقي دجلة والفرات ، أي ما يسقى منهما من أرض أو زرع وهو المقصود .

وكرر مثل قوله « يبلغ سقوط المطر كذا مليمتراً » ووصلت كمية الأمطار إلى كذا من المليترات » قلت ان « يقاس بالمليترات في ميازين المطر هو ارتفاع الأمطار أي علوها ، فيجب ان يقال : « بلغ ارتفاع المطر كذا مليمتراً » وهكذا . واستعمل « المنسوب » بمعنى Niveau ، قلت السوية والمستوى والسطح كلها أصلح . والصيب هو الاصطلاح الذي وضعناه لكلمة Débit . أما كلمة « تصريف » التي استعملها لهذا المعنى فهي غير صالحة .

وقال : « زراعة المحصولات الصيفية » والأرجح « زراعة النباتات الصيفية » اذا أراد التعميم ، و « زراعة الحبوب الصيفية » اذا أراد التخصيص . وقال « في العراق نحو ١٨٠ نوعاً من التمور » . والمصطلح عليه الضرب أو الصنف (Variété) بدلاً من النوع لأن هذه الكلمة الأخيرة قد قصرت على معنى Espèce في تصنيف المواليد الحديث .

وبعد لا تقدح هذه الحنات وأشباهاها بما لم أذكره في قيمة الكتاب العلمية . وأنا لم أتمثل بها إلا لأنني قرأت في أول الكتاب أن للمؤلف معجماً مخطوطاً جاهزاً للطبع سماه « معجم المصطلحات الهندسية » . فاذا كانت مصطلحات هذا المعجم كالتي استعملها المؤلف في كتبه يكون من المفيد أن يترى في طبعه ، وان يراجع الفاظه بضع سنين خشية أن يسيء الى نفسه وإلى لغة الضاد . وهذه نصيحة لا أسديها إلا إلى الذين أنا معجب بمؤلفاتهم كصاحب هذا الكتاب النفيس .

مصطفى الشرباني

آراء وأبناء

استقبال عضو عامل هزير

عقد المجمع العلمي العربي جلسة في ١٣ ايار سنة ١٩٤٦ لاستقبال العضو العامل الجديد الدكتور حسني سبيع رئيس الجامعة السورية التي اختارها كمة ترجم فيها لسلفه المرحوم الأستاذ ادب التقي ، وأجابه العضو العامل الأستاذ عارف السكدي بكلمة نوه بها بأعمال المجمع وحيا العضو الجديد معرقاً به وبآثاره . وفيما يلي الكلماتان المشار اليهما .

كلمة الدكتور حسني سبيع

سأدتي الأفاضل

أرى لزاماً علي أن افتتح كلمتي بحمد الله على ما أولاني من نعم ، ثم إن أتبعها شكر حضراتكم على تفضلكم علي وانتخابكم اياي عضواً عاملاً في مجمعكم الموقر وفقني الله لأن أكون عند حسن ظنكم .

وبعد ، فإن من تقاليد المجمع ان يلقى العضو العامل الجديد في جلسة استقباله كلمة يترجم بها لسلفه ويسرد ما قام به من عمل وما أتيه من أثر ، وسأني رحمه الله كان ممن تربطني به صلة الصداقة ، ومعرفتي به وإن لم تكن قديمة العهد راسخة ، فقد أتبع لي أن رافقته في رحلة مهرجان المعري وقضيت بصحبته الساعات الطوال ، والسفر كما قيل يسر عن أخلاق الرجال ، فسبرت غور نفسه واطلعت على ما تحلى به رحمه الله من مجايا طيبة وأخلاق رضية ونفس أبية ، في جانب تفكير صحيح وثقافة عالية ، وأدب جم وشعر رقيق ، ناهيك عن وطنية صحيحة ورحمة لاهية .

وقد ولد المرحوم الأستاذ أدب التقي سنة ١٣١٢ هـ في دمشق من أبوين صالحين وكان ولعاً في صغره بحفظ الجليل من شعر العرب وكلاهم نفع آيات :

الذكر الحكيم ، وأتم دراسته الثانوية في المدرسة السلطانية في دمشق ، وتخرج في علوم البلاغة والنقد الأدبي بالعلامة الجليل السيد محسن الأمين عضو مجمعكم الموقر ، وما أن أكمل تحصيله حتى اشتعلت نار الحرب العالمية الأولى ، فأخذ ضابطاً احتياطياً وذهب الى جبهة القفقاس ، حتى اذا وضعت الحرب أوزارها عاد الى بلده دمشق ، فاشتغل في التعليم ودأب على تأليف الكتب المدرسية المفيدة ، ولما احتل الفرنسيون دمشق كان مديراً لمدرسة البجصة ، وكان يذكي في نفوس تلاميذه روح العروبة ويبذر بذور الوطنية الحق ، حتى ان صورة للجنرال غورو كانت معلقة في بهو إدارة المدرسة مرقها الطلاب في يوم ذكرى ميلون فأثار ذلك حفيظة أولي الأمر عليه ونهي عن العمل ، فعين مديراً للمدرسة العلوية الأهلية في دمشق ، فأحسن إدارتها ونهض بها الى مصاف المدارس الثانوية الراقية .

ولما اندلع لهيب الثورة السورية سنة ١٩٢٥ غادر دمشق الى شرقي الأردن حيث عهد اليه في تدريس الأدب العربي في مدرسة الصلت الثانوية ، ورجع الى دمشق بعد خمود الثورة ، وانتسب الى معهد الحقوق العربي في الجامعة السورية ونال الاجازة وعين أستاذاً للأدب العربي في تجهيز الإناث ثم محاضراً في الأدب العربي في مدرسة الآداب العليا ، وانتخب سنة ١٩٤٢ عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي ، وبينما كان يعد العدة للذهاب الى القاهرة ليقيم الى جامعته كتابه الذي وضعه في الشريفة الرضي ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب ، عاجلته المنية في نيسان ١٩٤٥ فعلمه الله برحمته .

وقد كان رحمه الله أديباً وشاعراً تقياً ، فصيح اللسان واسع الاطلاع في علوم اللغة والتاريخ ، عذب الحديث محافظاً على المبادئ والأخلاق الإسلامية والقومية الصحيحة ، الى النفس يقتصر للحق وفيك لأصدقائه فعالاً للخير .
وانكب على الكتابة والتأليف وقرض الشعر ، فأهدى الى المكتبة العربية بعض الكتب القيمة ، أذكر مما طبع منها التاريخ العام وهو في جزئين وسير التاريخ الإسلامي ومناهج التربية والتعليم ، وسير العظماء ، ونهضة اليابان السياسية والاجتماعية ، وبصطفى كمال باشا في الأناضول ، وغرائب العادات ، والمسيح الهندي .

وساهم مع زملائه الأساتيد الجندي والقواس والسراج بوضع كتاب الطرف في ستة أجزاء ، ونشر عدة مقالات في المجلات العربية المختلفة .

أما ما لم يطبع من مؤلفاته ، فمنها تاريخ العصر الحاضر ، وتاريخ العهد النبوي والخلفاء الراشدين ، والامام علي بن أبي طالب ، وبسمارك بطل الاتحاد الألماني ، والجغرافية الاقتصادية ، وتاريخ الختان ومحسناته ، والجزء الثاني من سير العظماء ، ومائتا مسألة في الحساب النظري والجبر والمثلثات والميكانيك والفيزيك ، ومجموعة مقالاته الاجتماعية والأدبية والتاريخية ، وشعر اخيام وفلسفته ، ورواية الوجيه المتحضر ، ثم مؤلفه في الشريف الرضي ويعد على ما قيل من أفضل ما كتب عنه . ونظم رحمه الله الشعر حتى اجتمع من شعره ديوان طبعه سنة ١٣٥٠ هـ ، فضلاً عن القصائد العديدة التي نظمها في جملة مناسبات ، وكلها حماسية ، تذكى لبيب الوطنية وتدعو الى النهوض واليقظة . وبوب ديوانه المذكور تبويبا ينم على ما يخالج نفسه من مشاعر في شتى النواحي . فاستهل « نبضات قلب » بوداع دمشق نظمها عندما غادر دمشق الى استانبول للانضمام الى الجيش في الحرب العالمية الأولى ومطلعها :
شذاك ام المسك الفتيت يزوعُ له بيننا انى نحل سطوعُ

ومن شعره الرقيق في « سائحة وجد » :

لئن بعدت منازلكم فقلبي	لكم من دونها كنف ودارُ
وان ضن السحاب قدمع عيني	لكم من دون عارضه قطار
عتبت على الزمان وليت شعري	أبرجى منك يادهر اعتذار
هي الأقدار تمضي في البرايا	فليس بتيك من قدر حذار

وقال رحمه الله :

يجري بنا الدهر الى غاية	سيان داني الخطو او شاسعه
ان لم يزن حسن الفتى خلقه	فما جمال خلقه نافع
والمسك ما نم عليه الشذا	لا ما غلا في مدحه بائعه

وقال في « زفرة » :

الزيت اوشك ان يجف وينظني نور السراج

اني سامضي غير معروف الدخيلة . والعلاج
واظل في هذا الوري أجمية بين الأحاجي
وابدع في وصف شيخ تصاني وضل وفجر اذ قال :

جاء الشباب الى شيخوخة ورثت عن الشباب بقايا الاثم والعار
ما زال منذ الصبا باللهو منغمساً لم ينهه الشيب في وعظ وأذكار
في حالته تراه غير مكترث بغير كأس وطنبور ومنمار
تراه طوراً لدى ماخور مومسة وتارة هو في حانوت خمار
الى ان قال :

يا ويحه كثرت آثامه فمتى تنأى به الدار أو ينأى عن الدار
ورثي صدقه المرحوم احمد شاكر الكرمي بمرثية طويلة قال فيها :
يردى بكى وبكت ضفافه قل للحمام فما هتافه
الموج عبر عن أساه وصوته هذا التهافه
والآس في روضاته مستعبر وكذا خلافه
الى ان قال :

أهدداً بالموت ان الموت امر لا نخافه
ذرجت عليه كهولنا والنشء تيمه ارتشافه
لا نرتضي عيش الهوان فانت أنفسنا تعافه
عيش يعز قوبه وتئن رازحة ضعافه
العدل أظلم أفعه والظلم لا يخشى اقترافه
والأرض مجزرة القوي ضعافه فيها خرافه
والشعل منصدع فهل يرجي مع الخلف ائتلافه

رحمه الله رحمة واسعة وأمد الله في أعماركم زملائي الأكارم وادامكم
للعلم والفضيلة وللعرب والعريية ذخراً والسلام .

صني سبع

كلمة الأستاذ عارف النكدي

سادتي : رئيس المجمع العلمي العربي واعضائه الكرام .
جرت العرف في المجمع العلمية ، ان يقدم العضو الجديد ، عضواً قديماً ، وأقر
بجمعنا هذا العرف ، ثم ندبني لأقدم اليه زميلنا الجديد الحكيم حسني سبيح :
رئيس الجامعة السورية .
والتقديم — سواء أكان سنة تردد ، أو تعارف يبدد ، أو معرفة تؤكد ، —
من حقّه ان يكون متبادلاً ، لذلك رأيت ان ابدأ فأقدم هذا المجمع الى الزميل
الجديد ، قبل ان اقدمه هو اليه .

ولست في تقديمي هذا ، بمتعرض للمجمع من ناحيته : العلمية والتاريخية :
تأسيسه وسيرته ، وابجائه واحداثه ، وتطوراته ومحاضراته ، فهذا شيء من حقوق
الرئاسة ، والأستاذ الرئيس يقوم به ، وعلى أحسن وجه ، ولا سيما في تقاريراته
الدورية ، وبياناته السنوية لكنني متناول هذا المجمع من ناحيته : العلمية والاجتماعية :
ليس يعرف لهذا المجمع قيسه ، إلا الذين عاشوا في نأناة الحكومة العريية ،
التي أنشأها رجل العرب فيصل بن الحسين ، او من يعود الى اوراقها ومعاملاتها ،
ينقب فيها ليطلع على مضامينها . في ذلك الحين كان لتلك الحكومة العريية الناشئة ،
لغة عريية ، وليس لها من العريية الا حروف مغلوطة - مقلوقة : سفي رسمها وفي
لفظها ، وإلا كلمات مخرفة - مضحكة : عن وضعها وعن استعمالها . اما الأساليب
والتركييب فمضحكة في عجمة ، قل ان يفهم منها مقصود ، او يستخلص معنى .

في تلك الفترة الدقيقة من حياة اللغة العريية ، بل من حياة الأمة العريية ،
وبعيد تلك الفترة — يوم خازلت اللغة الفرنسية وأساليبها ان تترشح اللغة العريية
عن مقامها في الدوائر الحكومية — وقف هذا المجمع يعرب الكلمات ، ويضع المفردات ،
ويصالح الألفاظ والعبارات ، ويقوم الأساليب والهجيات ، ضيانه لهذه اللغة ومحاولة
عليها . وهو العمل الذي بدأ به الى يومنا هذا ، واثبات موقفنا .
لنتجاوز ما كانت تهتم اللغة به قد اقبل في هذه البقعة العريية من عثارها ، فاصطلحت

اللغة : في الدواوين ، وفي الصحافة ، وفي الدراسة ، وهذبت مما كان يشوبها من عجمة ولكنة ، فجانبت كبير من هذا الفضل ، يعود الى هذا المجمع .
واللغة اذا سلت ، فقد سلّت الأمة . فالأمة لغتها ، وقد يما قال عليه الصلاة والسلام :
ليست العربية لأحدكم بأب ولا أم ، وإنما هو اللسان . من تكلم العربية فهو عربي .
هذه واحدة ، من حيث خدمة المجمع العربي للشعب الشامي ، بل للأمة العربية ،
من الناحية اللغوية والقومية ، ولو لم يكن له غيرها لكان قد قام بما أسس من
أجله ، وحبه هذا .

الا ان لهذا المجمع موقفاً آخر من حيث الكرامة القومية ، والروح الوطنية ،
لا ينبغي ان يغفل أمره .

فالمجمع العربي هو الدائرة الفرد - من بين سائر دوائر الحكومة - التي وقف
منها الأجنبي موقف الحرمة والمساواة . فما سيطر عليها ولا استطال ، ولا عبث بها
ولا أفسد ، في هذا الوطن وحده وقفت لغة القوة ، من لغة العلم ، موقف الند للند ،
ومدت السلطة يدها الى المجمع ، مدة المجاملة لا المجالدة .

هذه هي صورة مجملته لهذا المجمع العلمي ، ما نرسمها تعريفاً له ، بل تنويراً به .
ومما يحمد لهذا المجمع انه كان في جميع ادواره ، حريصاً على ان يضم اليه
النخبة الصالحة من رجال الأدب والعلم والفضل ، في كل باب من أبواب العرفان ،
التي يحتاج اليه هذا المعهد في تكوينه وتقويته وتعزيزه .

من أجل ذلك كان طبعياً ان يختار مجملتنا لعضويته الأستاذ سبيع ، لصفتيه :
العامة والخاصة .

فالأستاذ الحكيم ، رئيس الجامعة السورية ، وخليفته بحسب هذا المنصب العلمي
الخطير ، وهو يشرف منه على تثقيف أبناء الأجيال القادمة في دراستهم العليا ، ان
يكون في جملة اعضاء المجمع العلمي ، ولا سيما متى اجتمع فيه من مزايي العلم ،
وخدمته ، والعمل في التعليم والتأليف ، ما اجتمع في زميلنا الكريم .

فهو بعد ان أتم دراسة الطب في معهد دمشق سنة ١٩١٩ ، عين مساعداً لمخابر

المعهد الطبي فيها ، ثم محاضراً ، ثم وكيل أستاذ ، ثم أستاذاً لكثير من فروع العلوم الطبية . ثم رئيساً لمعهد الطب ، ف رئيساً للجامعة .

أما مؤلفاته فهي : موجز مبادئ علم الأمراض ، طبع سنة ١٩٣٣ ، وأعيد طبعه مرتين سنة ١٩٣٨ وسنة ١٩٤٢ . ومبحث الاعراض والتشخيص طبع سنة ١٩٣٣ ، وأعيد طبعه مرتين أيضاً سنة ١٩٤٢ وسنة ١٩٤٥ . وعلم الأمراض الباطنة في سبعة اجزاء صدر منها حتى الآن خمسة أجزاء ، والجزء السادس تحت الطبع . وموضوعات الأجزاء كما يلي :

- الجزء الأول امراض الجملة العصبية طبع سنة ١٩٣٥ .
- الجزء الثاني الأمراض الأثنائية والطفلية طبع سنة ١٩٣٦ .
- الجزء الثالث أمراض جهاز التنفس طبع سنة ١٩٣٧ .
- الجزء الرابع أمراض جهاز الهضم طبع سنة ١٩٤٠ .
- الجزء الخامس امراض جهاز الدوران طبع سنة ١٩٤٤ .
- الجزء السادس امراض جهاز البول وامراض الدم وهو تحت الطبع .
- وألف كتاباً أسماه فلسفة الطب طبع سنة ١٩٣٩ ، وأعيد طبعه سنة ١٩٤٥ . وهو يطبع الآن موجزاً للأمراض الباطنة يقع في جزئين .
- وله معجم في الألفاظ والمصطلحات الفنية يقع في ثلاث كراسات ، احداها في أمراض الجملة العصبية . والثانية — في الأمراض الأثنائية والطفلية . والثالثة — في أمراض جهاز التنفس .

وقد برز في هذه الألفاظ والمصطلحات ، ورتبها على الحروف الهجائية ، باللغتين العربية والفرنسية ، ثم بالفرنسية والعربية ، مما يسهل على الطالب الرجوع اليها والاستفادة منها . وهذه الألفاظ منها ما نقله المؤلف عن غيره ، ومنها ما اعتدى اليه باجتهاده ، ومنها ما وضعه من ذات نفسه . وعمله هذا خدمة جلى للغة ، ولعلم الطب ، بل للعلوم عامة . وتآلف الأستاذ ظاهر فيها دقة الوضع ، ووضوح المعنى ، غالب عليها صحة الأملوب ودقة التعبير ، ولا سيما في الكتب التي جدد طبعها .

وزيلنا الفاضل مشهور في فنه خاصة بتشخيص المرض ، وبإخلاصه للفن اخلاصاً
يسمو به عن روح المتاجرة ، وبالصرامة التي تبعده عما يقع فيه كثيرون من
الرغبة في التجمع ومن الميل الى الظهور . فأخلاقه اخلاق العلماء ، وتواضعه تواضع
من يعرف قدر نفسه وقيمتها ، فلا يبالي بمظهر كاذب ، ولا دعوى فارغة .
ذلك هو المجمع ، وهذا هو عضوه الجديد . واذا كان الأستاذ مبع قد خدم
العلم من قبل من ناحية ، فسيخدمه في المجمع بعد اليوم من ناحيتين . والأمل
كبير في ان يكون الزميل بما هو معروف عنه من جد ودأب ونشاط — المثل
الأعلى في المؤازرة والمعاونة في كل ما يعود على المجمع والعلم بالخير والفائدة .
أهلاً وسهلاً بالزميل الجديد ، ورحم الله الزميل الفقيه .
مصاب بالكاتب الأديب ، وعزاء بالعالم الأريب .
عارف التكري

مدينة سراي

جاء ذكر سراي في الجزء الثالث والرابع المزوج من المجلد الحادي والعشرين
(ص ١٣٥) وقيل عنها هناك : « لعلها التي تستنى اليوم استرخان » . فلا إزالة هذا
الاشتباه أقول انت سراي ليست استرخان ، وان كانتا ككناهما على نهر اتل
(بكسر الألف والتاء) ، وهو المسمى اليوم فولغا أطول نهر في اوربا . فان
استرخان (تحريف اسمها القديم الحاج ترخان) هي عند مصب هذا النهر . وأما سراي
فقرى اواسطه بعيدة عن استرخان الى الشمال .
أسس بلدة سراي باتوخان ملك التار ابن جوجي . (ويقال دوشي) . خان ابن
جنكيز خان الشهير على الجانب الشرقي من نهر اتل بساحل شعبة منه يقال لها
آق توبه أي التل الأبيض في حدود سنة ١٢٤٥ هـ . وجعلها كرمية مملكته المعروفة
عندهم بـ (الوص جوجي) . أي حصه جوجي ، خسته التي أعطاها اياها ابوه جنكيز
عندما قسم الممالك التي استولى عليها . عين أولاديه الأربعة بموقعها أيضاً بمملكة
الدشت ، دشت قباچون ، وبالتون / اريدون / وسماها للمركب / أجبانا / بمملكة سبوكه شاه

لأن بركة خان اخا باتوخان اشتهر بكونه أول من أسلم من آل سنجتكنيز على الإطلاق ونشر الاسلام في تلك الأصقاع وجرت له مناسبات سياسية مع ملوك مصر عداوة لملاكو ابن عمه . وكانت اسلامه على يد صاحب طريقة يدعى سيف الدين الباخري . وكان بركة خان هو الذي أتم بناء سراي كاجاء في كتاب (تليق الأخبار وتلقيح الآثار في وقايح قزان وبلغار وملوك التتار) تأليف م . م - الرمني (ج ١ ، ص ٣٧٩) .

زار ابن بطوطة مدينة سراي في زمن السلطان اوزبك وسماها : (سرا) يحدف الياء . قال بعد عودته من القسطنطينية : « ٠٠٠ » ثم وصلت الى مدينة الحاج ترخان حيث فارقتنا السلطان اوزبك فوجدناه قد رحل واستقر بحضرة ملكه فساغرنا على نهر ائل وما يليه من المياه ثلاثاً وهي جامدة . وكنا اذا احتجنا الماء قطعنا قطعاً من الجليد وجعلناه في القدر حتى يصير ماء فنشرب منه ونطبخ به . ووصلنا الى مدينة السرا (وضبط اسمها بسين مهلة وراء مفتوحة والفاء) وتعرف بسرا بركة وهي حضرة السلطان اوزبك ودخلنا على السلطان . . . ومدينة السرا من أحسن المدن متناهية الكبر في سيط من الأرض تغص بأهلها كثرة تحسنة الأسواق ، متسعة الشوارع . وركبنا يوماً مع بعض كبرائها وعرضنا التطوق عليها ومعرفة مقدارها ، وكان منزلنا في طرف منها فركبنا منه غداة فما وصلنا لآخرها الا بعد الزوال . فصلينا الظهر وأكلنا طعاماً فما وصلنا الى المنزل إلا عند المغرب . ومشينا يوماً في عرضها ذاهبين وراجعين في نصف يوم . وذلك في عمارة متصلة الدور لا خراب فيها ولا بساتين . وفيها ثلاثة عشر مسجداً لإقامة الجمعة . . . وفيها طوائف من الناس منهم المغل وهم أهل البلاد والساكنين وبعضهم مسلمون . ومنهم الاصل وهم مسلمون ومنهم القفجق والجزكس والروس والروم وهم نصاري . وكل طائفة تسكن محلة على حدة فيها أسواقها والتجار والقرباء من أهل العرافين ومنصر والشام وغيرها . ما كنون بمحلة عليها صورة احتياطاً على الموال والتجار . . . ر . حارب . تيمورلنك . توقيتامش خان ملك التتار . وفي شريته الأتخيزه فيمنعه . غلبت توقيتامش وهرب . قارمئل . تيمورمش . حارب منراخي سنة ٧٩٨ (يلقى بالاختبار)

ج ١، ص ٦٢٤) - ثم انبها عمريت تدريجياً بعد انصراف تيمور - زببد مضي اكثر من عصر استولى عليها مكلي كراي حاكم القرم واخرها نهائياً، وقيل في تاريخ خرابها: (ايا ويح سراي هذه ودمره مكلي كراي) (سنة ٩٠٧) (تلفيق ٤ ج ١، ص ٧٠٩ و ٧١٢) . واستمر خرابها الى ان بنى الألمان النازحون ٤ منذ القرن الثامن عشر الميلادي ، الى تلك الأطراف في أيام يكتارينا الثانية على انقاضها قرية سميت (سريفكة) تحريف سراي - ثم صارت بعد ذلك قصبة وفيها محلة من المسلمين لم فيها مسجد ومكتب (تلفيق ٤ ص ٧١٣) .

الدكتور داور الحلبي



(الموصل)

ذيل مرآة الزمان

في خزانة وزارة الهند في لندن كتاب عنوانه ذيل مرآة الزمان لمؤلف غير معلوم كما كانوا يظنون ولكن بعد المطالعة وجدت انه مجلد من تاريخ قطب الدين اليونيني البعلبي المتوفى سنة ٦٢٦ وهذا الكتاب اظنه نادراً جداً يوجد اوله في الأستانة في نسختين ٤ ثم نسخة عتيقة في اكسفورد تحتوي أخبار سنة ٦٥٦ الى سنة ٦٧٣ . وهذا المجلد المحفوظ في لندن يشتمل على الأخبار من سنة ٦٧١ الى ٦٨٦ واذا ان المؤلف ساق تاريخه الى عام وفاته فياحبذا لو نعلم بمكان وجود الجزء المشتمل على الأخبار من سنة ٦٨٦ الى آخر الكتاب .

أصوب هذا التاريخ على نمط التواريخ منذ زمان الصولي والصابي انه يذكر أولاً التاريخ الدولي ثم في كل سنة تراجم من مات في تلك السنة من الأعيان من الأمراء والملوك والشعراء وشيوخ الحديث الخ ولكنه يختلف عن المؤرخين المصريين: اذ هو شامي وتاريخه شامي ودائماً نجد انه كان صديقاً او ذا معرفة بكثير من الأكابر في زمانه وأيضاً انه شاهد بنفسه الوقائع المشهورة مثل الملحمة ظاهر حمص التي كسرت بها التتار تحت امره منكوتمر اخي الملك ايقاخان وتارة يجيء بالعجائب فهو ما ذكره في ترجمة شمس الدين ابن خلصكان حين كان قاضي القضاة يقول: (ورثة هـ) حكى لي (يعني صاحبه كمال الدين عمر بن العديم المؤرخ المشهور) انه حضر اليه

وهو بالمدرسة العادية الكبيرة بدمشق بعد العشاء الآخرة من اخبره ان ثم جماعة من أعيان العدول في مكان يشربون الخمر وعندهم نساء أجنبيات وشنع شناعة كثيرة فاستوثق المخبر عنده وأرسل من باب السر من يثق به الى ذلك المكان وعرفهم الصورة وان والي الليل يحضر لكشف ذلك وأمرهم برفع ما عندهم من المنكرات والتأهب لمن يحضر ثم أحضر والي الليل وعرفه ما ذكر الناقل وأمره ان يأخذه ويتوجه الى المكان لكشف (الأصل بكشف) حقيقة ذلك فتوجه والي الليل وطرق الباب ودخل فوجد جماعة يتحدثون وعندهم فقير مزمن ومأكول لا غير فعاد والي الليل ومن معه وأخبروه بما شاهدوا فعزر الناقل فانحست مادة السعيات بمثل ذلك .

كذلك نجد أشياء تبين أخلاق بعض الأكابر فانه قال بعد ترجمة طويلة للملك الظاهر يبرس (سنة ٦٧٦) في ترجمة الملك القاهر عبد الملك بن عيسى ابن محمد بن أيوب مانصه :

وحكي ان تاج الدين نوح بن اسحاق بن شيخ السلاطنة حكي عنه حكاية غريبة معناها ان الأمير علاء الدين ازدر ان العلائي نائب السلطنة كان بقلعة صند حدثه بها قال كان الملك الظاهر مولعاً بالنجوم وما يقول ارباب التفاهيم كثير البحث عن ذلك فأخبرانه يموت في سنة ٧٧ ملك باسم فحصل عنده من ذلك أثر كثير وكان عنده حسد شديد لمن يوصف بشجاعة او يذكر بذكر جميل في معناها واتفق ان الملك القاهر لما دخل الملك الظاهر الى الروم وكان يوم المصاف وراه الملك الظاهر فتأثر منه وانضاف الى ذلك ان الملك الظاهر حصل منه في ذلك اليوم فتور على خلاف العادة وظهر عليه الخوف والندم على تورطه في بلاد الروم فحدثه الملك القاهر في ذلك الوقت بما فيه نوع من الانكار عليه والتوبيخ لفعاله فتأثر عنده أثراً آخر . فلما عاد من غزواته وسمع الناس يلهجون بما فعل الملك القاهر زاد تأثره وحنقه عليه فحبل في ذهنه انه اذا سمع كائن هو الذي ذكره ارباب النجوم لأنه يطلق على اسم ملك وله ذكر فأحضره عنده ليشرب القمح وجعل الذي قد أعبد له في ورقة في جيبه من غير ان يطلع على ذلك أحداً من خلق الله تعالى

والسلطان منابت مختصة ثلاثة مع ثلاثة من السقاة الذين له لا يشرب إلا بها
 حتى يكرمه بأن ينأوله ذلك المناب من يده واتفق قيام الملك القاهر الى
 البزال فجعل الملك الظاهر ما في الورقة في هبابه وأمسكه بيده فلما عاد الملك
 القاهر نأوله إياه فقبل الأرض وشربه وقام الملك الظاهر ليبزل فأخذ الساق
 الكأس من يد الملك القاهر وملأه على العادة بأمسكه ووقف مع السقاة فجاء
 الملك الظاهر من البزال وتناول ذلك الكأس بعينه فشربه وهو لا يشعر فلما
 فرغ من شربه استشعر وعلم انه شرب من ذلك الكأس الذي فيه آثار السم
 وبقيائه فقام من وقته وحصل له ألم وتحيل واشتد به المرض ومات كما تقدم وأما
 الملك القاهر فمات غداً ذلك اليوم .

هذا مضمون ما ذكره ابن المولى تاج الدين نوح وذكر ان عن الدين العلائي
 بلغه ذلك من مطلع لا يشك في أخباره والله أعلم بحقيقة ذلك .

—•••••—

نفيه الى ص ٥٢٠ من المجلد العشرين من المجلد

اسم جد البرزالي اويدياس بفتح الياء المثناة والدال المشددة كما ذكرته في
 ترجمته في الدرر الكامنة وكذا كتب جده اسمه في مجلد من تاريخ ابن عساكر
 محفوظ في المتحف البريطاني وهذا الاسم ليس بنادر في يراير المغرب .

—•••••—

ديوان زهير بن أبي سلمى

لم أر الى الآن هذا المنشور ولكن اقول ان الموجود منه ثلاث روايات
 فالمتداولة الى يومنا الاندلسية المختصرة التي طبعت غير مرة ثم روايتان للديوان
 الكامل اقدمها لأبي سعيد السكري ثم التي في رواية ابني العباس ثعلب النحوي
 البكوفي التي هي أصل الطبعة الجديدة لذكرها عدة نسخ جيد ترينها التي هي محفوظة
 في خزانة الاستكوريان ببلاد الاندلس وهي التي نقلتها في هوامش تكمليتي لما في
 الرواية الثالثة وهذه الرواية اعني الرواية ابني سعيد السكري قد لا أعرف من غيرها إلا

النسخة التي في خزانة المستشرقين الألمانين في هالة وقد وهم صديقي الأستاذ فيشر لما زعم أنها أيضاً رواية ثعلب بل هي أوسع قليلاً ولكن فقدت الورقة الأولى منذ دهر قديم فكتب شخص ليكمل الكتاب على ورق مخالف للأصل بمداد ليس اسود مثل مداد الأصل وأيضاً في آخر الديوان يوجد بخط دقيق لكاتب الأصل كلمات رواية السكري أو ما معناه . وفي هذا الديوان أبيات يسيرة لا وجود لها في رواية ثعلب وبالعكس . وأيضاً في الروایتين اختلاف في ترتيب القصائد ولكن لا شك بأن كليهما أخذتا أكثر الشروح عن شيوخ كانوا قبل زمانها . نسختي التي كتبتها منذ أكثر من ثلاثين سنة عازماً على نشرها قد أعربتني لصديقي فلم يردها إلي اليوم .

سالم الكرنكوي

•••••

(كبردج)

التنبيه والتوجيه

— ٣ —

- ٢ — وفي ص ١٥ أيضاً « وأكياساً حريرية » وقول الكاتب الفاضل « حريرية » فيه لبس وإيهام ، لأن قوله « حريرية » يعني في لغة العرب « فيها شيء من الحرير » وكذلك الأمر في كل ما نسب إلى الأشياء ولم أجدهم أحداً من المعاصرين نبه على هذه النكتة الدقيقة في لغة العرب ، فإذا كانت الأكياس كلها من الحرير قيل « أكياساً حريراً » ، وعلى هذا يجب أن يقال « السكة الحديد » لا « السكة الحديدية » .
- ٣ — وجاء في ص ١٧ أن من الضروري جعل « البرعمة » — وهي بالفرنسية Ecussonnage — للتطعيم بالرقعة إذ لم يكن له اسم في العربية ، قلت : اسمه بالعربية « التطعيم » أيضاً فلا حاجة إلى البرعمة ، قال أبو الحسن المسعودي « وقد ضربنا ضروب التوليدات في أنواع الحيوان والنبات من تطعيمهم الغروس والأشجار ^(١) » ، وجاء في أخبار الملك الناصر محمد بن قلاوون الأتقي من حوادث سنة ٧١١ هـ أنه « أخرب مناظر اللوق بالميدان الظاهري ، وعملها بستاناً وأحضر إليه سائر
- (١) مروج الذهب « ج ١ ص ٢٢٥ » طبعة المطبعة البهية المصرية سنة ١٣٤٦ هـ .

أصناف الزراعات واستدعى خولة الشام والمطعمين فجاء من أبدع البساتين^(١) « واشتهر من المطعمين في التاريخ » عيسى بن عبد الرحمن بن معالي المقدسي ثم الصالحى الخبلي السمسار المطعم ، ولد سنة ٦٢٦ هـ وروى من الأحاديث النبوية وغيرها وكان يطعم الأشجار ويسمر في الدور وسافر الى بغداد وطعم بستان المستعصم بالله العباسي وتوفي سنة ٧٠٧ هـ قيل كان أمياً بعيد الفهم^(٢) . وربط الثقافة العربية القديمة بالحديثة واجب راقب .

٤ - وجاء في ص ١٨ من المجلد المذكور أن « مضغط الجو هو أدل على البارومتر Barometer من المضغط بالاطلاق . قلت : اذ انتهى الأمر الى استعمال كلمتين فالصواب « ميزان الهواء » وهذا الاسم أقرب الى أفهام العرب وأوضح لطلاب العلم من غيره .

٥ - وفي ص ٢١ منه ورد أن « بغلاً » لا يجمع في القلة على « أبغل » بل على « أبغال » ، قلت : إن « أبغلا » هو القياسي في قلة على « بغل » وأما « أبغال » فلم يجمع الصرفيون على قياسه ، وفي الأخبار التي نقلها الخطيب البغدادي ان الخليفة محمداً الأمين أمر الفضل بن الربيع فأقر لعبد الله بن أيوب الشاعر « ثلاث أبغل » دراهم^(٣) ، إجازة له على أبيات .

٦ - وجاء في ص ٣٥ منه ما يفيد ان قولهم « يخرب بيتو » من الكلام العامي الحديث ، والتاريخ يدل على قدمه فقد ورد في كلام ثعلب : قيل لما قرأ القطري عليه بيت الأعشى « فلو كنت في جب ثمانين قامة . . . » صحف « جباً » الى جب فقال ابو العباس « خرب بيتك هل رأيت جباً قط ثمانين قامة ؟ ! إنما هو جب^(٤) » أما إبدال الشامين الواو من هاء الغائب كأن يقولوا « بيتو » مكان « بيته » فقد وجدته في كلام اهل القرن السادس للهجرة ، قال ابن خلكان في ترجمة العلامة ابي محمد عبد الله بن يري اللغوي الحموي « ويحكى أنه كانت فيه غفلة ولا يتكلف

(١) الميرزي في السلوك لمعرفة دول الملوك « ج ٢ ص ١٢٠ » طبعة لجنة التأليف وهي الأولى

(٢) ابن حجر العسقلاني في الدرر الكامنة « ج ٣ ص ٢٠٢ » (٣) تاريخ بغداد « ج ٣ ص ٣٣٩ »

(٤) ياقوت الحموي في « معجم الأديباء ج ٢ ص ١٢٥ »

في كلامه ولا يتقيد بالاعتزاب بل يسترسل في حديثه كيفما اتفق حتى قال يوماً لبعض تلامذته ممن يشتغل عليه بالنحو: اشتر لي قليل هندباء بعرووق. فقال له التلميذ: هندباء بعرووق؟! فعز عليه كلامه، وقال له: لا تأخذه إلا بعرووق وإن لم يكن بعرووق فلا تأخذه^(١).

٧ - وجاء في ص ٣٤ «يجدر بي هنا السكوت» وليس ذلك بفصيح ولا صحيح، فالصواب «إني جدير بالسكوت أو بأن أسكت»، و«يحن بي السكوت» و«أنا أجدر بالسكوت» ولو كان الكاتب شاعراً لقلنا إن هذا من القلب كقول عروة بن الورد:

فدبت بنفسه نفسي ومالي وما آلوك إلا ما أطيع
أراد: فدبت نفسه بنفسه فقلب المعنى^(٢) هكذا قال المرزباني وأنا أقول:
بل قلب اللفظ.

يتبع: (بغداد) الدكتور مصطفى جواد



هدية الى دار الكتب الظاهرية

أهدى الأمير جعفر الحسيني عضو المجمع العلمي العربي الى دار الكتب الظاهرية بدمشق مجموعة من المجلات العربية يبلغ عددها ٢٣٧ مجلة بين مجلد وجزء. فله الشكر الجزيل.

القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية

أخذنا في طبع كتاب (القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية) لمؤلفه محمد بن طولون الصالح المتوفى سنة (٩٥٣ هـ) عن صورة من نسخة وخيدة بخط المؤلف فترجو عن يعلم ان هناك نسخة ثانية من هذا الكتاب ان يرشدنا اليها وله منا جزيل الشكر. دمشق: محمد أحمد وهمان

(١) الوفيات ج ١ ص ٢٩١ من طبعة المعجم (٢) المرزباني في الموشح ص ٨٥

الصفحة فهرس الجزء السابع والثامن من المجلد الحادي والعشرين

- ٣٨٩ العلامة للمراغي للأستاذ محمد كرد علي
- ٣٩٦ ابن أبي عذينة وتاريخه دول الأعيان = عباس الغزالي
- ٣٩٧ - أقرب الموارد (٣) أحمد رضا
- ٣٢٩ الملك الظاهر بيبرس (٣) عبد القادر المغربي
- ٣٣٨ ضرب الحوطة على جميع الغوطة لابن طولون (٣) للدكتور اسعد طلس
(مخطوطات ومطبوعات)
- ٣٥٢ موجز الاقتصاد السيامي للأستاذ عارف النكدي
- ٣٥٤ الوقائع والنظريات الاقتصادية في العصر الحديث = = =
- ٣٥٦ الياذة هوميروس = = =
- ٣٥٧ كتاب المؤتمر الأول للمحامين العرب = = =
- ٣٥٨ عصر الخرافة الذي نعيش فيه (الكتاب الأول) = شفيق جبري
- ٣٥٩ = = = (الكتاب الثاني) = = =
- ٣٥٩ كيف يعمل العقل (الكتاب الأول) = = =
- ٣٦١ = = = (الكتاب الثاني) = = =
- ٣٦٢ بين العلم والأدب = = =
- ٣٦٢ نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر = = =
- ٣٦٣ خيالات = = =
- ٣٦٤ ميسلون = = =
- ٣٦٥ أفراح الربيع = = =
- ٣٦٦ تطور الري في العراق للأستاذ مصطفى الشهابي
(آراء وأبناء)
- ٣٦٩ استقبال عضو عامل جديد
- ٣٦٩ كلمة الدكتور حسني سبيح
- ٣٧٣ الأستاذ عارف النكدي
- ٣٧٦ مدينة مزارى للدكتور داود الجلي
- ٣٧٨ ذيل امرأة الزمان، تنبيه، ديوان زمير بن أبي سلمى للأستاذ سالم الكرنكوي
- ٣٨١ التنبيه والتوجيه (٢) للدكتور مصطفى جواد
- ٣٨٣ هدية إلى دار الكتب الظاهرية

مجلة المجمع العلمي العربي

أيلول وتشرين الأول سنة ١٩٤٦ شوال وذوالقعدة سنة ١٣٦٥

المؤلفون في مصر

كتبت الاجادة في التأليف لأكثر حملة العلم عند العرب من أهل القرن الثاني الى الخامس من الهجرة وكتبت الاجادة لبعض هذه الطبقة منذ القرن السادس الى القرن التاسع . وفي هذه العصور الأخيرة كان عهد المتوسطين بقرايحهم وعلمهم والنوابغ معددين في كل جيل على أصابع اليد . وبعد العصر التاسع بدأ عصر التقهقر فضعفت اللغة ، وضعفت الآداب وأمت الأقطار العربية في سبات عميق 'تزغ من النفوس مضائوها ومن العقول تفكيرها ، وصار الدور دور العجمة والأعاجم ، ونشأ من ذلك قلة الدارسين والباحثين والشاعرين والناثرين ودام هذا الانحطاط الى اواخر المئة الثالثة عشرة .

تعلقت قدرة المولى تعالى ان يحمل العرب مشعل النور الى العالم بضعة قرون وتعلقت قدرته بعد ذلك ان تقع هذه الشعلة من أيديهم ويثلقها أهل الغرب . فكان النور قبل العصور الوسطى يحمل من آسيا وأفريقية الى أوربا ، فأصبح بعد ذلك يحمل من أوربا الى آسيا وأفريقية .

ولما كانت النهضة العربية الأخيرة في مصر كان أول ما بدى به اصلاح اللغة واصلحت القوالب التي يؤدي الكلام بها ، وأخذ النباء منا عن الغربيين طرقهم في البحث والدرس ، فضموا الى قديمهم حديثاً طريفاً ، وأخذوا عن جيرانهم ما اشتدت حاجتهم اليه من ثقافة وتدريب .

وما جاءت المئة الرابعة عشرة حتى أخذ التأليف بالعربية يتجه وجهة لم يكن له بها عهد منذ أجيال . وما انسلخ الربع الأول من هذا القرن حتى تبدلت هيئة الكتابة وهيئة الشعر وتبدلت بتبدلها هيئة التأليف . أخذ الناس يحرصون على المعاني والمحسوسات أكثر من حرصهم في القديم على الألفاظ والخيالات . ودالت دولة الاممجام والجناسات التي اخترعتها عصور الانحطاط ، ويكاد يقول من قرأ صفحة كتبت في القرن الثاني او الثالث وعارضها بأخرى كتبت في العصر الحادي عشر والثاني عشر أن اللغة تبدلت معالمها ، وروحها كل التبدل ويخلص الجمهور من معان باردة وافكار مكررة وآداب لا تلامس الحياة في قليل ولا كثير . كان الفضل الأول لاجراج اللغة العربية من الابتذال والركاكة وادخالها في طور جديد تجري فيه مجرى عصور الارتقاء لذاك المعهد العظيم الذي دعوه (دار العلوم) في القاهرة فتخرج بأساتذته أناس تشبعوا بالبيان العربي الصحيح وقلبوا بالتدريج الطريقة المألوفة عند المعاصرين ، وبذلك تغيرت لغة الخطب والصحف والكتب والمحاكم والمعابد . ومن عارض بين كتابة أواخر المئة الثالثة عشرة وكتابة النصف الثاني من القرن الرابع عشر يمثل لناظره الفرق العظيم بين لغة تموت ولغة تحيا ، وبين بيان مضبوط بالمحسنات اللفظية وبيان حي سالم من كل تزيد وفضول .

فصحت دعوانا والأمر على ما ذكر أن التأليف التي صدرت في الربع الثاني من القرن الرابع عشر أرقى من التأليف التي وضعت منذ القرن التاسع الى أواخر الثالث عشر في مصر وبلاد العرب ولا عبرة بالشواذ . والسر الأعظم في

هذه الاجادة يعود لاصلاح اداة التأليف كما قلنا ، ولسلامة اداة التفكير من التلوي والتعقيد ، وكانت من أثر ذلك ان طلق المؤلفون الموضوعات التافهة التي لا كتبها الا لسن كثيراً ، وتشبثوا بايجاز المفيد منها ، وأنوا الأمة بأشياء جديدة ما عرفوها ، واصبح المؤلف لا يلخص الا بعد بحث ، ولا بدون إلا بتجسس ، ويبرز على كل حال في ابراز الأفكار القديمة والحديثة في قالب مقبول من الرشاقة والجزالة . ولا نغالي اذا قلنا ان التأليف في هذه الحقبة انقلب رأساً على عقب بلغته وأفكاره وان التأليف التي كتبت بركاكة أواخر القرن الماضي واوله تكاد لا تجد من يعطف عليها واكثرها حربة بأن تكون صوراً ولفائف كالجرائد القديمة .

عارضوا كل ما كتبه الشيخ محمد عبده في رسالة التوحيد وتلميذه الشيخ احمد ابراهيم في كتبه الفقهية وما كتبه في هذين الموضوعين من تقدموهما في عصور الانحطاط تجدوا الفرق عظيماً بين من استجمعوا ادوات التأليف كلها وبين من لم يستجمعوها . والناقد البصير يدرك لأول نظرة ان ما كتبه محمد بنجيت من شيوخ الأزهر على كثرة محكوم عليه بالعفاء لأنه خلا من روح العصر ومن بلاغة العصر ، وعرا من جمال الأسلوب وجودة التأليف إلا قليلاً . أما ما كتبه محمد عبده على قلته وهو من شيوخ الأزهر أيضاً فانه خالد لأنه كتب ورائده البلاغة وسلامة افكره ، وكذلك "تل" في كتاب الاسلام وأصول الحكم اعني عبد الرزاق فان هذه الرسالة تبقى لأنها كتبت في موضوع مهم بلغة العصر الحديث وعلى أسلوب تفكير أهله . وليست منفعة التأليف بكثرة صفحاتها وتعدد مجلداتها ، فقطعة الذهب تساوي مئة ضعف من وزنها حديداً . ورب رسالة محكمة خلد بها اعم صاحبها وكم من مجلدات سقيمة هبت مع الزمن منبئة . والمكثار لا يأمن العثار على كل حال .

تب ان ما كتبه قاسم امين في (تحرير المرأة) و(المرأة الجديدة) وعبد الرحمن اليكواكي في (طبائع الاستبداد) و(أم القرى) وحافظ عفيفي في (على هامش

السياسة) و (الانكليز في بلادهم) و ابراهيم الموبلحي (فيما هنالك) و محمد الموبلحي (في حديث عيسى بن هشام) و محمد علي علوبة في (السياسة المصرية) قد بعثوا ويفيد أكثر من مجلدات ضخمة كتبها محمد بنيت و طنطاوي جوهري و يوسف النبهاني و اخرائهم فمن لم يهضم موضوعه لا يرتجى من الناس ان يهضموه ، ومن لم يتعب في اعداد عدته قلما يقبل قومه على اقتنائها .

اما بعد فان اللغة العربية لغة ايجاز ، ولا سلطان على عقول أبنائها أعظم من العبارات الموجزة وهذا العصر الذي نعيش فيه هو أيضاً عصر ايجاز واختزال يملأ أهله التطويل بلا طائل ، ويكرهون التزبد في غير محله . ولو كتب كاتب من أهل العصر الماضي ما كتبه طه حسين في تاريخ (الأدب الجاهلي) و (على هامش السيرة) وفي (الايام) لكتب ألوفاً من الصفحات وما أغنى غناء طه ولا أبدع أبداعه . ولو ألف مؤلف قبل مئة سنة ما كتبه احمد امين في (فجر الاسلام) و (ضحى الاسلام) و (ظهر الاسلام) ما كتبت له هذه الاجادة . ولو تم المنهاج الذي وضعه مع زميله طه حسين وعبد الحميد العبادي على ان يكتب طه الحياة الأدبية في الاسلام كما كتب احمد امين الحياة العقلية و يكتب العبادي الحياة السياسية لكان فجر الاسلام وضحى الاسلام وظهر الاسلام و ثم عصر الاسلام اعظم معلمة عربية في هذا الموضوع لأن هؤلاء الثلاثة المؤلفين رزقوا حظاً عظيماً من البلاغة وعرفوا اساليب الغرب والشرق في التأليف وطرق الافادة .

و كتبت الاجادة في التأليف للعقاد والمازني وعنان على كثرة ما انتجوا ونشروا . ويعود قسم وافر من الفضل في اجادتهم الى تشبعهم باللغات الغربية والأدب العربي . واكبر الظن ان لكثرة التمرين دخلاً كبيراً في هذا الاحسان . وقل ان كتبت الاجادة لمثل العقاد على كثرة ما خاض عبابه من الموضوعات السياسية والاجتماعية والفلسفية والأدبية والقصصية ، وقرينه في كثرة الانتاج محمد لطفي

جمعة الا ان الرشاقة قد تخطئه لأنه نشأ مترجماً عن الانكليزية فأضعف النقل من ملكته . أما العقاد والملازني فقد نشأ نشأة أدبية وكان لهم في الشعر أيضاً فضلاً عن النثر يد طولى . ويكثر المؤلفون المحسنون في بيانهم بين طلاب دار العلوم والمعلمين العليا ومدرسة القضاء الشرعي (الملقاة) أكثر من أمثالهم في الأزهر والجامعة المصرية والجامعة الأميركية .

كان لكثير من المؤلفين يد بأسطة في التعريب أكثر مما كان لهم في التأليف ، وفي مقدمتهم أحمد فتحي زغلول وأحمد لطفي السيد ، يعقوب صروف وإبراهيم مصور ونجيب شاهين ومحمد السباعي وفريد أبو حديد وأحمد حسن الزيات ، وهذا أجاد في تعريب (رافائيل) للامرتين (وآلام فرتر) لجوته ، والزيات يبالغ في تجميل ما يكتب فيجمع بين أدب العصر وأسلوب البديع والخواارزمي والصابي وهو سواء ومصطفى صادق الرافعي ومصطفى لطفي المنفلوطي وعبد العزيز البشري بتشابهون في طريقهم ويمتاز الأخير بأسلوبه الخاص به أسلوب الهزل في الجدل . وكتابه (في المرأة) الذي ترجم فيه لمعاصريه من المصريين على نهجه الخاص به في السخرية لو خلا من مصالحة بعض من كانوا يوم كتبه من الصدور لكأن من أجل الكتب في بابيه . وأحسن أيضاً في كتابه (المختار) وهي مقالاته التي نشرها في مناسبات مختلفة ومن أهم ما ساعد على اجادته أكثر الأوقات احاطته بحياة كبار المصريين وصغارهم فهو قاهري يعرف ما في القاهرة من سر وجهر ويحسن عرض أدب المجالس ويورد النكتة ما غاب لها صياغة أدبية يدخل بها المرح على القلوب . والمجودون في هذا الباب قلائل وما ذاك لأن الجدل غالب على المؤلفين بل لأن الهزل صعب المراس على التدوين . وكان عبد الله نديم ورؤفائيل بن صفوخ (ابونضارة) وإبراهيم الموبلحي من أدل من خطا في هذا العصر خطة الهزل في الجدل فتذوق معاصروهم هذا النمط من الكلام ، وكان البشري أحد أساطين هذا الهزل المحبوب لعهدنا وكان مع صديقه محمد البايي وحافظ إبراهيم من أعظم رجال هذا الشأن .

ومن تلاميذ دار العلوم الذين برزوا في التأليف حفي ناصف واحمد الاسكندري
ومحمد الخصري وعبد العزيز جاويش وعبد الوهاب النجار وضرباؤهم واكثرهم من
المقلين لأن تماطي اكثرهم التدريس طول حياته العملية قطعه عن التأليف بعض
الشيء ولكنهم أجادوا فيما نشره للناس فيمكن ان يقال ان علمهم أكثر من
عملهم وانهم عاشوا للتوظيف لا لأنفسهم . وعلى هذا النحو يمكن القول فيمن
لو تفرغوا للتأليف لبرزوا كل التبريز امثال مصطفى المراغي احمد حسنين علي ماهر
بهي الدين يركات علي زكي العرابي محمد حلمي عيسى محمد علي علوبة محمود ابو العيون
مصطفى عبد الرزاق منصور فهمي مظهر سعيد عبد الرزاق السنهوري سني اللقاني
محمد احمد الغمراوي احمد فهمي العدرسي عبد الله عفيفي انطون زكري ابراهيم
مصطفى توفيق اسكاريوس عمر لطفي رزق الله منقربوس .

فان هؤلاء وامثالهم من الأحياء ابثوا بالقليل الذي نشره عن كفاية تامة
اما من الأموات فاحمد شفيق وتوفيق البكري عبد الحميد البكري عبد القادر
حمزة علي يوسف علي بهجت اسماعيل رأفت ، محمد توفيق صدقي ، ابراهيم رفعت ،
علي ابو الفتوح ، اسماعيل حسنين ولي الدين بكن ، حسن منصور ، حسن توفيق ،
امين سرور ، محمد فريد ، مصطفى الدماطي ، محمود مصطفى .

ومن المؤلفين المجهودين احمد كمال الأثري ، محمود سامي البارودي ، حافظ
ابراهيم ، احمد شوقي ، اسماعيل صبري وهؤلاء الأربعة انبع شعراء مصر في هذا
العصر واحمد تيمور (باشا) ، واحمد زكي (باشا) واحمد زكي (الدكتور)
علي مصطفى ، مشرفة محمد ، مسعود حافظ عوض ، عبد الرحمن الرافعي ، عبد الوهاب
عزام ، محمد عوض محمد ، محمد حسين هيكل ، محمد ثابت ، اسماعيل مظهر ، مصطفى
كامل ، محمد دياب ، سلطان محمد ، عبد الرحمن الجزيري ، احمد عبدالسلام الكرداني
حسن السندوبي ، محمود عرنوس ، زكي نجيب محمود ، محمود الخفيف ، محمد خالد حسنين
عبد العزيز الخولي ، سعيد العريان ، محمد عبد الغني ، حسن محمد بدران ، امين

مرمي قنديل ، محمد محي الدين عبد الحميد فكري اباظة ، احمد الزين احمد فريد
الرفاعي محمد فهم عبد الرحمن البرقوقي .

ومن ألفوا في العلم والطب والاجتماع والتاريخ والآثار والفقه احمد عيسى
احمد الشايب زكي مبارك احمد ضيف شوقي ضيف احمد الحبيبي عبد الرزاق
السنهوري امين واصف مصطفى زيادة امير بقطر توفيق حبيب اسعد داغر زكي
حسن فرنسيس ميخائيل يعقوب فام عزيز خاني حسن ابراهيم حسن سلامة مومي
يوسف كرم ابراهيم مدكور عبد الهادي ابوريدة مصطفى عناني احمد محمد شاكر
ومحمود محمد شاكر احمد زكي ابوشادي محمد امين حسونة وفريد وجدي وهذا
أجاد في الرد على الماديين اجادة حسنة واجادته قليلة في الكتب الكبيرة
الحجم التي كتبها وقد بدت عليها العجلة ولم يثابر الدرس والبحث فيها كثيراً
فالاكثر اضر بعمل هذا المؤلف النشيط العالم . وارجو ألا يكون كذلك حال
المؤلف امين سامي فاني لم يسمدني الحظ بقراءة ما كتب ، ورجال الرأي مجمعون
على انه من أعظم المؤلفين .

وطرس الأدب العربي الحديث على اثر الأدب الغربي فكان من مستلزمات
ذلك ان يستخدم القصة للتعليم والتلمية والبحث على أساليب الفرنج في هذا الضرب
من الأدب ، فمن المجودين في الروايات التلمية شوقي والعقاد ومن المجودين في
القصة المنشورة توفيق الحكيم ومحمود تيمور فالأول تلمح فيما كتب صورة من
صور الغرب أكثر مما تحمل كتابته روح الشرق ، وفي قصص الثاني تمثل لك
الروح المصرية الشرقية وهناك غيرهم من كتاب القصص وأكثرهم ثقلة ومعبون
لم أعرفهم . اما لأنني ضعيف الولوع بالقصة او لأن ضعف الكتابة فيما وضعوا
وترجموا حال دون اعطاء الحكم فيهم .

ويكثر فيهم المؤلفون الذين وضعوا كتباً مدرسية للمدارس الابتدائية
والثانوية وبعضهم اشتركوا مع زملائهم في وضعها وقد تجد كتاباً ليست له مكانة

كبرى تعاور تأليفه بضعة مؤلفين واطن الداعي الى ذلك الكسب لأن هذا النوع من الكسب يربح أرباحاً طائلة خصوصاً اذا كان له في وزارة المعارف من يساعد على انتشاره .

وهناك عشرات من المؤلفين الذين كانوا من أهل صوري فتزلوا مصر وظهر فيها فضلهم ومنهم من تمصر وتولى بالجنسية المصرية ومنهم من تعاطوا الطب والحمامة والصحافة والوظائف فما انتجوا كثيراً لأن طبيعة أعمالهم اليومية حالت دون ما قد يشتهون تدوينه لنفع الناس . فمن هذه الفئات يعقوب صروف فارس عمر شبلي شميل خليل مطران عزيز خانكي نجيب حداد أمين حداد محمد رشيد رضا رفيق العظم داود بركات خليل ثابت انطون الجميل نعم شقير سعيد شقير جرجي زيدان محب الدين الخطيب فؤاد صروف وغيرهم .

بقي ان اقول ان هناك عشرات من المؤلفين لم تواتني الأيام ان اتشرف بمعرفتهم او استفيد من علمهم في كتبهم وذلك لأن كتبهم لم تشتهر الشهرة التي تستحقها او انهم خاضوا من العلم فروغاً لم اعرفها . وأنا لم أنكلم إلا على المؤلفين الذين عرفتهم وطالعت كتبهم مستحسنًا او ناقداً . ولم اقصد بهذه العجالة الحصر فالحصر يحتاج الى نفس أطول . وما زلت شهيد الله منذ عرفت بمصر اتعرف الى كثير من المغمورين وأعتقد ان بعضهم لو نظموا اوقاتهم بنظام بعيد عن الفوضى الاضطرابية احياناً لاشتهروا في الأقطار بما يوازي مكانتهم الأدبية والعلمية . واني أمثل لذلك بأربعة فقط عملت معهم في مجمع اللغة العربية بمصر وهم حسين والي واحمد العوامري وعلي الجارم ومحمد احمد جاد المولى فقد اعجبت بما انطوا عليه من علم عزيز في آداب العربية ومعرفة دساتيرها وأمرارها بيد ان مانشروه للناس اقل مما كان يرجى منهم . وما علت ذلك الا بأنهم صرفوا جزءاً عظيماً من أعمارهم في التدريس أو الاستخدام فضاقت أوقاتهم عن الاتساع لغيره من الأعمال الكبرى . نعم تخرج بهم كثيرون ولكن لم يتجاوز أنوار معارفهم البيئة التي اضطربوا فيها . ومن المتعذر ان يتجاوز الفرد كل المزايا فالحاضر غير الخطيب

والكاتب غير الشاعر والمؤلف غير المدرس والصحافي غير السياسي ولا عبرة بالشواذ .
واكبر الظن ان علة ذلك كله تفضيل الناشئين العيش الحنيء المضمون في
أبواب الحكومات وإبثارهم له على الصناعات الحرة التي يسرح صاحبها ويمرح على
هواه ويتحمل وحده تبعه أعماله . ولو ضعفت شهوة الاستخدام في بعض النفوس
المصرية ربما زاد عدد الباحثين المجودين وتضاعفت جمهرة من ينتفع الناس منهم
نفعاً عاماً وربما كان تغير بذلك وجه المدينة العربية . والأهم التي تعلق كل مجد
لها على حكوماتها فقط يكون حظها من الحضارة محدوداً بخلاف الأمم التي
يعول بنوها على الاستقلال في الأعمال وتتقزز نفوسهم من الاتكال . وليس
من الغرابة في شيء ان يكون معظم مؤلفي مصر في هذا العصر من الذين اتصلوا
بالحكومة مباشرة وقل ان رأينا ذا نعمة وسعة من العيش حاول نفع الناس
بقلمه وبيانه اللهم الا ثلاثة عظماء من أمراء البيت العلوي الكريم وهم الأمراء
عمر طوسون ويوسف كمال ومحمد علي توفيق فكتب الأول في تاريخ مصر الحديثة
كتباً مفيدة جداً ووضع الثاني سفرأً عالياً سماه المجموعة الكمالية ضمنه جميع
ما كتب في جغرافية إفريقية باللغات القديمة والحديثة انفق عليه نحو خمسين ألف
جنيه مصري وصدر منه الى الآن ثلاثة عشر مجلداً طول الواحد نحو متر .
وكتب الأمير الثالث رحلاته الى انحاء العالم الشرقي والغربي فجود بها وأفاد .
هذا وقد يتساءل بعضهم فيقول اليس في كل هذا الرعيل من الرجال سيدات
جارين الرجال في التأليف في مصر على عهدنا الأخير فالجواب نعم ان منهن اليوم
من هن موضع العجب فمن عهد عائشة عصمة التيمورية الى زينب فواز وملك
ناصر (باحثة البادية) الى ماري زيادة (ميتة) الى نور الحكيم الى نائلة الحكيم الى
زينب الحكيم الى انصاف فيمي الى احسان احمد القوصي الى سهير القلماوي الى
امينة سعيد الى غيرهن من المؤلفات ترى طبقة ضاهت الرجال باخراجها ثمرات
عقولها للناس وسيخرج من النساء عدد أكبر في الجيل المقبل .

الغزالي وزعماء الفلاسفة

١ - تمهيد عام

لتطور الأفكار في تاريخ البشرية قانون عجيب يمكننا ان نسميه قانون التصادم او قانون التناوب في التهلكة . وهو يدل على أن كل مذهب من المذاهب سياسياً كان او فلسفياً ، يمهّد السبيل لظهور ضده .

والسبب في ذلك أن في الطبيعة البشرية نزعات متضادة كالميل الى التفاؤل والتشاؤم ، والميل الى الرخاء والتعسف ، والميل الى الحياة الروحية والمادية .

فاذا سلكنا طريق نزعة من هذه النزعات بالغنا في ارضائها أدى تهالكنا في ذلك الى إحياء ضدها . ان مبالغة بعض الناس في التفاؤل تدفع بعضهم الآخر الى التشاؤم ، كما ان التهلكة في محبة الجديد بوقظ في قلوب الناس محبة القديم .

وما ينطبق على تباور الميول والنزعات يصدق أيضاً على تطور الأفكار .

فاذا انكشف للمفكر مذهب جديد بحث أولاً عن أصوله ، ثم رتبها وهدبها ، ثم بالغ في استخراج النتائج اللازمة عنها . واذا لم يبالغ هو نفسه في النتائج قام اصحابه من بعده وبالفوا فيها . حتى يجيء مفكر جديد يصعب عليه التسليم بنتائج ذلك المذهب فيعود الى الأصول وينقدها ، ثم يصوغها في قالب موافق لنزعة الجديدة . ان المبالغة في النتائج اللازمة عن مذهب (ديكارت) و (لبنيز) أدت الى المذهب الخيالي وفسحت المجال لظهور المذهب التجريبي . كما ان المبالغة في المذهب التجريبي أدت الى الرابية ومهدت السبيل لظهور المذهب الخيالي . وهكذا تدور رحى الآراء والمذاهب حول قطبين متضادين ، وينتقل ميزان الفكر من طرف الى آخر حاملاً الى كل طرف ما ربحه من حركته الاولى . فكان تاريخ الأفكار مسرح يمثل عليه كل مفكر دوره ، وكانت العقل البشري لا يحب الا المآسي .

مثال ذلك ان مذهب سقراط في الأخلاق كان مشتملاً على نزعيتين متضادتين أدت المبالغة في كل منهما الى ظهور مذهبين مختلفين هما السيرينائية والكليية . فأصحاب المذهب الأول كانوا يقررون أن السعادة في اقتناص اللذات . واصحاب المذهب الثاني كانوا يعتقدون ان الفضيلة في التقشف واحتقار التقاليد الاجتماعية والتحرر منها . ثم تولد من هذين المذهبين مذهبان آخران هما الايقورية والرواقية ، كان القائلون بكل منهما يتهاكون في الدفاع عن آرائهم والرد على مخالفينهم ، السابقون يضعون أساس البناء ، واللاحقون يهدمون ، وفي تهديمهم هذا أصلح لأصول المذهب ، واستئناف لانشائه .

ومن الأمثلة الدالة على ذلك أيضاً رد (ارسطو) على كل من قبله من الفلاسفة حتى على استاذة افلاطون . ورد مفكري الاسلام منذ تسالم بالفرس واليونان على الثنوية والدهرية . فقد كان ابو الهذيل العلاف وابراهيم النظام يستعلمان بالفلسفة للرد على اعداء الدين . وكان الفلاسفة انفسهم يقتبسون من العقائد الدينية بعض مبادئهم ومقدماتهم ، حتى اصبحت المذاهب الفلسفية في ذلك العهد اشبه شيء بالمذاهب السياسية ، لا بل بالأدوار المسرحية . لكل مذهب زعماء ورؤساؤه ، كلما ظهر مذهب جديد انبرى فريق من المخالفين للرد عليه . والسبب في ذلك أيضاً ان كلام المترجمين الذين نقلوا كلام أرسطو الى اللغة العربية لم يخل من التحريف والتبديل ، حتى أثار ذلك نزاعاً شديداً بين الشارحين . وكان أقدم الفلاسفة بالشرح والتحقيق ابو نصر الفارابي وابن سينا حتى سمي الأول بالمعلم الثاني ، وسمي الثاني بالشيخ الرئيس فانتشربها مذهب الفلاسفة وتهالك الناس في اتباعه . فلا غرو اذا اطلق الغزالي عليها وعلى اصحابها اسم زعماء الفلاسفة وانبرى للرد عليها في كتاب التهافت ، وزعم انه كشف عن فتور ما اتخذوا به من التضليل والتخييل ، وانه برده عليها انما رد في الوقت نفسه على كلام أرسطو . وكما رد الغزالي على الفارابي وابن سينا فكذلك رد ابن رشد على الغزالي في كتاب تهافت التهافت .

ان تهافت الناس على الفلاسفة ادى الى حملة الغزالي عليهم كما أن إعجاب الناس بكتب الغزالي دعا ابن رشد الى تقدها . وهكذا لم تزل أبدأ حال الفلاسفة بعضهم مع بعض ، اذا عظم أمر أحدهم ، وأخذ الناس في اتباعه ، تصدى له فريق من المخالفين وحملوا الناس على استنكار مذهبه .

٢ - أسباب حملة الغزالي على الفلاسفة وغايتها

ونريد الآن ان نبحث في الحملة التي شنّها الغزالي على الفلاسفة ونبين أسبابها وغايتها وأثرها في تاريخ الفلسفة العربية .

أما أسباب حملة الغزالي على الفلاسفة فترجع الى ما شاهدته في زمانه من اضطراب الفرق وتعدد المذاهب والطرق ، وانحلال العقائد الدينية . فقد قامى الغزالي من جراء ذلك آلاماً نفسية عظيمة ، وحاذر ان يقضي هذا الاضطراب على العقائد الاسلامية ، فتدب نفسه الذب عن حياض الدين ، واراد ان يكون اماماً مرشداً ومصلحاً دينياً ينقذ اخوانه مما غرقوا فيه من الضلالة . فحاض في ذلك كما يقول ^(١) «خوض الجسور» لاخوض الجبان الحذور» . متفحصاً عن عقيدة كل فرقة ومستكشفاً أسرار كل طائفة ، لا يغادر باطنياً الا ويجب ان يطامح على بطانته ، ولا ظاهرياً الا ويريد ان يعلم حاصل ظهارته ، ولا فلسفياً الا ويقصد الوقوف على كنه فلسفته ، ولا متكلماً الا ويبتهد في الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته ^(٢) . فألف في الرد على مذهب التعليم كتاب المستظهرى وكتاب حجة الحق وكتاب مفصل الخلاف ، وكتاب القسطاس وغيرها وألف في الرد على علماء الكلام كتاب الجوامع العوام عن علم الكلام ، وألف في الرد على الفلاسفة كتاب الترهات .

ولكن الفلاسفة كانوا في نظر الغزالي أشد خطراً على الدين من غيرهم لما غلب على اناس من حب كتبهم وحسن الظن في علومهم . فهم قد أرادوا أن

(١) الغزالي ، المنقذ من الضلال ، ص - ٦٦ طبعة مكتب البشر العربي بدمشق .

(٢) عن المنقذ باختصار ص - ٦٦

يزنوا كل شيء بميزان العقل وان يوفقوا بين الحكمة والشريعة ، فكان الدين في يدهم آلة خادمة للفلسفة حتى تفاقم أمرهم وبالعوا فيما ارادوه ، واصبحوا خطراً على الدين والاخلاق .

أما خطرهم على الدين فيرجع الى انهم اعتقدوا في انفسهم كما يقول الغزالي التميز على أترائهم ونظرائهم فرفضوا وظائف الاسلام والعبادات ، واحتقروا شعائر الدين واستهانوا بالشرع وحدوده ، وكان مصدر كفرهم بزعمهم انهم سمعوا باسماء هائلة كسقراط وبقرات وافلاطون وارسطو وأمثالهم واطلعوا على مبالغة متبعيهم في وصف عقولهم وحسن اصولهم ودقة علومهم الهندسية والمنطقية وحكايتهم عنهم انهم مع رزاة عقولهم وغزارة فضلهم منكرون للشرائع والنحل ، جاحدون لتفاصيل الأديان والملل ، معتقدون أنها نواميس مؤلفة وحيل مزخرفة فتجملوا بالكفر واطهروا التكليس في تقليد الباطل . قال الغزالي :

« ولما رأيت هذا العرق من الحماية نابضاً على هؤلاء الأغبياء ، انتدبت لتحرير كتاب التهافت رداً على الفلاسفة القدماء ، مبيناً تهافت عقيدتهم ، وتناقض كتابهم فيما يتعلق بالالهيات ، وكاشفاً عن غوامض مذهبهم التي هي على التحقيق مضحك العقلاء^(١) » .

ولاشك ان المعجب بأقوال الفلاسفة في المنطق والرياضيات يظن كما يقول الغزالي ان جميع علومهم في الوضوح ووثاقة البرهان هي كهذين العلمين ، ثم يسمع بعد ذلك اشياء كثيرة عن كفرهم وتعطيلهم وتهافتهم باشرع فيقلدهم ويقول : لو كان الدين حقاً لما اختفى على هؤلاء مع تدقيقهم في هذا العلم . دع ان الجهال من اصدقاء الاسلام يكذبون كل ما جاء به الفلاسفة ويقولون انه مخالف للشرع مع ان الذي يقرأ العلوم الثابتة بالبرهان لا يشك في تلك العلوم ، بل يشك في مكذبيها وبسوء ظنه فيهم .

(١) التهافت ، ص ٣ ، طبعة مصر .

وأما خطر الفلاسفة على الأخلاق فيرجع إلى أنهم أهملوا أحكام الشريعة ، فشربوا الخمر وأعرضوا عن الصلاة وقالوا مع ذلك أنهم أدركوا حقيقة النبوة وعلموا أن حاصلها يرجع إلى الحكمة والمصلحة ، وأن المقصود من تعبداتها ضبط عوام الخلق وتقييدهم عن الاسترسال في الشهوات . فإذا ترفع الإنسان عن طبقة العوام سقط عنه التكليف ، وكشف عنه الغطاء ، وأصبح بصيراً بحكمته . وإنك لتجد بعضهم كما يقول الغزالي^(١) يقرأون القرآن ويحضرون الجماعات والصلوات ويعظمون الشريعة بلسانهم . وهم مع ذلك لا يتركون فسقهم وفجورهم ، « حتى أن ابن سينا ذكر في وصية له أنه عاهد الله على كذا وكذا ، وأن يعظم الأوضاع الشرعية ولا يقصر في العبادات الدينية ، ولا يشرب تلهياً ، بل تداوياً وتشافياً ، فكان متعياً حاله في صفاء الإيمان والتزام العبادات أن استثنى شرب الخمر لغرض التشفي^(٢) » . وفي هذا السلوك كما يرى الغزالي خطر على اخلاق الناس .

ولم تكن غاية الغزالي من نقد آراء الفلاسفة سلبية ، بل كانت غاية إيجابية . فهو لم يهدم البناء الذي أقامه الفلاسفة على أساس العقل الاليني^(٣) صرحاً جديداً على أساس الكشف الباطني والوحي القلبي . فشك في علم الكلام ، وشك في مذهب التعليم ، وشك في الفلسفة ، وشك في العقل ، وانحلت عنه رابطة التقليد وطلب العلم اليقيني ، « وهو العلم الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافاً ، لا يبقى منه ريب ولا يقارنه إمكان الغلط والوهم^(٤) » ، فوجد علومه غير متصفة بهذه الصفة . وطمع في اقتباس اليقين من الحسيات . فلما تأملها لم تسمح له نفسه بتسليم الأمان فيها ، لأن حاكم العقل كثيراً ما يكذب حاكم الحس ويخونه ويضلله . فلما بطلت ثقته بالحسيات تأمل الضروريات العقلية ، وكاد يشق بها لولا اعتراض الحسيات وقولها لعل وراء ادراك العقل حاكماً آخر ، اذا تجلى كذب العقل في حكمه كما تجلى حاكم

العقل فكذب الحس في حكمه . ويمكن ان تطرأ على الانسان حالة تكون نسبتها الى العقل كنسبة اليقظة الى النوم . فالعقل يكذب الحس والحس يكذب العقل كأن هناك مأساة جدلية محزنة ، تظهر فيها العقليات على الحسيات ثم تعود الحسيات فتتغلب بجدها على العقليات . ولو استسلم الغزالي لهذا الجدل لبقى على مذهب السفسطة ، ولكانت غايته سلبية محضة . الا انه استطاع ان يخرج من الشك عن طريق الكشف الباطني والحدس الديني فعادت نفسه الى الصحة والاعتدال ورجعت الضروريات العقلية موثوقاً بها على أمن وبقين ، لا يبداهة العقل كما فعل (ديكارت) ولكن بنور قذفه الله في الصدر ، وذلك النور في نظره مفتاح اكثر العلوم .

وها هنا مسألة لا بد من الاشارة اليها وهي ان الغزالي لم يحمل على الفلاسفة لعجزهم في الالهيات عن الوفاء بالبراهين التي اشترطوها في المنطق ، بل هدم آراءهم ليظهر عجز العقل عن الخوض في مسائل ما بعد الطبيعة . نعم انه يقول في بيان اسباب حملته على الفلاسفة انهم ما قدروا في الالهيات على الوفاء بالبراهين التي اشترطوها في المنطق^(١) ، « وانهم يحكمون بظن وتخمين من غير تحقيق وبقين ، ويستدلون على صدق علومهم الالهية بظهور علومهم الحسابية والمنطقية ويستدرجون ضعفاء العقول . ولو كانت علومهم الالهية متقنة البراهين نقية عن التخمين كعلومهم الحسابية لما اختلفوا فيها »^(٢) . « وان ما شرطوه في صحة مادة القياس في قسم البرهان من المنطق وما شرطوه في صورته في كتاب القياس ، وما وضعوه من الأوضاع في « ايساغوجي » « وقاطيغورياس » لم يتمكنوا من الوفاء بشيء منه في علومهم الالهية »^(٣) وهذه الأقوال تدل بحسب الظاهر على ان الغزالي يؤمن بأحكام العقل ويعتمد على البراهين المنطقية وانه لم ينتقد الفلاسفة الا لعدم وفائهم بشرط البرهان المنطقي في مسائل ما بعد الطبيعة ، فأحكام العقل صادقة ، الا

(١) المنفذ من الضلال ، ص (٢) نهافت الفلاسفة ، ص - د (٣) نهافت ، ص ب ١٦

ان الفلاسفة اساءوا استعمالها ، وخالفوا شروطها . ولو وفوا بهذه الشروط لسلموا من انتقاده اللاذع . ولكن من قرأ كتاب التهاوت وتصفح المسائل التي أوردتها الغزالي في الرد على الفلاسفة لم يشك أبداً في موقف الغزالي من العقل في علم ما بعد الطبيعة . فهو لم يحمل على الفلاسفة لتقصيرهم في الوفاء بشروط البرهان فحسب بل هاجمهم ، كما فعل ابن خلدون بعده ، لتهديم صرحهم الفلسفي من أساسه ، معتقداً أن أحكام العقل صادقة في الرياضيات والمنطقيات والطبيعات اما في علم ما بعد الطبيعة فان العقل انحصر عاجز عن الوصول الى اليقين ، وسيتضح لنا هذا الأمر عند استعراض بعض المسائل التي كشف الغزالي عن تناقضها الداخلي وهي كلها تدل على ان النزالي لا يقتصر على تعجيز الفلاسفة عن اقامة الدليل وتخطيئهم في البرهان فحسب ، بل تشير الى ان مسألة الصفات الالهية ومسألة ازلية العالم وابديته ، ومسألة استحالة الفناء على النفوس البشرية وغير ذلك من المسائل ، لا توزن بميزان العقل البشري ، بل يحتاج العقل في ادراكها الى عامل آخر هو الكشف الباطني والايان القلبي والوحي الديني .

٣ - طريقة الغزالي في الرد على الفلاسفة

اما طريقة الغزالي في الرد على الفلاسفة فتشبه رد رؤساء المذاهب او زعماء الأحزاب على آراء مخالفيهم . فهو ينقد أدلة الفلاسفة كما ينقد الصيرفي الماهر الدراهم الزائفة . ويخرج منها الزيف وغير الصحيح من الفاسد ، حتى لقد أظهر في ذلك حدقاً لا مثيل له في تاريخ الفكر العربي . لم ينتقد الغزالي مذهب الفلاسفة انتقاداً عاماً مبهماً كما يفعل النقاد في أيامنا هذه ، بل انتقده انتقاداً عميقاً منظماً . فحدد المسائل التي خالف فيها الفلاسفة عقائد الاسلام ، ففندها واحدة واحدة ، وانتقد ما فيها من جهات الضعف . ومن اجل الرد على الفلاسفة قرأ الغزالي مذهبهم وألف فيه كتاباً وجيزاً سماه كتاب المقاصد ، نظر فيه نظر الباحث الذي يقرر للمسائل ويحكمها على وجهها ، غير متعرض لما فيها من حق أو باطل . والسبب

في ذلك انه لم يرض لنفسه ان يظن به الغفلة عن أصل حجة الفلاسفة ، فلذلك قررها الى أقصى حدود الامكان ، ثم عاد الى ذلك في كتاب التهافت ، فأفرد لكل مسألة من المسائل بحثاً خاصاً . ومن قرأ كتب ابن سينا وقرأ بعدها كتاب التهافت اعجب بقدرة الغزالي على عرض المسائل وايضاحها . وربما كانت قراءة كتاب التهافت ضرورة لكل من اراد ان يفهم مذهب ابن سينا . فهو قد قرر حجة الفلاسفة بلغتهم واصطلاحهم وهجر في رده عليهم الفاظ المتكلمين والاصوليين ، بل اوردها كما يقول بعبارتهم في المنطق ، ودخل عليهم في ذلك كله دخول مطالب منكر لا دخول مدع مثبت ، فقطعهم بالزامات مختلفة فالزمهم تارة مذهب المعتزلة واخرى مذهب الكرامية ، وطوراً مذهب الواقعية وجعل الفرق جميعها إلماً عليهم ، واراد ان يتفق الجميع ويتظاهروا عليهم ، فعند الشدائد تذهب الأحقاد .

وطريقة الغزالي هذه تذكرنا بطريقة القديس توما الاكوييني في رده علي الملحدة فهو يعرض المسألة ثم يقسمها الى وجوه مختلفة ، ويعين المطالب ثم يذكر أجوبتها ، ويحدد الشبه ثم يبين وجه الخروج منها ، ثم يورد الاعتراضات المتقابلة ويفندها . وربما كان كتاب التهافت اكمل ما وصل اليه فن الجدل المدرسي عند العرب ، فهو اكمل من كتاب الانتصار لآبي الحسين الخطاط واكمل من كتاب تهافت التهافت لابن رشد من حيث اسلوبه وفنه . والفارابي وابن سينا لم يبرزوا في هذا الفن ، كما ان ابا الحسن الأشعري لم يوفق في مقالات الاسلاميين لشيء من هذا ، لأنه اقتصر على عرض عام للآراء والمذاهب من غير ان يفصل المطالب ويجادل فيها . ومن قارن بين أسلوب الغزالي واسلوب ابن سينا اعجب بقدرة الأول على التحليل والافهام . فأسلوب ابن سينا هو أسلوب الفيلسوف الموزون كل لفظ من الفاظه مطابق لفكرة معينة ، ليس فيه زيادة او نقصان . اما أسلوب الغزالي فهو أسلوب الخطيب ، او أسلوب الواعظ والمعلم تتدفق الفاظه كالسيل وتجيء منعمة بالفكر والعاطفة . وقد تجد للمعنى الواحد عنده عدة الفاظ ،

وتجد للفظ الواحد عدة معان تختلف باختلاف الكلام وسياق العبارة ، وقد تبدل معانيه بحسب ما يخاطب به كل سائل ومسترشد . وليس في الفلسفة العربية كتاب بلغ من دقة الألفاظ ورشاقة الأسلوب ما بلغه الغزالي في المتقذ من الضلال والاحياء من حسن الاشارة ولطف العبارة ، اللهم الا كتاب حي بن يقظان لابن طفيل . وكثيراً ما كان الغزالي يعدل عن الفاظ الفلاسفة الى الفاظ مألوفة عند الفقهاء معتادة الاستعمال عند علماء زمانه ، كما فعل في كتاب معيار العلم وكتاب محك النظر فأعاته ذلك على نشر أفكاره ، قال ابن طملوس : « غير اني عندما تصفحت كتب ابي حامد رأيت من تلويحاته واشاراته التي تكاد ان تكون تصريحاً ان له فيها (أي في صناعة المنطق) تأليف وري في تسميتها عن ان يسميها باسم المنطق . وهذه الكتب منها معيار العلم له وكتاب محك النظر وهو دون المعيار وكتاب القسطاس المستقيم ومقدمة المستصفي في الفقه ، ومنها مقدمة المقاصد - فهذه الكتب التي ألفها ابو حامد هي من صناعة المنطق ، لكن ابا حامد غير اسماء الكتب واسماء المعاني المستعملة فيها ونكب عن الفاظ أهل الصناعة الى الفاظ مألوفة عند الفقهاء معتادة الاستعمال عند علماء زمانه . وما فعل هذا كله الا حذراً وتوقياً من ان يجري عليه ما جرى على غيره من العلماء الذين اتوا بالغريب وغير المؤلف من الامتحان والامتحان . فصانه الله عن ذلك بلطفه وبما اعطاه من بديع الحيلة . فانه عاشر جميع الاصناف وولج معهم الولوج الذي شاركهم به المشاركة التامة حتى صار اماماً في كل صنف ورئيساً في كل مذهب » (١)

فالغزالي لم يستعمل لغة الفلاسفة واصطلاحهم الا في كتاب المقاصد وكتاب التهافت أما في كتبه الأخرى فقد غير اسماء المعاني ، وفضل الألفاظ المألوفة عند أهل زمانه على الألفاظ الفنية الغريبة . ولولا ذلك لما أقبل الناس على مطالعة كتبه ولما اعجبوا بما فيها من حسن الترتيب وجودة النظام والتبويب .

(١) ابو الحاج يوسف بن محمد بن طملوس ، كتاب المدخل لصناعة المنطق ، طبعة مجريط ١٩١٦ م ص ١٣

٤ - موضوع الخلاف بين الغزالي والفلاسفة

ولكن ما هو موضوع الخلاف بين الغزالي والفلاسفة ؟
لقد أشار الغزالي في كتاب التهافت الى ان الخلاف بين الفلاسفة وغيرهم
انما يرجع الى ثلاثة أقسام :

١ - قسم يرجع النزاع فيه الى الفاظ مجردة كتسميتهم صانع العالم جوهراً
مع تفسيرهم معنى الجوهر بأنه الموجود لا في موضوع اي القائم بنفسه الذي لا يحتاج
الى مقوم يقومه . ولا مجال لابطال هذا في نظره لأن المعنى اذا اتفق عليه في
الذهن يرجع الكلام في التعبير عنه الى اللغة والاصطلاح .

٢ - والقسم الثاني من هذه المسائل لا يصدم اصلاً من أصول الدين كالعلوم
الرياضية والمنطقية فليس شيء منها يتعلق بأمور الدين تقيماً واثباتاً . وهي أمور
برهانية لا سبيل الى مجادلتها . ومن ظن ان المناظرة في ابطال هذا من الدين
فقد جنى على الدين وعلى نفسه معاً .

٣ - والقسم الثالث يشتمل على المباحث الالهية التي تصدم اصلاً من أصول
الدين ذكر الغزالي منها في كتاب التهاافت عشرين مسألة غلط فيها الفلاسفة
فبدعهم في سبع عشرة مسألة وكفرهم في ثلاث هي القول بقدم العالم ، واقتصار
علم الله على الكليات دون الجزئيات ، وانكار حشر الأجساد .

لا يتسع المقام الآن لاستعراض جميع هذه المسائل ، ولو أردنا استقصاء مسألة
واحدة منها استقصاء تاماً لاحتجنا الى مقدمات طويلة من فلسفة ابن سينا والارابي .
فلنتصر اذن على الاشارة الى بعض القضايا التي تدل على ان الغزالي قد وفق
في تقده لوضع اصول جديدة لفلسفة عامة جديدة . وهذه القضايا التي نريد
ذكرها على سبيل المثال هي مسألة المعرفة ، ومسألة العالم والزمان والمكان ،
ومسألة السبية .

آل بكتكين - مظفر الدين كوكبري

أو

امارة اربل في عهدهم

(٥٢٢هـ - ٦٣٠هـ)

١ - كلمة

تكونت في العراق امارات عديدة نالت مكانة في التاريخ . وأغلبها لم تكسب ثقة الشعب ولا حصلت على الاعتماد المطلوب في الادارة أو في خدمة الحضارة والعلوم والآداب . والامارات الصغيرة لا بتغرض لذكرها أحياناً بأكثر من العلاقات المهمة الخاصة بالدول الكبرى ، مما أدى الى اغفال أعمالها الداخلية وأوضاعها الذاتية وبذلك صعب البحث لقلة وسائل الوصول الى حقيقة التاريخ لهذه الامارات وتفاصيل حياتها .

وان هذه الامارة من تلك الامارات الصغيرة تكونت في اربل سنة ٥٢٢هـ - ١١٢٨م وكانت أقطعتها دبل الأتابكة في الموصل أيام عماد الدين زنكي (٥٢١ - ٥٤١هـ) لأحد امرائها (زين الدين علي كوجك) . فصارت تابعة لها مدة . ثم تطورت بها الحالات فتابعت (الدولة الأيوبية) في الشام ، ثم مالت الى (الخلافة العباسية) لما رأت من جفاء الأيوبيين ، فعدلت عنهم . تقلبت بها الأوضاع السياسية في أطوارها كلها . وهكذا كانت في علومها وآدابها تابعة لهذه الدول . فلم يطرأ عليها فتور ، ولا نخل فعاشت الى رمضان سنة ٦٣٠هـ - ١٢٣٣م ، فبلغت عمراً تجاوز المئة سنة تمكنت في خلاله من التوجيه السيامي والاجتماعي والثقافي ، وولدت اتصالاً سياسياً وعلمياً بالأقطار الإسلامية العديدة من عربية وغير عربية ، وأحسنّت الادارة ، وقامت بمشاريع خيرية مهمة نالت

بها مكانة من نفوس الشعب ، وبقي ذكرها مردداً على الألسنة وفي بطون التواريخ ، لهج به القاصي والداني ، نالت من سمو المكانة ما لم تبلغه الامارات التي توالى على إربل قبلها أو بعدها . . .

وربما زاد ذكرها وفاقته غيرها من امارات كبيرة أو دبل شغلها عن الأمر الأهم ما شغل من آمال خبيسة قضتها في حروب ، أو ألهتها الاضطرابات من جراء سوء التدبير ، ومن المغامرات التي لا طائل تحتها .

وهذه الامارة لا تزال آثارها شاخصة للعيان ، جليلة في ماهيتها وفي أثرها وتأثيرها ، وصلت الى أقصى ما استطاعت ، فكانت في كل صفحة من صفحاتها ندعو للالتفات ، وتستوقف النظر ، وتستحق التدوين في عامة أمورنا حتى في علاقاتها الخارجية بل ان هذه العلاقات مدونة أكثر مما هو خاص بأصل الامارة وداخليتها .

لأسيما أيام آخر امرائها (مظفر الدين كوكبري) سارت من أول نشأتها في طريقة مثلى التزمتهما . واستمرت في تكامل وعظمة حتى أيامها الأخيرة . لم تدع لتطرق الفساد أثراً ، ولا لسوء الادارة مجالاً ولم تتسرب اليها الأهواء ، ولم يداخلها الغرور وأمل الاستيلاء . وانما اعتبرت استثمار المملكة واستغلالها من خير الوسائل وأجلها مقرونة بحسن الادارة ، وجيل العمران ، فأخذت بنصيب وافر مما غفل عنه كثيرون أعماهم الجهل أو الحرص والطمع . . .

ويهمنا ان نعلم عن هذه الامارة ما كان من أمرها مجموعاً ، وندون ما عرف من حياة ، ومن اتقان عمل بقدر ما أمكن العثور عليه من الوثائق ، وما سمعت به النصوص التاريخية . وكأن امراءها تعاهدوا على الصلاح والتزموا الاصلاح ، وتعاهدوا على الخير فضربوا رقماً قياسياً للادارة الحقة ، والسياسة القوية حتى جاءت أيام (كوكبري) ، فظهرت أكثر ، وبدت أوضح .

ولم يكن خيراً من مقصوداً على أعمالهم لأنفسهم أو لمدينتهم ، بل تجاوزوها فخدموا الاسلام في جهادهم ، ورعوا الثقافة ببذلهم للمدارس ، وبالصرف بسخاء لاتصال العلوم والآداب ، فنالت هذه الامارة الفخر والأجر ، وعاشت بهناء واطمئنان

مرغوباً فيها من الأهلين ومن الخارج ، فكانوا في ارتباط بالعلماء لمختلف الاقطار . كانت هذه الامارة في الأصل إقطاعاً كأمثالها من امارات عديدة ، تولت إربل أيام الأتابك عماد الدين زنكي في رمضان سنة ٥٢٢ هـ - ١١٢٨ م ، ودامت على الولاء والموالاة للأتابكة من أسرته الى ١٤ جمادى الآخرة سنة ٥٨٠ هـ - ١١٨٤ م وفي التاريخ المذكور مالت الى (الدولة الأيوبية) وبقيت على الولاء لها مخلصه الاخلاص كله ، لم تلعب بها الأهواء الى سنة ٦٢٧ هـ . ولما رأت من حكم الملك الأشرف^(١) مارأت من جفاء وصدود ، بل من اتفاق بينه وبين بدر الدين لؤلؤ على الوقعة بها وعزم بدر الدين على أخذ إربل منها مالت الى الخلافة العباسية ، وذهب مظفر الدين كوكبري في المحرم سنة ٦٢٨ هـ - ١٢٣٠ م الى بغداد بعد أن استنجد بالخليفة المستنصر بالله ، فنهى عن التدخل في أمره ، ومن ثم انتهى اليه .

وفي خلال ادارة هذه الامارة لم تدع مجالاً للاطلاع ان تحكم ، بل كانت في يقظة تامة وانتباه زائد لما كان يجري في العلم أو الجفاء فلم تقصر في إعداد العدة للطوارئ وإنما كانت على استعداد لكل ما يتوقع . وفي أيام انقيادها لحكم الأتابكة وتوسع ادارتهم كانت تستخدم قوة جيشها لمصلحة الأتابكة ، ولغاية التمكن من القضاء على حكم المجاورين فكان عملها كبيراً ، فالارتباط مشهود في السياسة العامة ، وملحوظ دوماً في عهد الأتابكة ، ونعرف درجة ذلك في الاتصال بدولة بني أيوب ، ثم بالخلافة العباسية .

من الضروري معرفة ذلك ، وإدراك علاقته بالدولة السلجوقية ، وبالخلافة العباسية والاكتنا بعيدين عن الاطلاع على كنه هذه الامارة والاحاطة بموقعها ، أو غافلين عن مجرى الأمور في التاريخ العراقي والاسلامي وميادته الخارجية .

وهذه المعرفة لا تؤدي الى الهدف المطلوب حتى نعلم سياسة إربل الداخلية وادارتها

(١) تلك الزمان سنة ٥٩٨ هـ - ١٢٠١ م وكذا حبان ، وانتمى اليه بدر الدين لؤلؤ مما دعا الى أن يميل كوكبري الى المظفر والظاهر غازي : وهكذا توزعت العلاقات .

المحلية ودرجة علاقتها بالاهلين عسكرياً وادارياً وثقافياً ، ومقدار ما أسدى أمراؤها من خدمات متصلة بباربل مباشرة .

تحتاج كل هذه الى استعراض الوقائع وتثبيتها ، وهي مبعثرة هنا وهناك في طيات كتب التاريخ ، فمن المحتم علينا أن نثيرها ، ولا نبالي بالصعوبات وببذل المستطاع في تنظيم هذه الجهود ، وتقدم ما يتجدد عندنا من المعرفة ليضاف ، فتتجلى الحالة بأمثلة لا تستغني بالموجود بل تتطلب الاكمل والكمال .

وإذا كان مجرى الحوادث لا يدرك الا من الوقائع الثابتة والاستعانة بها يؤدي الأغراض المطلوبة اشارة أو صراحة فان الاستكثار منها ، وحرصا على الحالة المشهودة والوضع الجغرافي مما يؤدي الى معرفة القدرة التي كسبتها هذه الامارة من ضبط الأمور فتظهر الادارة الحكيمة والسياسة المستقيمة التي بلغت بها .

ولا يكفي هذا وحده ، وانما نحتاج أكثر الى ما يعين أوضاع الدول الاسلامية في حالاتها السياسية نحو الامارات ، ونحو بعضها . وليس لدينا الا ما يلهمه التاريخ مقروناً بالوضع المشهود ، فنرى الصعوبة كبيرة والمهمة شاقة . وربما كان التصدي لها تعرضاً لما يعدّ عملاً متعباً جداً .

واننا في هذه الحالة امتنطقنا بنواحي عديدة أمثال ما ذكر . ومن أهم ما هنالك العشائر وما فيها من طاعة ، وما يبدو من أوضاع جغرافية تفسر الحوادث ومثل هذه لا تدرك بسهولة ، فلا تنفي الوقائع بالحاجة اذ قد تأتي من جهة واحدة ، ويتخللها اعلانات وتهويلات تتعلق ظاهراً بالخدمة العامة وينطوي باطنها على آمال ونيات تنزع الى الاستيلاء والتجكم ، أو اختلاق معاذير لا أصل لها ، فتظهر في العلاقات الخارجية . وهنا الانتباه واليقظة .

نرى المشبطات كثيرة في الوقوف على مثل هذه الأحوال وإدراك كنهها ، والخذلان بين ، تكاد تكون القدرة مفقودة . ولعل في هذه النبذة ما يكون أصلاً للتوسع فيضاف ما أغفل أو أهمل فيتوالى التبع العلمي ليكمل الغرض التاريخي . وهذه الكلمة نتيجة إلهام وقائع ، ومجاري تاريخية تعين ما جال في الخاطر ،

وما رغبتنا في بيانه من خلاصة المطالعات في تكون هذه الامارة ، ودوامها ، وانقراضها ، أو معرفة سياستها الداخلية والخارجية حتى صارت في طيات التاريخ ، ففي حياتها هذه غربة وفي ادارتها قدرة التمكن من ناصية الأمور ، ودوام حياتها من أغرب الغرائب بين دول عديدة لها آمالها وأمانيتها ، وقد ندرك نياتها من اتفاقاتها ومعاهداتها وما طرأ على هذه الامارة من جرائها ، وللمجاورة دخل في الايفاح ، وللعداء طريقة في الاظهار والاعلان . والنزعات لا تحصى ، والتقصير في التدوين لا ينكر . والعلوم والآداب نالت مكانة ونجحت نجاحاً باهراً لا يقل عما سبقه ، زادت في المصانع الخيرية وأعمال البر ، وقوت ما استطاعت من علاقات ثقافية . نحن في حاجة عظيمة الى التنظيم والاظهار لتاريخنا هذا وأمثاله . جعلت (التاريخ السيامي) قسماً ، و (التاريخ العلمي والأدبي) قسماً يتلوهما ما يتعلق بالحضارة والعمران جعلناه قسماً آخر بعنوان (تاريخ المجتمع) وبعد ذلك كله أنهينا القول بكلمة ختامية .

٢ - التاريخ السياسي

١ - السياسة الدولية

عاشت الدولة العباسية بصولة وقوة من سنة ١٣٢ هـ - ٧٤٩ م ودامت مدة بلغت بها أوج الكمال ، ثم تناوبتها أحداث فلت من غربها وخضدت من شوكتها بحيث اضطرب فيها حبل الأمن داخلاً وخارجاً واستمرت على ذلك حتى قضى على استقلالها بتغلب (البويهيين) ودخولهم بغداد في ١٢ جمادى الاولى سنة ٣٣٤ هـ - ٩٤٥ م . وأزيل حكم هؤلاء من بغداد بعد مضي أكثر من مائة سنة في ٢٥ رمضان سنة ٤٤٧ هـ - ١٠٥٥ م بتغلب (دولة آل ساجوق) ، فحلت محلهم . وهذه الدولة ظهرت بقوة فائقة سيطرت بها على الخلافة وعلى أفطار عديدة . ولم تقنع بالطاعة وحدها ، ولا اكتفت بالاذعان بل أرادت ان تكون هذه الامارات خالصة لها فأبدلت اماراتها بماليك من الترك أو امراء منهم وبينهم من تسمى بـ (الأتابكة) مثل (الخوارزمشاهية) ، و (أتابكة الموصل) ، و (أتابكة آخريين) ، فنجوا الامارات

الأولى وأقصوها عن الحكم ، وصار أمر البلاد بأيديهم رأساً فلم يقنعوا بالسلطة العامة ، بل انتزعوا الممالك ، وقضوا على اماراتها ، فصارت في حكم أمراءها اقطاعاً لهم .
جروا على ذلك . وكادوا ينجحون في التسلط على الممالك واماراتها ويسيطرون على البلاد وأن يكونوا بآمن من الغوائل لو لا ان الأمور لم تجر دائماً طبق المراد ، وإنما تولد الشقاق في نفس الأسرة المالكة فداخل أفرادها الطمع ، وامراءها الاثرة ، فتطرق اليها الخلاف مما ادى الى التطاحن والخصام ، والهي عن السيطرة المنشودة أو التمكن من الادارة بتلك المهمة .

وشعر أهل الاقطاع من الأتابكة بقوة ، وجلّ ما عملوا انهم ناصروا بعض الأمراء للتمكن واستعان هؤلاء الأمراء بهم لصد غائلة المطالبين بالسلطنة ، أو الميل الى الثائرين من الأسرة المالكة ، فولد ذلك نخوة في نفوس الأتابكة ، فأضمروا الانفصال عن أصل الدولة . شعروا بأن الضعف استولى عليها ، وكان هؤلاء الأتابكة قوة يدها زمام الأمر ، فتظاهروا بالتابعة ، ولكنهم انسلوا منها ، وهكذا مضوا في طريق الاستقلال ، ومن أشهر هؤلاء (atabike الموصل) ، وإن امارة اربل كانت تابعة لها .
والخلافة العباسية حاولت الاستفادة من ضعف الدولة السلجوقية وانشقاقها على نفسها ، وهي تحرق الارم على هؤلاء المتغلبة الذين سلبوها استقلالها ، ولكنها كانت عاجزة لا تملك من القوة ما تستطيع عمله ، وبغداد وحدها لا تكفي ، وهي أيضاً في تشتت آراء ، واضطراب أوضاع ، وليس في وسعها رفع التغلب ، وقد حرمت الوسائل ، وإذا كانت قد استطاعت في أيام المقتدي رفع التسلط عن بغداد سنة ٥٤٧ هـ ١١٦٣ م فلم تقدر أن تقاوم الأتابكة ، ولا ان تسترد ما تغلبوا عليه ، ولم تتمكن حتى من اربل ، أو من دقوقا ، أو تكريت ، أو شهرزور ، أو الحلة . . . ولم تقدر ان تمس الأتابكة في الموصل ، ولا الأيوبيين في الشام وإنما تمكنت من بعض الأطراف .

وفي هذه الحالة من ضعف آل سلجوق ، ومن الخلافة تيسر للأتابكة أن يعيشوا فيهددوا الامارات الصغيرة المجاورة والخلافة معاً حتى بعد انقراض الدولة السلجوقية

سنة ٥٩٠ هـ - ١١٩٤ م . ولم يكن في مقدور الخلافة أن تخضع أتابكة الموصل ولا أتابكة اربل ، بل كانت مهددة بالخوارزميين ، فصار هؤلاء يحاولون ان يحلوا منها محل الدولة السلجوقية ابان تغلبها مما ولد لها مشاكل بسبب هذه المشادة التي نهكت الدولة العباسية ، ونفرت الأهلين منها أيام الخليفة الناصر خاصة . عاشت دولة الأتابكة ولم تخش الدولة العباسية ، ومثلها دولة الأيوبيين . وهكذا كانت الامارات المشتقة من الاتابكة و (اماره اربل) إحداها .

وموضوع بحثنا (اماره اربل) ، وهذه لم تتمكن الخلافة من اخضاعها ، ولا دولة الاتابكة في الموصل استطاعت القبض على قيادها . ولا الدولة الأيوبية قدرت أن تتسلط عليها ، بل كل واحدة كانت تخطب ودّها ، وترغب في أن تميل اليها لتعديل الكفة ، والاحتفاظ بالموازنة . وكانت سياستها التهديد للواحدة بالأخرى على الرغم من ضعفها بل برهنت مراراً على قدرة في جيشها في واقعة (حطين) ، وفي حادث هجوم أتابكة الموصل عليها أيام مجاهد الدين قايماز وانفصاله من اربل ، وفي حادث قطعها العلاقات من الدولة الأيوبية

ويصح أن تعتبر أدوارها التاريخية :

- ١ - تابعيتها لأتابكة الموصل . من سنة ٥٢٢ هـ الى سنة ٥٧٨ هـ .
- ٢ - انقيادها لآل أيوب . من هذا التاريخ الى سنة ٦٢٧ هـ .
- ٣ - طاعتها للخلافة العباسية . من ذلك العهد الى سنة ٦٣٠ هـ .

والنصوص التاريخية تعين أوضاعها . كانت تحسب بعيداً وتفكر في أمرها تفكيراً عميقاً ، ولم تترك شئونها للمقدرات ، أو لتلاعب الأهواء بل كانت المسيطرة على الحالة . الحاكمة على الموقف .

وفي هذه كلها ما يعين وضعها السياسي بين (الدول الإسلامية) ويلتمس في حسن التدبير ، والالتفات الى تنظيم الحالة المالية في ميزانيتها . وفرت مبالغ مهمة للطوارئ ، وأخرى للجيش ، وهكذا للمشاريع الخيرية وسائر الأمور . ولم تقف في حالاتها عند ذلك بل راعت أمر المسلمين ، وقامت بالمصالح العامة من مساعدات

حرية ، وفك أمرى ، ومشاريع ثقافية ، وصلات علمية ، ومعاهد دينية . ولعل في إلهام الوقائع ما يبصر أكثر من هذا الاجمال فتنبلي أمورها التاريخية واضحة لا خفاء فيها ولا إبهام .

ولا شك ان تاريخ هذه الامارة يستحق البحث من وجوه ، وأرجو ان يكون هذا نواة صالحة للتوسع .

٢ - آل بكتكين

(امراء هذه الأسرة)

ان السياسة الخارجية تظهر جلياً في هذه الامارة وعلاقاتها بالدول ، وكذا الارتباط بالأهلين وأمر ادارتهم داخلياً وهذه كلها لا تتعين الا في وقائعها المعروفة وما قامت به من أعمال . وكل ما نعلمه ان هذه الامارة كانت إقطاعاً من أتابكة الموصل في شهر رمضان سنة ٥٢٢ هـ - ١١٢٨ م فقامت أعمال حرية وسياسية وثقافية .

ظهرت قدرتها فيما حكته من أرض ما بين الزابين المسماة بـ (صهران) أو (صوران) من مملكة اربل . وفي اقطاعها ، ومتابعتها للموصل ، ثم اقيادها للدولة الأيوبية فالخلافة العباسية مما توضحه الحوادث التاريخية والشؤون السياسية في تفسير هذا الميل ، ويتخلل ذلك بعض الأوضاع الخارجية والداخلية معاً .

وفي امارتهم هذه أرضوا الأهلين ، فلم يكونوا عتاة جبارين ، ولا أزهقوا اربل أكثر مما تطيق ، وانما عاملوها بالحسنى ، وراعوا رغبتها ، وولدوا فيها ثقافة بلغت من الشهرة مبلغاً عظيماً ، فصارت مطمح أنظار العلماء ، ومحط رجال أهل الثقافة ، وآثار هذه الامارة في اربل لا تحصى . ويتعين ذلك بالكلام على كل واحد من امرائهم حتى نختتمها بكبير هذه الأسرة وآخرهم مظفر الدين كوكبري . . . وهذه قائمة امرائهم .

١ - زين الدين علي كوجك بن بكتكين ولي اربل سنة ٥٢٢ هـ .

- ٢ - مظفر الدين كوكبري . حكمها من سنة ٥٦٣ هـ حين وفاة والده .
 ٣ - زين الدين يوسف بنالتكين بن علي كوجك . صار أميراً مكان
 أخيه سنة ٥٦٧ هـ .

٤ - مظفر الدين كوكبري للمرة الثانية والأخيرة . وليها بعد وفاة أخيه
 سنة ٥٨٦ هـ ودام حكمه الى ان توفي في رمضان سنة ٦٣٠ هـ .

ونحننا معرفة تاريخ هذه الامارة باعتبارها جزءاً من تاريخ العراق لاسيما
 وقد حصلت على مكانة ذائعة . وكان ابن المستوفي وضع تاريخاً لها سماه (نباهة
 البلد الخامل بمن ورده من الأمائل) لم يصل اليها منه إلا ما علم أخيراً من وجود
 جزء منه في لندن . وعرف بعض النقل منه مفرقاً هنا وهناك . وآخرون خصوه
 أو كتبوا تاريخ اربل بمن لم تصل اليها تواريخهم^(١) .

وغالب المراجع الأخرى تتعلق بالموصل ، أو بالشام وأنحاءها ، وبإخلافة العباسية
 وصلتها بمؤرخيها ويغلب على هذه الشمول ، أو الخصوصية بدولة الأتابكة ، أو بدولة
 آل أيوب . وفي هذه تعرض لبعض المطالب . وقبلنا نرى من الحوادث ما ولد شهرة عامة .
 لم تصل اليها الاثف من هذا التاريخ مبددة . وغاية ما يقال فيها انها (تاريخ
 علاقات) ، فالنقص فيها ظاهر ، وقد رجعنا اليها ، وإلى النقود المضروبة ، والمدونات
 العديدة . مزجناها بمشاهدات الأوضاع الطبيعية أو الجغرافية ، والعشائر والأهلين .
 والآثار الأدبية ، والعلمية . فجمعنا ما يصلح من تاريخ هذه الامارة بالرجوع الى
 الأتابكة وتاريخهم في العهد الأول ، وإلى الدولة الأيوبية في العهد الثاني ، وإلى
 الخلافة العباسية ومدوناتهما في الزمن الثالث من أدوار حياتها . فتكونت جملة
 صالحة مما يأتي النقل منه في حينه . وعلى كل حال كانت هذه الامارة جديرة بالبحث .

٢ - زين الدين علي كوجك

هو ابن بكتكين ، أول أمراء هذه الأسرة باربل . كان استولى على اربل

(١) كشف الظنون - تاريخ اربل - والإعلان بالتاريخ ص ١٢١ .

عماد الدين زنكي في رمضان سنة ٥٢٢ هـ^(١) فجعلها اقطاعه . وعرف بـ (كوجك) لأنه كان صغير الجسم . أصله من التركان من مماليك قسم الدولة والد عماد الدين . وفي الغالب لم يعرف عن الامارات الصغيرة مثل اربل ، ولا ذكر عن أمرائها ما يشفي غلة . فاذا علمنا بعض اسماء أمراء اربل مثل أبي الهيجاء ، وابنه الأمير فضل^(٢) فلا نعرف أكثر من ذلك . ولما قتل قسم الدولة سنة ٤٨٧ هـ - ١٠٩٤ م ما كان عماد الدين بلغ العشر سنوات . وكذا كان زين الدين علي كوجك صغيراً . فتقلبت الأحوال بعماد الدين زنكي ، واجتمع اليه اعوان والده حتى دخل الموصل والياً في ١٠ شهر رمضان سنة ٥٢١ هـ - ١٢٧ م فأسس اماره الأتابكة في الموصل وفي رمضان سنة ٥٢٢ هـ - ١١٢٨ م استولى على اربل ، فصارت اقطاعاً لزين الدين وأصبح تابعاً لامارة الموصل .

تحوّلت الأحوال بهذه الامارة وتغير وضعها فمالت للأيوبيين وتمّ الاتفاق بينها في ذي الحجة سنة ٥٧٩ هـ - ١١٨١ م وبعدها في سنة ٦٢٧ هـ انخرقت عن الدولة الأيوبية ، وفي المحرم سنة ٦٢٨ هـ - ١٢٥٠ م ألحقت بالخلافة العباسية حتى انقرضت هذه الامارة في رمضان سنة ٦٣٠ هـ بوفاة مظفر الدين كوكبري . وزين الدين علي كوجك أَرْضَى دولة الأتابكة لما قام به من خدمات فحصل منها على اقطاع اخرى مثل الهكارية (العمادية وأنحاءها) ، وعقر الحميدية وحران وتكريت وشهرزور . وتقدر مكانة هذا الاقطاع في الخدمات التي أسداها بل اعتقد ان دوام ملك الأتابكة وتوسعه مدين لاربيل وحسن ادارة المترجم فيها ، والجيش الذي استخدمه في القضاء على الامارات الصغيرة .

وكان رجال عماد الدين زنكي أصحاب مواهب لم يتهياً مثلهم في دولة الا قويت ادارتها ونشطت في حروبها ، واكتسبت سياسة مكيئة في قوام حكم ،

(١) كتاب الروضتين طبعة سنة ١٢٨٧ وادتي النيل بمصر القاهرة ج ١ ص ٣٠

(٢) الاعتبار لأمانة بن منقذ ص ٨٧ طبعة جامعة برنستون الولايات المتحدة .

وتجلت قدرتها . ومن أبرز رجالها نصير الدين جقر بن يعقوب ، كاتب نائب عماد الدين زنكي . ولما قتل في ذي القعدة سنة ٥٣٩ هـ - ١١٤٥ م استقر رأي الأتابك في ان يكون (زين الدين علي كوجك) نائبه على الموصل ، ولم يتعرض لاقطاعه في اربل وغيرها ، وبقيت هذه الاقطاعات في أيدي نوابه .

قال ابن الأثير في أتابكة الموصل :

« استقر زين الدين وتمكن ، وسلك بالناس غير الطريق التي سلكها نصير الدين ، فاطمان الناس وأمنوا ، وازدادت البلاد معه عمارة » ١ هـ .

وقال الفارقي في تاريخه :

« كان قد قتله غلانه في ٨ ذي القعدة من السنة ورتب في الموصل زين الدين علي كوجك وكان لقي الناس من نصير الدين شدة من الجور والظلم والقتل والمصادرات والأقساط فلما ولي زين الدين أزال ذلك جميعه فأحسن الى الناس والرعايا وجميع البلاد ورأى الناس منه كل خير الى ان مات » ١ هـ ^(١) ومدح ابن القلانسي سيرته على خلاف ما جاء في تاريخ الفارقي .

دام استقرار زين الدين علي كوجك مدة حياة عماد الدين زنكي ، وبعد ان قتل زنكي في ٥ ربيع الآخر سنة ٥٤١ هـ ١١٤٦ م تمكن زين الدين في الدولة الأتابكية تمكناً عظيماً ^(٢) . أقره الأتابك سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي (٥٤١ - ٥٤٤ هـ) في نيابة الموصل ، وزاد في اقطاعه كما كان ذلك أيام والده ، ولم يتغير شيء من الوضع . وكيف يتغير وكان قد أزال كل تدمير كان في نيابة سابقه ولو تجنب كل صاحب سلطة مما يتدمر منه من ملف بلغت الادارة عندنا حداً لاثقاً . فلم يختل أمر في الادارة ، ولا طراً فساد .

ولا يهنا التوسع في ادارة دولة الأتابكة ، وإنما المقصود أن نعرف ادارة اربل في أيام هذه الامارة والا فان أعمال المترجم الخيرية في الموصل لا تنكر ،

(١) تاريخ أبي بلى حمزة ابن القلانسي - هامش ص ٢٨١ وفصل ابن القلانسي قتله نصير الدين جقر .

(٢) تاريخ الأتابكة في الموصل ص ١٢٢ وفي ابن خلكان توفي عماد الدين زنكي في ١٥ ربيع الآخر .

وأعماله مشهودة، وهي مشرفة له وقدوة لمن جاء بعده ومن أهمها مدرسته، كما أنه قبض على زمام الأمور، وأبدى قدرة تضاءلت دونها غيرها، فاكسب الثقة التامة من الأهلين والأتابكة معاً. ورافقه التوفيق في إدارته ونال التوجه بكل معناه. وهذه لم تمنع أن يلتفت زين الدين علي كوجك نحو أربل، ومراقبة نوابه فيها. فكل منهم أراد إرضاءه في نيابته في الطريقة التي مشى عليها في الموصل، فحاول هؤلاء النواب أن يتخذوا هذا الأمير قدوتهم في إدارة أربل، أو رسم لهم ما أراد فنفذوا حرفياً، وقاموا بمثل ما قام به هذا الرجل الكامل من اعتدال وتبصر وعمل نافع.

دام في إخلاصه لسيف الدين غازي إلى أن توفي في آخر جمادى الآخرة سنة ٥٤٤ هـ - ١١٤٩ م، فولي أمر الأتابكة بعده أخوه قطب الدين مودود (٥٤٤ هـ - ٥٦٥ هـ) فأبقاه على ما كان عليه، وزين الدين مدير دولته وصاحب رأيه، فكان نعم المدير والمشير لصلاحه وخيره وحسن مقاصده مع شجاعة تامة وفروسية مشهورة^(١).

وهنا نقول إن إدارة أربل ظهرت في نوابه وحوادثه الأخرى البارزة.

١ - أنه سار بجيش على بغداد لمناصرة السلطان محمد بن السلطان محمود من رجال الدولة السلجوقية. وكان هذا الحادث سنة ٥٥١ هـ - ٥٥٢. وفي حربه هذه كان يميل إلى الدولة العباسية، ويناصرها باطنياً، ولم يقصد الواقعة بها، وجرت مراسلات بينه وبين الدولة العباسية أظهر فيها ميله إليها^(٢).

بدل على ذلك ما جرى من الاحتفال به عندما قصد حج بيت الله الحرام سنة ٥٥٨ هـ، فمر ببغداد وكان قد نبأه كثيرون من جراء ما وقع من حرب

(١) ابن خلكان: طبعة سنة ١٢٧٥ هـ. بيولاقي مصر. (٢) التفصيل في الكامل

لابن الأثير ج ١١ ص ٨٦ طبعة بولاق وابن القلانسي ص ٣٤٣ وفي أخبار الدولة السلجوقية المسمى (زبدة التواريخ أخبار الأسراء والملوك السلجوقية) لعبد الدين الحسيني يتصحيح محمد اقبال مدرس اللغة الفارسية في فنجاب طبعة في لاهور سنة ١٩٣٣ م.

بغداد ، حذره اصحابه من جراء مناصرته الملك محمد السلجوقي . فلما وصل الى بغداد أكرمه الخليفة المستنجد بالله البمامي ، واجتمع به وأمر بالخلع عليه . وفي هذا الاحتفال أبدى أموراً كانت محل الثنات الخليفة والزيادة في انعامه . وذلك انه لما ليس الخلعة وكانت طويلة عليه لقصره مدّ يده الى كمرانه واخرج ما شدة به وسطه ، وقصر الجبة ، فنظر الخليفة المستنجد اليه ، فاستحسن ذلك منه وقال ان عنده مثل هذا يكون الأمير والجندي لا مثلكم . فلما دخل قبل يده ثم خرج من عنده بعد ان حادثه بالتركية وكان المستنجد يتكلم بها جيداً ، فلما خرج نظر اليه المستنجد من شباك وقد اخرج شيئاً من السيف الذي انعم به عليه من الديوان فلم يره جيداً ، وهو يومي برأسه يعني انه غير جيد ، فأرسل اليه سيفاً آخر ، وقال للرسول : - يقول لك أمير المؤمنين ذاك السيف يترك ، وهذا تقاتل به اعداء امير المؤمنين واعداء المسلمين .

فرد وجهه وقبّل الأرض ، وتقلده . ثم مضى في طريقه الى الحج ، فأحسن الى الناس في الطريق وكثر الصدقات ^(١) .

٢ - في سنة ٥٥٥ هـ كان قد سار سليمان شاه من الموصل الى همدان ، وكان زين الدين معه ليتولى السلطنة ، فرأى في طريقه ما رأى من خلل في ادارة الجيش وتسليط الأمراء ، فأبدى حكمة وعقلاً في الانسلاخ والرجوع لما عرف من نتائج تؤدي اليها الحالة ^(٢) .

٣ - في سنة ٥٥٩ هـ ارسله قطب الدين مودود منجداً الملك العادل نور الدين وكان قد كاتب نور الدين الأطراف ، وكاتب العباد والزهاد المنقطعين فذكر لهم ما يلقي المسلمون من الافرنج ، وما ينالهم من القتل والأمر والنهب ويستمد منهم الدعاء ، ويطلب منهم ان يحثوا المسلمين على الغزاة ، فأمدوه للبياج الحاصل في الممالك الاسلامية من جراء ما قام به هؤلاء الزهاد والعباد من دعوة ، فحذر

(١) الدولة الاتماكية ص ٢٠٧ . (٢) الكائن لابن الأثير ج ١١ ص ١٠٣ .

الملوك والأمرء ان يفسد عليهم الأمر في ادارتهم ، فكانت (وائعة حارم)^(١) .

٤ - في سنة ٥٦٣ هـ سار زين الدين الى اربل ، وسلم جميع ما كان بيده من البلاد والقلاع الى الاتابك قطب الدين ، فمن ذلك سنجار وحران ، وقلعة عقر الحميدية ، وقلاع الهكارية جميعها ، وتكريت وشهرزور .

وسبب ذلك انه طعن في السن واصابه عمى وصمم ، فتنازل عن كل ما في يده من اقطاعات وأبقى اربل وحدها بيده .

٥ - في السنة التي ذهب بها الى اربل توفي في ١١ ذي القعدة سنة ٥٦٣ هـ - ١١٦٨ م . وكان استولى عليه الهرم ، وضعفت قوته . وكان في اربل مرقد الأثير^(٢) . ولا يزال معروفاً .

٦ - حياته الخاصة : كان خيراً عادلاً ، حسن السيرة جواداً ، محافظاً على حسن العهد ، واداء الأمانة ، قليل الغدر بل عديمه . وكان اذا وعد بشيء لا بد له من ان يفعله وان كان فعله خطيراً . وكان حاله من أعجب الأحوال بينما يبدو منه ما يدل على سلامة صدره وغفلته حتى يظهر منه ما يدل على افراط الذكاء وغلبة الدماء . قال ابن الأثير : « بلغني انه اتاه بعض اصحابه بذهب فرس ذكر انه تفق له فأمر له بفرس فتداول ذلك الذنب ١٢ رجلاً كلهم يأخذ فرساً ، فلما احضره آخرهم قال له : اما تستحيون مني كما استحي منكم قد احضر هذا الذنب عندي ١٢ رجلاً وانا اتناول لئلا يخجل احديكم انظنون انني لا اعرفه بلى والله انما اردت ان يصلحكم عطائي بغير من ولا تكدير فلم تتركوني وامر له بفرس آخر . » ١ هـ وكان يعطي كثيراً ويخلع عظيماً ، وكانت له البلاد الكثيرة ، فلم يخلف شيئاً بل نقد جميعه في العطاء والالعام على الناس فكانت يلبس الغليظ ويشد على وسطه كل ما يحتاج الجندي اليه من سكين ودرفش ومطرقة ومسلّة وخيوط ودسترك وغير ذلك .

(١) الدولة الأتابكية ص ٢٢٠ [وكتاب الروضتين ج ١ ص ١٣٣] والتفصيل هناك .

(٢) ابن خللكان ج ١ ص ٦٢٠ والكامل لابن الأثير ج ١١ ص ١٣٦

وكان من أشجع الناس ميمون النقية لم تهزم له راية وكان يقوم المقام الخطير
 فيسلم منه بحسن نيته . وكان تركياً أسمر اللون خفيف العارضين قصيراً جداً ،
 وبني مدارس وربطاً بالموصل وغيرها . بلغني انه مدحه الحيض ييـص^(١) فلما أراد
 الإيـشاد قائـ له انا لا أدري ما تقول لكنني اعلم انك تريد شيئاً وامر له
 بخمسمائة دينار واعطاه فرساً وخلعاً وثياباً يكون مجموع ذلك نحو الف دينار .
 ومكـارمه كثيرة تقتصر على بعضها ولما توفي كان الحاكم باربل خادمه مجاهد بن
 قايماز وهو المتولي لأمرها^(٢) .

وجاء في اوراق قديمة لمؤلف مجهول : « كان قصيراً جداً ، عادلاً ، حسن
 السيرة ، كثير الأمانة . . . ميمون النقية ، لم يكسر جيش هو فيه ، وكنـ
 بخيلاً ، ثم ان جاد في آخر عمره ، وبني المدارس والربط والقناطر والجسور . . . » اهـ^(٣) .

يتبع : (بغداد) عباس المزاري

(١) ترجمته في ابن خلكان ج ١ ص ٢٨٦ (٢) تاريخ أنايكة الموصل ص ٢٤٤

(٣) الظاهر أن هذه الأوراق من تاريخ الذهبي فلم أتمكن من المقابلة .

عَقْدَا نِكَاح

كُتِبَا فِي أَوَاسِطِ الْقَرْنِ الثَّامِنِ

أُعْثِرَ فِي الْإِتِّفَاقِ بِعَقْدِي نِكَاحِ كُتِبَ أَوَّلُهَا فِي ٢٢ رَمَضَانَ سَنَةِ ٧٣٤ الْهِجْرِيَّةِ الْمَوْافِقِ لِسَنَةِ ٣٠٤ الْمِيلَادِيَّةِ وَكِلَاهُمَا أَجْرِيَا بِثَغْرِ اسْوَابِ أَحَدِ الثَّغُورِ الْمَصْرِيَّةِ الْقَائِمَةِ عَلَى شَاطِئِ نَهْرِ النَّيْلِ وَهُمَا بِتَعْلُقَانِ بِأَمِيرَةٍ تَدْعَى أُمَ الْخَيْرِ ابْنَةَ الْأَمِيرِ رُكْنَ الدِّينِ الْحُسَيْنِ بْنِ شِجَاعِ الدِّينِ بْنِ فَخْرِ الدِّينِ مَالِكٍ إِلَى أَنْ يَتَّصِلَ نَسَبُهَا بِمَعْدٍ بْنِ عَدْنَانَ .
فَالْأَوَّلُ أَكْتَتَبَهُ الْأَمِيرُ عَلَمُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ سِرَاجِ الدِّينِ عَمْرُ بْنُ جَمَالِ الدِّينِ حَامِدُ ابْنِ رَحَالِ بْنِ عِمَارِ بْنِ حَامِدِ بْنِ عِمَارِ الْكَاهِلِيِّ .

وَالثَّانِي أَكْتَتَبَهُ الْأَمِيرُ عَزُّ الدِّينِ أَفْرُونُ (كَذَا) بْنُ تَاجِ الدِّينِ مَتُوحِ (كَذَا) ابْنِ شَرْفِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ فَخْرِ الدِّينِ مَالِكٍ إِلَى أَنْ يَتَّصِلَ نَسَبُهُ بِمَعْدٍ بْنِ عَدْنَانَ أَيْضًا . وَالظَّاهِرُ مِنْ هَذَا النَّسَبِ أَنَّ أَفْرُونَ الْمَذْكُورَ مِنْ بَنِي عُمُومَتِهَا .

وَجَاءَ فِي الْعَقْدِ الْأَوَّلِ عَنِ الْمَعْقُودِ تَلِيهَا الْأَمِيرَةُ الْجَلِيلَةُ الْمُصُونَةُ وَالْدَّرَةُ الْمَكْنُونَةُ الْبَكْرُ الْبَالِغُ وَفِي الْعَقْدِ الثَّانِي الْأَوْصَافُ ذَاتُهَا يَتَّبِعُهَا الْمَرَأَةُ الْمَالِكَةُ أَمْرُ نَفْسِهَا .

وَهَذَانِ الْعَقْدَانِ لَمْ يَدُونا بِالرَّقِّ الْمَصْنُوعِ مِنَ الْجِلْدِ الْمَدْبُوعِ كَعَادَةِ ذَلِكَ الزَّمَانِ فِي تَحْرِيرِ الصُّكُوكِ أَوْ بِالْكَاغِدِ الصَّقِيلِ الَّذِي كَانَتْ تُكْتَتَبُ بِهِ الْكُتُبُ وَالْذِفَاتُ . بَلْ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَكْتُوبٌ عَلَى قِطْعَةٍ نَسِيجٍ مِنَ الْحَرِيرِ الْأَخْضَرِ الَّذِي لَمْ يَتَخَرَّقْ وَلَمْ يَتَشَقَّقْ إِلَى الْآنَ وَلِذَلِكَ فَانِ الَّذِينَ كَتَبَا الْعَقْدَيْنِ أَوْ الَّذِينَ شَهِدُوا عَلَيْهَا مِنْ الشُّهُودِ قَدْ عَانُوا بِبَعْضِ الْمَشَقَّةِ فِي كِتَابَتِهِمْ لِأَنَّ الْقَلَمَ لَا يَجْرِي عَلَى الْحَرِيرِ كَجَزْيَانِهِ عَلَى الْمَوَادِّ الْأُخْرَى الْمَعْدَّةِ لِلْكِتَابَةِ . وَلِذَلِكَ فَقَدْ عَانَى كَاتِبُ هَذِهِ السُّطُورِ أَيْضًا بِبَعْضِ النَّصَبِ فِي قِرَاءَةِ الْعَقْدَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ عَنِ النَّسِيجِ الَّذِي أَتَعَبَ مِنْ كِتَابَتِهِ عَلَيْهِ .

وهذه نسخة العقد الأول :

بسم الله الرحمن الرحيم وحلى الله على سيدنا ونينا محمد النبي الأمي وعلى آله واصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

الحمد لله الذي شرف الأنساب وفضلها ، وعظم الأحساب وكلمها ، وأوضح الأحكام وبينها ، الذي هدانا لهذا الإسلام التي هي أفضل الملال ، وجعلها ميزان عدل معتدل ، وجاور من الأشياء ما دق وجل ، وتفرد بوحدايته عز وجل ، هادي الألباب ، ومرشد النظر إلى الصواب ، وحافظ الدراري والأعقاب ، الذي خلق أبا البشر من تراب ، وأجرى النطف من الأصلاب ، الحاكم بعدله ، والهادي إلى الخير وسبله ، ومعمّر البسيطة بآدم ونسله ، الذي جعل النكاح عصمة من الشيطان وحبله ، فهو ما أمرت الشريعة باعتقاد فعله ، وأباحه الله على لسان رسوله ، فقال عز من قائل في محكم منزله : « وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله » أحمدته على ما يسره وأظهره بأشكره على ما قضى به من التواصل وقدره ، وسهله من التصاهر ويسره ، وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تدرأ العذاب ، وتستنزل رحمة العزيز الوهاب ، وأشهد ان محمداً عبده ورسوله الذي اصطفاه من خلقه وآتاه الحكم وفصل الخطاب ، صلى الله عليه وعلى آله صلاة دائمة الى يوم المآب ، قادرة بالعلم والعمل حاكمة بالأمان عند الفزع والوجل .

وبعد فان النكاح مما دعا الله اليه كافة الأنام وأباحه ليستغني بالحلل عن الحرام وقال جل ثناؤه في حق من خشي العيلة من كثرة أهله « وان خفتم غيلة فسوف يغنيكم الله من فضله » وقد ورد عن سيد ولد بني تهامة : « تناكحوا تكثروا فاني مباه بكم الأمم يوم القيامة » وسيرفع حجاب ما سبق في هذا الكتاب .

فنسأل الله العظيم ان يجعل التوفيق بما حضرنا لأجله ، ويحوط هذا الأمر بالخير بعده وقبله ، وان يعضد هذا العقد بالدوام ويحسن له الفاتحة والختام .

وكان مما سورع اليه ووقع التعويل عليه وهو ما يقرأ عليكم في كتاب أوله

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى
 هذا كتاب صداق ، وعقد توفيق واتفاق ، وبركة تسمو على أصحابها ، وسعادة
 تنمو الى خطاياها ونعمة قد من الله سبحانه بها ، اكتبه الامير الأجل المحترم
 علم الدين علي بن مراح الدين عمر بن جمال الدين حامد بن رحال بن عمار بن حامد
 ابن عمار الكاهلي لمخطوبته الأميرة الجليلة المصونة والدرّة المكنونة البكر البالغ
 المدعوّة أم الخير ابنة الأمير الأجل المرحوم ركن الدين اخسين ابن الأمير
 الأجل الكبير المحترم المرحوم شجاع الدين ابن الجناب العالي المولوي الكبير
 الأجل المجتبي المختار عضد الدولة ناصر الجيوش فخر الدين مالك بن الأمير الأجل
 المجاهد صارم الدولة وكثرها ابي عبد الله محمد ابن الأمير الأجل المجاهد سيف
 الدولة وعمدتها ابي الفتح نصر ابن الأمير الأجل عضد الخلافة كثر الدولة
 حسام أمير المؤمنين ابي الفتح ابراهيم ابن الأمير الأجل ابي عبد الله محمد بن علي
 ابن محمد بن يوسف ابن معدي كرب بن الحارث بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة
 ابن يربوع بن الدّول^(١) بن حنيفة بن أقصى بن دغمي بن جديلة بن ربيعة بن نزار
 ابن معد بن عدنان ويريد تزوجها أصدقها على بركة الله وعونه وحسن توفيقه من
 الذهب العين المصري المثاقيل المسكوك الجيد خمسمائة دينار الحال من ذلك
 مائة دينار واحدة وباقي ذلك وهو من عين الذهب اربعمائة دينار بالصفة المذكورة
 يقوم بها الزوج المذكور للزوجة المذكورة مقسطاً لها عليه الى تقضي عشر حجج
 من تاريخه وهو ثاني عشري شهر رمضان سنة أربع وثلاثين وسبعماية وذلك
 باليجاب من ضياء الدين احمد بن طاهر بن سيدهم النقيب بياب الشرع الشريف
 بشفر أسوان المحروس وكيل أخيها شقيقها جمال الدين محمد وذلك بشهادة من
 يذكر كل منهم رسم شهادته آخره وعلى الزوج المذكور ان يتقي الله عز وجل
 (١) مكذا في الأصل وقد وردت في مقدّم الدّول والمثاقيل والتمسوا بالدّول رجل من بني حنيفة
 ابنه لقيم وحي من بكر بن وائل كما جاء في القاموس . بيد أن المبرد في كتاب نسب عدنان
 وقطان ذكره المثل .

فيها ويحسن صحبتها ويعاشرها بالمعروف ، وبخالق الرضي المألوف كما أمر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم وسنة نبيه محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم وله عليها مثل الذي لها عليه ودرجته زائدة عليها بقوله تعالى في محكم كتابه العزيز « وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم »

ولما وضع لسيدنا الفقيه الأجل الامام العالم العبد الكامل المدرس الفاضل القاضي العدل الرضي نجم الدين أبي عبد الله محمد بن الشيخ الصالح العالم الورع الزاهد العدل الرضي ضياء الدين أبو العباس أحمد القرشي نسباً الامنأئي بلداً المستخلف في الحكم العزيز بمدينة أسوان عن حضرة سيدنا ومولانا أفضى القضاة حاكم الأحكام بقية السلف الكرام شرف الدين أبي مدين شعيب ابن سيدنا العبد الفقير الى الله تعالى القاضي الأجل الفقيه الامام العالم العلامة جمال الأحكام خلأل الأحكام جمال الدين حاكم المسلمين أبي التقي يوسف القرشي الشافعي الحاكم يومئذ بمدينة أسنا وأدفو وثغر أسوان المحروس وما مع ذلك من الوجه القبلي من الأعمال القوصية عن الناظر في الحكم العزيز بالديار المصرية الشافعي أدام الله اقبالهم وختم بالصالحات أعمالهم ان الزوجة المذكورة حرة مسلمة صحيحة العقل والبدن خالية من الموانع الشرعية فحينئذ أمر بكتبه فكتب وزوجت من الزوج المذكور بالصداق المسطر أعاليه حاله ومؤجله قبل الزوج لنفسه ذلك قبولاً صحيحاً شرعياً فوراً خار الله لكل منهما في صاحبه وبلغه أقصى ما ربه .

ويجميعه شهد على من سمي فيه بما نسب اليهم في التاريخ المقيد أعلاه بتاريخ الثاني والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة أربع وثلاثين وسبعمائة .

حضرت العقد المذكور شهدت على الأمير علم الدين الزوج

المذكور بعلوم الصداق المذكور وشهدت على من

تسمى بما نسب اليهم وعلى الزوجة المذكورة بقبض

فيه وكتبه الحال المذكور وكتبه

محمد بن عبد العزيز محمد بن الحسين بن محمد بن عبد العزيز

شهدتُ على الأمير علم الدين حضرتُ عقد النكاح وشهدتُ
 الزوج المذكور على الصداق المذكور على المذكورين بما نسب إليهم
 وعلى الزوجة بقبض الحال وأشهد على الزوجة
 المذكور غلتاً وكتبه بقبض الحال
 علي بن نعمة الله وكتبه محمد بن أحمد بن عبدالعزيز
 وهذه نسخة العقد الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .
 الحمد لله الذي تعبدنا بطاعته ، وشرفنا بعبادته ، وأنالنا من أحسانه وفضله
 ورحمته ، الذي جعل النكاح من شريعته ، وحث عليه في كتابه وسنته ، وجمع
 بين شمل المتباعدين بلطفه وحكمته ، والف بين الزوجين فسكن اليها فصرف
 كل منها إلى الآخر غاية مودته ومحبته ، حمده على ما أولى من نعمته ، وأشكره
 على آلائه ومنته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة معترف
 بربوبيته ، مقر بوحدايته ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث إلى كافة الأمم
 برسالاته ، والمخصوص في المؤمنين بشفاعته ، صلى الله عليه وآله وصحباته ، ما أعقب
 ليل صباح بكرته .

وبعد فهذا عقد شمله التوفيق بكتيبته ، واكتنفه اليمن بجملة ، الزوج فيه من
 ذوي الأقدار المشهورة ، ومن أرباب البيوت المذكورة ، قد نشأ على قدم الخير
 والاصلاح ، وتعاطى أسباب التقوى والصلاح ، والزوجة بالدين والنفاه موصوفة
 وأبوتها بالأوصاف الجميلة معروفة ، فالله يقرن عقدهما بالتوفيق ، ويجريه على أجمع
 طريق ، وكان مما أراده الله عز وجل في القدم ، وجرى به في اللوح المحفوظ
 بالقلم ، نكاح الأمير الكبير المجاهد عز الدين الذي هو عالم^(١) بأن النكاح
 مندوب^(٢) إليه ، ومحث من الشارع عليه ، وإنه حصل لأسياب التحصين والعصمة ،
 وجامع لأسياب المودة والرحمة ، وسبب التعاصر والتناصر ، ومقصود به التماسل

(١) و (٢) هكذا في الأصل والصواب عالم ومندوب

والتكاثر ، رأى المصلحة في تحصيل هذا المندوب ، ويجوز لنفسه هذا المطلوب ، وعزم على تزويج من ندب الشرع الى تزويجها ، والاتصال بها ودوام مصاحبتهما ، وهي عقيلة ذات الدين والعقل والجمال ووُصفت بكل الأحوال ونشأت في السعادة الكاملة ، وربيت في حجر النعمة الشاملة ، والدها من أكبر الأمراء ندراً وأستخام كفاً ، وأكملهم وصفاً ، وهو الأمير الكبير ركن الدين الحسين صاحب الصدقات والمعروف ، ومن هو بمكارم الأخلاق الدينية موصوف ، فآله يقرن هذا العقد بالسعادة والتوفيق ، ويجريه على أحسن طريق ، وكان مما سورع اليه ، ووقع التعويل عليه وهو مما يقرأ عليكم في كتاب أوله :

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله وسلامه على عباده الذين اصطفى خصوصاً ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وحسبنا الله ونعم الوكيل .
هذا كتاب عقد ، وسمة ود ، وتجديد عهد ، وعزم مبارك ، وساعة سعد ، واتفاق في الأمور ، واتتلاف في الصدور ، اكتبه الأمير الأجل الكبير الأخص الأعرز المجتبي المختار الموفق السعيد عز الدين أفرون ابن الأمير الأجل الكبير المجاهد الم رابط الموفق السعيد تاج الدين متوح ابن الأمير الأجل الأكل المجتبي المختار شرف الدين محمود ابن الأمير الأجل الكبير المجتبي المختار المجاهد الم رابط المشاعر الأخص الأعرز الأكل المؤيد كنز العشائر فخر الدين أبي المنصور مالك ابن الأمير الكبير المجاهد الم رابط المجتبي المختار تاج الأمراء فخر العرب صارم الدولة وعسكرها أبي عبد الله محمد بن الأمير الكبير الهام كنز الدولة وفخرها سيف الدولة أبي الفتح نصر ابن الأمير المخلص المنصور المؤيد عصر الخلافة عز الملك تاج الدولة فخر العرب كنز الدولة وعهدتها ابي اسحاق ابراهيم ابن صارم الدولة أبي الحسن علي ابن الأمير حسام الدولة أبي العز متوح ابن الأمير كنز الدولة ابي المنصور محمد ابن الأمير كنز الدولة ابي المكارم هبة الله بن محمد بن علي ابن يوسف بن اسحاق بن ابراهيم بن مسروق بن مسمع^(١) بن معدي كرب بن الحارث

(١) في الأصل قرأ مسمع ونُسم وكلاهما بإضافة أداة التعريف أبو قبيلة .

ابن مسلحة بن عبيد بن ثعلبة بن الدئل^(١) بن حنيفة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل
ابن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعما^(٢) بن جديلة بن اسد بن ربيعة بن معد بن
عدنان بخطوبته الأميرة الجليلة المصونة والدرّة المكنونة المرأة المالكة أمر نفسها
المدعوة أم الخير ابنة الأمير الأجل المرحوم ركن الدين الحسين ابن الأمير
الأجل الكبير المحترم شجاع الدين ابن الجنب المولوي الآمري الأجلي المجتبي
المختار عضد الدولة ناصر الجيوش فخر الدين مالك النسب المذكور ويريد تزوجها
أصدقها على بركة الله سبحانه وتعالى وعونه ، وحسن توفيقه وظنه ، سنة نبية محمد
صلى الله عليه وسلم صداقاً جملة من الذهب العين المثلثاقل الوازن المصري مائتا
دينار حالاً ومؤجلاً فالحال من ذلك خمسون ديناراً أقرت الزوجة المذكورة
بقبضها من الزوج المذكور وبقية ذلك مقسطاً لها عليه في سلخ كل سنة تمضي
من تاريخ العقد بينهما وهو الخامس من شهر جمادى الآخرة من شهر سنة اثنتي
واربعين وسبعمائة عشرة دنائير والله ولي المتقين .

وولي تزويجها والقيام بعقد نكاحها عليه سيدنا العبد الفقير الى الله تعالى الفقيه
الامام العالم الكامل صدر المدرسين مفيد الطالبين القاضي العدل الرضي نجم الدين
أبي عبد الله محمد ابن سيدنا العبد الفقير الى الله تعالى الشيخ الصالح الورع الزاهد
العدل الرضي ضياء الدين أحمد بن نجم الدين عبد القوي القرشي الحاك يومئذ
بشعر أسوان عن الناظر في الحكم العزيز بالأعمال القوصية أدام الله سعاده بأذنها
له في ذلك نسبها الأنسب سيضع خطه فيه في ذلك ان وضع خلو الزوجة المذكورة
من موانع النكاح الشرعية أجمع وان الزوجة المذكورة يومئذ حرة مسلمة
صحيحة العقل والبدن فحينئذ أمر بكتب هذا الصداق فكتب وزوجت من
وكيله أحمد بن منبه بن عبد الله على الصداق المذكور قبل الوكيل المذكور

(١) هكذا في الأصل وفي العقد الذي قبل هذا الدؤل

(٢) هكذا في الأصل وفي العقد الذي قبله دُعما

هذا النكاح لموكله قبولاً شرعياً بشعر أسوان المحروس بتاريخ الخامس من شهر جمادى الآخرة من شهر سنة أربعين وسبعمائة .

حضرت العقد المذكور وشهدت	حضرت العقد المذكور وشهدت على
على سيدنا ومولانا أفضى القضاة	سيدنا ومولانا أفضى القضاة
حاكم المسلمين زين المدرسين	رئيس المدرسين مفيد الطالبين
علم العلماء الاعتبارين نجم الدين	أبي عبد الله محمد الحاكم المنعوت
الحاكم المزوج والوكيل القائل	اعلاء والمزوج والوكيل القائل
بما نسب اليها فيه في تاريخه	بما نسب اليها فيه في تاريخه
كتبه خليل بن عيسى عريس	محمد بن عمر بن علي القرشي
عفا الله عنهم	

حضرت العقد المذكور وشهدت على
سيدنا ومولانا أفضى القضاة
صدر المدرسين مفيد الطالبين
أبي عبد الله محمد الحاكم المنعوت
اعلاء المزوج والوكيل القائل
بذلك والزوجة بما نسب اليها فيه
في تاريخه المذكور اعلاء
كتبه صالح بن احمد بن محمد بن علي .

عبد الله مخلص

الطرافة والابتدال

في الأدب العربي

(توطئة)

ليس كل ما كان جديداً في الأدب يستحق ان يحسب طرفة أو تحفة فقد يكون الجديد قبيحاً إما خطأ فيه وأما لنحو الطبع والذوق عنه وأما لمخالفته الطابع العربي في كيفية الاداء والترتيب . ومما تلجأ اليه طائفة من أدباء العرب في نهضتنا الحديثة اتباع اوزان شعرية جديدة تشبه بعض الشبه نوعاً من الموشحات ولكنها ليست اياها ومن العسير ضبطها تحت أحكام معينة . هذا النهج الجديد يولع به انصاره بقصد الاغراب وادخال الدهشة على الآذان والأذهان آمليين ان تجر الدهشة الى اعجاب واستحسان وهو امل يتحققونه في نفوس ضعفاء القراء ولكن هيهات ان ينال مثلاً من نفوس اقويائهم . لأن القوي لا تهمة هذه الظواهر والزخارف بل يغربل ما يقرؤه ثم ينخله وينظر الى ما فيه من لباب لا من قشور متكاثفة وعلى هذه الصورة يصدر حكمه بجودة هذا الشعر الجديد أو برداءته . فمن اراد من أدباء العصر مواراة عجزه وتقصيره بهذه المستحدثات فاهمسوا في أذنه قائلين انها لا تحول دين نظر اهل الحصافة والخبرة . وحكم كل خبير يصدر عليه يفوق عشرة آلاف حكم من غير الخبراء الذين يحكمون له . ثم ليس كل ما كان مطروقاً في الأدب يستحق ان يحسب مبتدلاً مستهجنًا فقد يكون المطروق ضرورياً لايضاح ما اكتنفه من الكلام . وقد يكون مقبولاً محتملاً مماثلاً لسياق الحديث في سذاجته وصراحته . وهذا المطروق الساذج مفتر بشروط ان لا يزيد على خمس القصيدة فان زاد فالقصيدة ليست بذات درجة عالية .

هذه تنبيهات اجمالية يجب ان لا يتغل عنها العاقل المنصف . ولكن ليس من حق هذه التنبيهات ان تتجاوز حدودها فتخدع اذواقنا وبصائرنا وتخلط علينا بين المحاسن والمساوي .

ومن اسرار البلاغة ومعادنها الفياضة تنازل المعنى التافه وتزيينه من بعض نواحيه او تناول الفكرة المجملة وتفصيل شيء من زواياها . او الخاطر الناقص وتكميل نقصه . الى ما يشبه هذه التعميدات مما سميت توليداً في كتابي « كفيل البيان والشعر » وأوردت عليه 'مثلاً' جملة مقتلماً المعنى الأصلي من جذوره فاذا به مبتذل حقير في اصله حتى اذا عولج بأحد هذه القوالب أصبح مبتكراً باهي الجمال أو قريباً من قمة الابتكار . فالتوليد اذن منجم عميق رحب من مناجم حسن القول وأسرار البلقاء . ولا يليق بي ان أعيد هنا ولو باختصار ما تناولته هناك . بل أنوي الساعة ان أدل القاري على منجم ثانٍ يتأخم طريقه طريق المنجم الأول وقد يتشابك الطريقان . ويمكنني ان اسمي هذا المنجم الجديد تنزهاً كما سميت ذاك توليداً وهو خير مرآة لوجوه الطراقة واختلافها عن وجوه الابتدال مما جعلته عنواناً للبحث الحاضر .

التزه الأدبي اصطلاحاً

الذي أريده بالتزه الأدبي الترفع عن مستوى منخفض الى مستوى أعلى مما ينطبق على الوضع اللغوي من لفظ التزه ومعناه التباعد كما ينطبق على معنى له آخر شائع بين العامة والخاصة اي طلب التزهة في بستان او روضة أو رابية جميلة أو وادٍ ظليل أو حقل نافر أو مرجٍ يهيج الى ما شاكل ذلك . فكلا المعنيين من لفظ التزه يلائم التشبيه المقصود بالانتقال من معنى مبتذل الى معنى طريف مستعذب . وللمجيد من شعراء العرب في هذا الميدان قدم راسخة وباع طويل وأدل الدلائل على قدرتهم الشعرية واتساع مدى تصورهم وتفكيرهم انهم لم يقنعوا بالمعاني والتشبيهات التي طرقها كثيرون قبلهم عند ذكر ما كثرت إفتهم

له من شمس وقمر وغيث وجبل وهواء وبحر ونحوها . بل تجاوزوا ذلك القديم المعتاد المطروق الى معانٍ جديدة ومناسبات لطيفة لا يتنبه لها الا امثالهم من فحول الشعراء وهم قليلو العدد في كل عصر وكل مصر . وهذا الذي انوي التصريح عليه في ما يلي من الشواهد الشعرية متعلقة بالشمس والقمر والنجم والغيث والمطر والطل والهواء والأرض والبحر والغدير والبئر والجبل والوادي والليل والتراب والناس وحديثهم ودموعهم وتبادلهم التحيات والسيف والرمح والسهم والحياة والموت . فان جميع هذه المحسوسات المشاهدات وجدنا لها في قرائح الشعراء المفلقين حيزاً جديداً جميلاً لا عهد لنا بمثله عند غيرهم . فقلما يرضى احدهم بالاعتصار على هداية النجم وجهاء القمر وعلو الشمس واتساع البحر ومضاء السيف الى آخر ما هنالك من المعاني المتداولة بل يستخرج لكل منها معنى آخر طريفاً ومناسبة لطيفة . وقد حان لنا ان نسرد ذلك سرّداً قريب المأخذ سهل المنال .

شواهد التنزه الأدبي في المحسوسات العلوية

اراد ابو تمام وهو حبيب بن اوس الطائي ان ينزه قريحته ويدفعها عن الامام بضياء الشمس او رفعتها او تأجيج نارها او تعميم فضلها على المخلوقات فالتفت الى ناحية جديدة ورأى ان الشمس تستحيها النفوس وان لم تحاول هي احراز هذه المحبة فقال في وصف حبيبته الحناء :

هي الشمس يغنيها تودد وجهها الى كل من لاقت وان لم تودد
تودد بفتح التاء وأصلها تتودد . وحذف احدى التاءين بقصد التخفيف قياسي
في مثل هذا الموضع وقد وفق ابو تمام الى نهج جديد آخر في التشبيه بالشمس
حين أراد حض الناس على الهجرة والاعتراب استزادة لأرزاقهم وقوتهم المعنوية فقال :
وطول مقام المرء في الحي مخلق لذي حاجته فاغترب تتجدد
فاني رأيت الشمس زينت محبة الى الناس أن ليست عليهم بمرمد
ولم تطب نفس ابي بكر الخوارزمي حين تصدني للتويه بفضل احد اصدقائه

في ان يجعله عالي المقام كالقمر او مشرق الخصال والمبادي مثل نور القمر مما هو رث قديم بال بل تنزه عن ذلك الى معني جديد ابتكره في ايجاد وجه شبه بين ممدوحه والقمر فقال ان صديقه يتفق اخوانه في اكثر الأحيان عندما يكون على سعة من العيش فان اعتراه عسر وضيق قلل من مخالطتهم والاجتماع بهم شأن القمر في طول مدة بروزه للبشر عندما يقوى نوره فان ضعف نوره وهو في أوائل الشهر القمري او اواخره لم يبرز لعيون الناس الا مدة قصيرة . وهذا الذي قاله الخوارزمي :

رأيتك ان ايسرت خيمت عندنا لزماً وان اعسرت زرت لما
فما انت الا البدر ان قل ضوءه ألم وان زاد الضياء اقاما
ولم يقصر عن هذه الطرافة شاعر آخر اراد معاتبة صديق له ارتفع منصبه فأخذ يظهر له جفاءً وفوراً فقال فيه الشاعر المجفوف :

سألت الله ان تسمو وتعلو علو النجم في كبد السماء
فلما أن علوت بعدت عني فكان اذن على نفسي دعائي
ومعلوم ان علو النجم في كبد السماء معني مبتذل لم يكن لذلك الناظم فضل في الاشارة اليه وانما ظهر فضله وذكاؤه في كيفية الانتفاع بهذه الناحية المبتذلة حين شبه ابتعاد خليله عنه بعد ارتفاع منصبه بابتعاد النجم عن عيون الناس . وازداد شعره حسناً بما ذكره من سابق دعائه الصالح وكيفية انقلابه عليه شؤماً وحرماناً . وقال كمال الدين بن النبيه في وصف كوكب الصبح :

وكوكب الصبح نجاب على يده مخلق تملاً الدنيا بشائره
وهو وصف جديد للكوكب المذكور لا يتعب الذهن في استحضار صورته . وقد قصرت عن ذلك همة غيره من الشعراء فاكتفوا بما ألفوه وقوارثوه من التشبيهات . وأراد بقوله مخلق طرساً مخلقاً او كتاباً مخلقاً أي مضمناً بالخلق بفتح الخاء وهو نوع من الطيب يكثر فيه الزعفران .

وقال مروان بن أبي حفصة في رثاء الأمير الشيباني معن بن زائدة ذاكرًا
وجه شبه للمطر :

فتى عيش في معروفه بعد موته كما كان بعد الغيث مجراه مرتما
وقد تعودنا ان ترى الشعراء يشبهون ممدوحهم بالمطر في غزارة هطله وضمائه
للخصب والخير . فانتقل ابن أبي حفصة من هذه الناحية الى ناحية جديدة قائلاً
ان الأمطار قد تزول وتبقى آثار خيرها في المغارس والمزروعات وهكذا كان
الأمير المرثي معن بن زائدة .

وقد عهدنا الشعراء بذكره بوجه شبه متعدد للغم من قبضه بهطول الغيث
أو من علوه في الجو أو من اطراد سيره بين البطء والسرعة الى غير ذلك مما
قرع الاسماع كثيراً ولكن شاعرية كثير عنزة لم تقنع بهذه المعاني المتبدلة
بل التفت الى ظل الغمامة ورأى خيبة من يعول عليه ويحاول ان يقبل ان
ينام نومة الظهيرة في هذا الظل فقال متصدياً لذكر مقاطعة بينه وبين محبوبته
عنزة مما كان يحز في صدره :

واني ونهياي بعزة بعدما تخليت عما بيننا وتخلت

لكل مرتجي ظل الغمامة كلما نبوأ منها للمقبل اضمحلت

وذكر احد قدماء الشعراء الرياح مشيراً الى حالة دقيقة من حالاتها اذ قال
ان الرياح اذا تناوحت اي هبت من نواح مختلفة الصقت بجسم حبيبته الحسناء
اجزاء ثوبها بحيث تظهر محاسن جسمها في تركيبه الطبيعي الجميل فتستثير
حسد النساء لها وغيرة العاشقين عليها . وهذا الذي قاله الشاعر والشاهد في
البيت الثاني . وفي البيتين رشاقة اداء وبلاغة ايجاز :

ابت الروادف والثدي لقمصها مس البطون وان تمس ظهورا

واذا الرياح مع العشي تناوحت نهن حاسدة وهجن غيورا

شواهد التنزه الأدبي في المحسوسات الأرضية

من المعاني المستحدثة قول بعضهم في الأرض :
 سألت الأرض لم كانت مهاداً ولم جعلت لنا طهرًا وطيباً
 فقالت غير ناطقة لأنني حويت لكل إنسان حبيبا
 وقال الأمير أبو فراس الحمداني في التراب : والشاهد في البيت الثالث :
 فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأناام غضاب
 وليت الذي يبني وبينك عامر ويبنى وبين العالمين خراب
 إذا صحت منك الود يا غاية المني فكل الذي فوق التراب تراب
 واستخرج بعضهم معنى شعرياً علمياً قائلاً أن السحاب لا فضل له على البحر
 لأنه يتخذ قطراته من قطرات البحر المتبخرة . فشيء بهذه الحالة حاله بأهدائه
 الشكر إلى المتفضلين عليه حيث قال :

أهدي له حسن الثناء وانما أهدي له ما حزت من نعمائه
 كالبحر يطره السحاب وما له فضل عليه لأنه من مائه
 وأشار أحد الشعراء ضمناً إلى البئر - وأظنه أبا الأسود الدؤلي واضح علم النحو -
 فقال إن البئر قد تملأ الدلو ماءً زلالاً صافياً وقد تملأها وحلاً يخالطه شيء
 يسير من الماء بحيث يمكن تصفيته والانتفاع به . مشبهاً بهذا المعنى الطريف
 سعي الإنسان لمعيشته فيكون نصيبه الفلاح التام تارة ، وشيء زهيد من
 الفلاح تارة أخرى ، قال :

وما طلب المعيشة بالتمني ولكن التي دلوك في الدلاء
 تجيء بملئها طوراً وطوراً تجيء بجأءٍ وقليل ماء
 وفي ذكر الجبل قال أحد الشعراء :
 وباجبلي نعمات بالله خليا - نسيم الصبا يخلصني إلى نسينها

وقال آخر ذاكرآ الليل وما فيه من حيرة وعجز عن دفع الضيم :
 كالسيل في الليل لا بدري به أحد من أين جاء ولا من أين يأتيه
 وأحسن من هذه الإشارة الى الليل ما قاله ابو الطيب المتنبى في معرض
 تغزل وتشبيب :

وكم لسواد الليل عندي من يد تخبر ان المانوية تكذب
 أراد بالمانوية الملة المانوية نسبة الى مؤسسها ماني الفارسي ومن عقائدها
 الجوهريّة ان الظلام هو إله الشر .
 وقد ذكر النابغة الذبياني الليل أيضاً اعتذاراً الى ابي قابوس النعمان فقال :
 فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت أن المتأى عنك واسع
 وعدل بعضهم عن وصف السيف بالمضاء والافناء الى ذكر حالة أخرى
 من أحواله قائلاً :

كذا السيف ان لابنته لان متة وحده ان خاشته خشنان
 وفي ذكر السهم قال الأمير ابو فراس الحمداني واصفاً إحدى المعارك :
 ولما صار سيف الدين ثرنا كما هيبت أساداً غضابا
 وكنا كالسهم اذا اصاب راميهها فراميهها اصابا
 ان هذا البيت الأخير من أدل الأبيات على قوة شاعرية الناظم وجودة
 تصويره . فقد عهدنا الشعراء يشبهون صاحب العزم بالسهم جاعلين المضاء والنفاذ
 وجه شبه . وهو وجه حسن لا بأس فيه . ولكن مهمة ابي فراس لم تقنع به
 لكثرة ما استعمل حتى ابتذل وصحته الاسماع او كادت تسأمه بل التفت الى
 وجه جديد ادق وابعد غوراً فقد قصد في بيته المذكور انه لم يكن شيء
 يموههم عن الظفر بالأعداء الا عدم لقائهم فلما لقوهم أصبح النصر محققاً وكان
 مثلهم مثل السهام فيمجرد وصولها الى هدفها تقفل فيه فعملها الرهيب ويكون
 راميهها قد أصاب . فالبيت ينسب من معجزات الأيجاز . م (٤)

سراهر التنزه الادبي

في الناس وبعض شؤونهم

لقد خلق في الطبقة العليا من جو الفضيلة والانسانية من أوصى الانسان
ان يعد البشر كلهم احباءه والأرض على رحب أقطارها داراً له ومأوى وملجأ
أميناً من قال :

تصور الناس كلهم سكناً يمشل الأرض كلها داراً
والسكن بفتح الكاف هو الحبيب الذي تسكن اليه نفسك اي ترتاح اليه .
وقال أبو الطيب المتنبي في دموع الحب :

أينكر خدي دموعي وقد جرت منه في سلك سابل
أأول دمع جرى فوقه وأول حزن على راحل
ولو زلت ثم لم ابكم بكيت على حي الزائل
وقال أحدهم في العيش :

ما العيش الا ان تحب وان يحبك من تحبه

وقال المتنبي في الموت :

ألف هذا الهواء اوقع في الأتفس ان المات مر المذاق
وقال فيه أيضاً :

واذا لم يكن من الموت بد فمن العجز ان تموت جياناً

كلمة ختام

ان هذه النماذج الشعرية فضلاً عما اشتملت عليه من طائفة طيبة تنبطن
فائدة جليلة لكل أديب ومتأدب اذ تنبه ذهنه وتدله على كثير من الطرق
في اجتناب المبتذلات والارتقاء الى سدة الطريف المستعذب في المعاني وأساليب
الاداء وقد لا يقل الأسلوب مقاماً عن جوهر المعنى المقصود . ومعلوم ان

ناحية واسعة من منشور القول وهي الناحية الحاربة لموضوعات ألفها الشعر والشعراء
تدخل تحت هذا الحكم وهذه النظرية .

فخري بحزب الأدب واعوانه وخدامه العالمين في حقله ان يناقش كل منهم
نفسه ادق مناقشة حين يؤدي قولاً منظوماً أو مثوراً لكي يتجاني به عن
مواضع الرثاثة والابتذال ويسير قاصداً ردهة الاجادة فان لم يبلغ صدرها ولم
يتوسطها فالأرجح انه لا تفوته عتبتها ومن ثم يتصف نفسه ويصوت كرامته
ويرضي القراء والسامعين اذ يعفيهم من السآمة والملل في الاصغاء الى قناطر
من الكلام ليس تحتها شيء من الفائدة واللذة او تحت تلك القناطر درهم منها
أو درهمان . ولعمري لا ادري لماذا لا يتحمل الأديب من الوقت والعناء في
نظم أبيات يسيرة ما تعود ان يتحملة في نظم خمسين أو ستين بيتاً . فلو اتخذ
أولئك المكثرون المقصرون هذه الخطة في الافلال من النظم مع زيادة اجتهاد
فيه وعناية به لرأينا المحمدين من الناضحين حوالينا يزدون على خمسين في المئة
مع انهم في حالتهم الحاضرة يفلون عن عشرة في المئة . ويارحم الله القائل :
والناس مثل بيوت الشعر كم رجلٍ منهم بألف وكم بيت بديوان

(اللاذقية)

ادوار مرفص

في النشر الأدبي

على هامش النشر الفني

الاعجاب بالنفس أخطر ما يصيب الباحث المفكر لأنه ينجيل اليه التفوق والنبوغ ،
ويزين له الغرور بما يكون منه من عمل ، والفتون بما يرى من رأى أو يلفظ
من قول . وكلما تابعت الأيام تمكن منه ، وغلبه على عقله ، ووران على فكره ،
وغطى على بصره ، فلا يبصر الا محاسنه ، ولا يفكر إلا في عظمته ، ولا يعقل
إلا ما يتصل بهذه المحاسن وتلك العظمة من قريب أو بعيد . ومن هنا كانت
خطوئته على المفكر لأنه ليس كغيره من الناس يفكر لنفسه ويخبس عليها
تفكيرها أو يذيعه في تلك البيئة اليسيرة القصيرة التي تحيط به من المعارف
والأصدقاء ، وإنما هو مولع بالتفكير للناس لا يكاد ينتهي الى رأى في العلم ،
أو نظرية في الفن ، أو نظرة عابرة فيما دون ذلك إلا وهو آخذ بأسباب اذاعتها ،
عامل على شرها بين الناس جميعاً ، لا يهدأ له بال ، ولا يطمئن له خاطر حتى
يعرض فكره وعقله وقلبه ويظهر الناس على ما كان يعتلج فيها من أسرار ،
ويُتْلَج من آراء ، يضطرب من مشاعر . فاذا لم يأخذ الباحث حذره من شيطان
الاعجاب ويهتم نفسه في رغائبها ، ويحادلها عن منازعتها ، ويفاتش ضميره جاهداً ،
ويراجع عقله ، ويقايس بين أفكاره حتى يميز الخبيث من الطيب أهلكه الاعجاب ،
وأخمل ذكره ، وعرضه لألوان من النقد اللاذع ، وفتون من التهمك المرير
لا قبل له بتحملها ، ولا صبر له على بأسها ، وان بأسها الشديد ، والحق الذي
لا مربة فيه ان ألوان الخطأ التي يدفع اليها الاعجاب على عظمتها وغرابتها ما كانت
لتقع لو لا تلك الحجب الكثيفة التي يضربها على العقل ، ويجول بها بين المرء

وقلبه . لا تكاد الفكرة تطرق ذهن المعجب بنفسه حتى يستحيل الى رأي ، ولا يلبث الرأي حتى يستحيل الى عقيدة تملأ مسارب النفس ، وتأخذ بمسالك الوجدان فيعتنقها ويجادل عنها ما وصمته المجادلة وأمدد البيان ، وان كان خطوهما بادياً للعيان لأنها وليدة الاعجاب الفتنان .

ومن هذا القليل تلك الفكرة التي اعتقدها الدكتور زكي مبارك في أبي حيان التوحيدي ، وكانت مبعث خطئه في احكامه عليه . اعتقد انه رجل أنشأ الحق على الموهوبين من أهل العلم والأدب والجاه ، وأديب متشرد أفاق يرجع نبوغه الى حسده وحقده وثورته على الحياة والأحياء . وهو فوق هذا ذاك مفتر كذاب . أنطق معاصريه بما شاء من الأقوال والآراء ، يسجلها في كتبه ممزقة لهم زراً ويهتاناً . وانه لصاحبها ومخلفها فعليه وحده تقع تبعاتها ، واليه يرجع نقد النقادين ، وطعن الطاعنين وفي ضوء تلك الفكرة أرى في ظلامها كتب الدكتور ما كتب عن أبي حيان ، وحكم عليه بما حكم فجاءت أحكامه بعيدة عن الدواب بعد الفكرة التي صدرت عنها . حكم الدكتور على التوحيدي بأنه متحامل على معاصريه وضرب لذلك أمثالا لا تؤيد حكمه ، وانما تؤيد ظلمه العنيف له وقسوته عليه . ومن ذلك ما كتبه في ترجمة أبي عبد الله المرزباني (١٢ / ٢) : « كان معرفاً بسعة المعرفة وكثرة السماع ، وكان معاصره يردنه من محاسن الدنيا ، ومنهم من يقدمه على الجاحظ . ولعل ذلك هو السبب في تحامل بعض المغرضين عليه » . كما في حيان التوحيدي الذي كان يقارنه بآبن شاذان وآبن الخلال ممن كن لهم جميع ورواية وليس لهم فيما جمعه نقط ولا إعجاز ، ولا إمبراج ، لا إجماع ، ومن المدهش حقاً ان الدكتور ينقم على التوحيدي هذا الرأي ويتهمة من أجله بالتحامل ، ثم لا يلبث الا قليلاً حتى يعرضه علينا على انه رأي الذي ارتآه بعد طول البحث وكثرة المراجعة كتب في (ص ١٢٣) في نقد بعض كتب المرزباني يقول : « وبعد المراجعة المتعددة لم يظهر مما يميزه عن غيره من معنفي الروايات والأخبار » .

وليس بين الرأيين من فرق إلا ان الثاني نفس الأول وقائله الدكتور فهو وليد الانصاف وحسن النية . وصاحب الأول ابو حيان فهو إذا دليل التعامل وسوء الطوية . ومن ذلك ما كتبه الدكتور في ترجمة ابن مسكويه (١٤٦/٢) : « قد أولع التوحيدي بمهاجمة ابن مسكويه . ورماه بمدح الجود باللسان ، وإيثار الشح بالفعل ، وادعاء الحكمة ، والتكلف في الأخلاق . ولتنظر كيف يقول : قال لي مسكويه مرة : أما ترى الى خطأ صاحبنا ابن العميد في اعطائه فلاناً ألف دينار ضربة واحدة ! لقد أخاع هذا المال الخطير فيمن لا يستحق . فقلت بعد ما أطال الحديث وتقطع بالأسف : أيها الشيخ ، اني أسألك عن شيء واحد فاصدق فانه لا مندب للكذب بيني وبينك : لو غلط صاحبك فيك بهذا العطاء وبأضعافه وأضعاف أضعافه أكنت تخيله في نفسك مخطئاً ومبذراً ومفسداً أو جاهلاً بحق المال ؟ أو كنت تقول : ما أحسن ما فعل ، وليته أربى عليه ! فان كان الذي تسمع على حقيقته فاعلم ان الذي يرد ورد مقالك إنما هو الحسد أو شيء آخر من جنسه ، وأنت تدعي الحكمة وتتكلف في الأخلاق ، وتزيف الزائف وتختار المختار ، فافطن لأمرك ، واطلع على شرك وشرك » طار الدكتور فرحاً بهذا الحديث ونقله ضربتين (في ص ١٣٧ وفي ص ١٤٧) وعقب عليه في الأولى بقوله : « ولو انه حاسب نفسه بمثل ما حاسب به ابن مسكويه لرأى ثورته على أهل زمانه تأخذ وقودها من قلب حاسد جقود » وعقب في الثانية بقوله : « ونحن نعرف من هذا التعامل من جانب التوحيدي ، فقد كان شديد الحقد على المجدودين من أهل زمانه وخاصة من اتصلوا بالملوك والرؤساء . ولنا أن نصيف الى ذلك نجاح ابن مسكويه في حياته العملية فقد كان الرجل فيما يظهر متين الأخلاق ، ومتانة الخلق قوة مرعية يرعد لها الأدياء المساكين الذين ابتلوا بالطمع في هدايا الملوك والوزراء وألقوا التزلف والتودد الى أقطاب المال والجاه . والأديب الذي يعتمد على نفسه وعلى خلقه وعلى كفايته الأدبية يعيش

في الأغلب غريباً بين معاصريه من الأدباء ، فليس عجيباً أن يتعامل أديب
متشرد أفاق كالتوحيدي على أديب موفق مطمئن يعيش كابن مسكويه . ولو
شئنا لأضفنا نزعة ابن مسكويه الفلسفية فهي كذلك من أسباب حقد التوحيدي
عليه فقد كان التوحيدي واسع الثقافة إلى حد مذهش ، وكان يطعم في التفرد
بالسمعة العلمية والأدبية والفلسفية بين رجال ذلك العهد . « ليس فيما قاله أبو حيان
لابن مسكويه وهو يحاوره في جائزة ابن العميد تحامل دفعه إليه الحسد والحقد
كما يقول الدكتور ، وإنما فيه الصدق والانصاف اللذان يحمد عليهما أجل الحمد .
أما الصدق فلأنه صارخ ابن مسكويه برأيه ، وأبان له خطأ في لوم ابن العميد
على إجزال عطيته إن رآه أهلاً لها . وأما الانصاف فهي دفاعه عن تصرف
ابن العميد مع ما بينهما من ألوان العداوة وصنوف الشحناء وإن كانت
هناك حسد وحقد فيجب أن يوصف بها ابن مسكويه الذي حسد صاحب
الجائزة على جائزته ، وثارت ثائرتة على صاحبه ابن العميد وثار منه على ما بينهما
من صفاء وولاء . ومع هذا يصفه الدكتور بأنه متين لا خلاق ! . يصف التوحيدي
بالحسد والحقد والتحامل ! وهذا تحامل عنيف واسراف في اختلاق المحاسن
والمساوي وتوزيعهما وفق ما تشبیه النفس المفرضة ، (يمليه الهوى الجورح . وقد
دفعه تحامله لي أن يصف التوحيدي بأنه أديب متشرد أفاق ألف التزلف
والتودد إلى أقطاب المال والجاه قد تحامل على ابن مسكويه لأنه أديب مطمئن
العيش قد ائتمد على نفسه وعلى خاتمة ، وعلى كفايته الذاتية ولم يطعم في هدايا
الملوك والوزراء . وليس ذلك من الحق في شيء فقد تزلف ابن مسكويه وتودد
إلى أقطاب المال والجاه ، وعاش ما عاش على مال الأمراء والوزراء الذين صحبهم
وعمل لهم : خدم الوزير المهلي ولما توفي سافر إلى ابن العميد وظل في خدمته
حتى قضى نحيبه فاتصل من بعده بآبته أبي الفتح ابن العميد ، ولما دالت دولته
سارع إلى عضد الدولة بن بويه . وهكذا كانت حياته سلسلة متصلة الحلقات

في خدمة الأمراء والوزراء . فلا يفضل أبا حيان من تلك الناحية ولكن الهوى
الغلاب يسبغ على من يشاء ما شاء من الصفات والميزات وإن لم تثبت للنقد إلا
بمقدار ما يلقفها . ولعل أعظم دليل على إغراق الدكتور في التحامل على أبي حيان
وإسرافه في ظلمه ما عقب به على رأي ابن خلكان الذي نقله عنه (١٩٦/٢)
رؤى ابن خلكان أن ابن نباتة السعدي مدح ابن العميد بقصيدة مطامها :

برح اشتياق وإدكار ولهب أنفاس حرار

ولما تأخرت صنته عنه شفعها بأخرى ، وأتبعها برقعة فلم يزد على الإهمال
فضاق بذلك ذرعاً ودخل عليه فأغلظ له القول حتى قال له : إن الغني إذا مطلق
لثم فغضب ابن العميد وقال : ما استقدمتك بكتاب ، ولا استدعيتك برسول ،
ولا سألتك مدحي ، ولا كلفتك تقريري . فقال : صدقت أيها الرئيس ، ولكن
جلست في صدر ديوانك بأبينتك وقلت : لا يخاطبني أحد إلا بالرياسة ، ولا ينازعني
خلق في أحكام السياسة . . . فكأنك دعوتني بلسان الحال ولم تدعني بلسان
المقال . فثار ابن العميد مغضباً ، ولما سكنت عنه الغضب التمس له يعتذر إليه
فكأنما غاص في سمح الأرض وبصرها . قال ابن خلكان بعد ذلك : « ثم إني
وجدت هذه القصيدة وصورة هذا المجلس منسوبين إلى غير ابن نباتة ، وكشفت
في ديوانه فلم أر هذه القصيدة فيه ، ثم وجدت في كتاب مثالب الوزيرين
لأبي حيان التوحيدي هذه القصيدة لأبي محمد عبد الرزاق بن الحسن المعروف
بأبي السياب اللغوي المنطقي الشاعر ، وهذه الخطابة لشاعر من أهل الكرخ يعرف
بموته والله أعلم » . وعقب الدكتور على هذا بقوله : « ونحن نأسف على أن لم نتمكن
من الاطلاع على مثالب الوزيرين ولو أتيتح لنا الاطلاع عليه لاستطعنا تخطئة
ابن خلكان فأننا نجزم جزمًا قاطعاً أن هذا المجلس من صنع التوحيدي ، ولا يضيرنا
أن النسبة لم تصح بطريقة علمية فأننا نعرف التوحيدي معرفة قوية لطول
ما صاحبناه وعاصرناه . ولو أقيمت جملة من كلامه في أكادس من الورق لميزناها

لأول نظرة ، فليكن الشاعر من يكون ، وليكن المخاطب من يكون فان واضح المجلس هو التوحيدي على كل حال . ولا يبقى الا أن نرجع أنه أداره على ابن العميد لا على غيره لان هذه الحفيظة ما كانت لتثور في هذه القوة على رئيس غير ابن العميد الذي شغل بثقله وتجزئته حيناً من الزمان» ولست أدري ما الذي يستفيدة الدكتور من الاطلاع على هذا الكتاب في تخطيطه ان خلكان ولا في ماذا يخططه ؟ أبكذبه في أنه رأى القصيدة فيه منسوبة لابن السياب اللغوي والمخاطبة للشاعر الكرخي ؟ لا سبيل الى تكذيبه في ذلك فتي ماذا يخططه إذن ؟ لست أدري وأعتقد ان الدكتور نفسه لا يدري ! ثم يجزم الدكتور جزماً قاطعاً بأن المجلس من صنع التوحيدي مع اعترافه الصريح بأن نسبته إليه لم تصح بطريقة علمية ! وهذا دليل وهاج علي ان الدكتور لا يقيم للعلم وزناً ولا يسلك سبيله إلا إذا وافق ما يزينه شيطان الاعجاب ، أما إذا خالف عن أمره ، ولم يؤيد منطق الهوى فانه يتنكبته فخوراً ، ويتبع الظن الذي يغني - عنده - عن العلم والحق كل الغناء . ولا تثريب عليه من متابعة هذا الظن الذي بناهضه العلم ولا يقره بحال من الأحوال فانه - يزعمه - يعرف التوحيدي معرفة قوية لطول ما صاحبه وعاشره ، ومن أدري - بالصاحب من صاحبه ، وأعرف بالعشير من معاشره . ولو كان لهذا الادعاء العريض نصيب من الصدق لما أسرف في ثلب أبي حيان ووقف منه موقف العدو الذي لا يرقب في عدوه إلا ولاذمه ، ولو راجع عقله ، وفاتش ضميره ، ونهى النفس عن الهوى لفضى في أمره بالحق والعدل كما يصنع العلماء المنصفون .

(القاهرة)

السيد أحمد صقر

المدرس بمدرسة اللبنة الفرنسية
بمصر الجديدة

مخطوطات ومطبوعات

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة

تأليف أبي الحسن علي بن إسام الشنتريني المتوفى سنة ٥٢٢ هـ

القسم الرابع - المجلد الأول طبع في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

في القاهرة سنة ١٣٦٢ هـ ١٩٤٥ م في ٢٣٨ صفحة

لا تزال كلية الآداب في جامعة فؤاد الأول توالي نشر أجزاء كتاب الذخيرة بعناية لا يصدر مثلها عن غير أساتذة محنكين . ويحتوي هذا الجزء على سيرة أبي العلاء صاعد بن الحسن البغدادي وثوره وشعره وأخباره مع المنصور بن أبي عامر وأخبار أبي مروان عبد الملك بن شبة وأخبار دولة ابن أبي عامر وابنه بعده وأخبار محمد بن عبد الواحد البغدادي الدارمي وصليمان بن محمد الصقلي وثابت بن محمد الجرجاني وعبد العزيز بن محمد السنوسي إلى أمثالهم من العلماء الطائرين على الأندلس من المشرق وغيره وفي هذا الجزء أيضاً جملة من أخبار بني ذي النون وسيرة محمد بن شرف ومنشوره ومنظومه وأخبار ابن السقاء القرطبي وشعره وأبي الحسن علي بن عبد الغني الكفيف المعروف بالحصري .

وفي هذا الجزء وصف وإعذار (ختان) حفيد المأمون يحيى بن ذي النون وما جاء فيه في أكرام الطبقات في هذا الحفل : « لما فرغت تلك الطائفة جيء بهم إلى المجلس المرسوم لوضوئهم ، وقد فرش أيضاً بوطاء الوشي المرقوم بالذهب وعلقت فيه ستورٌ مثقلةٌ بمائلة فأخذوا مجالسهم منه وناولهم الوصفاء الطائفون بهم رفيع النقادات والذرائر المطيبات في الأقداح والأشناندانات الفضيّات المحكمة الصناعات كادت تغنيهم بطيبها عن الغسل ثم أدنى إليهم إثر ذلك الوضوء في

أباريق الفضة المحكمة الصنعة يصبون على أيديهم في طسوس الفضة المائلة لأباريقها في الحسن والجلالة فاستوعبوا الوضوء وأوفيت من أيديهم مناديل تتضاءل لها ما عليهم من سني الكسوة ثم نقلوا الى مجلس التطيب افخم تلك المجالس وهو المجلس المطل على النهر العالي البناء السامي السناء فشرع في تطيبهم في محامر الفضة البديعة بفلق العود الهندي المشوبة بقطع العنبر الفستقي بعد ان 'ندبت اعراض ثيابهم بشايب ماء الورد الجوري' يحب فوق رؤوسهم من أواني الزجاج المجدود ، ونياشات البلور المحفورة ثم أدنى اليهم قوارير الميا المحكمة الصنعة الرائعة الهيئة قد أترعت بالفوالي الذكية ، النامة بسرهما قبل الخبرة ، المتخذة من خالص المسك التبتى ومحض العنبر المغربي ، لأم بينهما رشح البان البرمكي فتناولوا من ذلك حتى لا فطر سيالهم ذوبانا ، واعادت شبيهم شبانا فلما استتم هؤلاء الخلة نعم يومهم من طعمهم وطيبهم أقيموا للدخول على المأمون . . . ثم وصف القصر والأبهاء ، وما فيها من صور وتقوش . قال ابن حبان (مؤرخ الأندلس) : وذهب المأمون الى تميم تكريم زواره من رجال الأمراء الذين استجفروهم يومئذ لشهود فرحته ، بمشاهدة مجلس خلوته ، وتنعيم اسماعهم بلذات اغانيه ، وقد علم ان فيهم من يرخص في التبيذ ولا يسوغ لهم نعيم دونه ، فاحتمل حرج ذلك مبالغة في تأنيبهم ، فاحتفل لهم في مجلس قد نُضد وأحضر فيه جميع آلات الألس ، فلما استوى بالقوم محاسنهم واشترأبوا الى الأخذ في شأنهم ، قرب اليهم أطعمة تنورية ، جوامد وباردة ، وصنوفاً من المصوص والأشربة والطبايح ، موائد مترعة اتخذوها بسطاً لتبيذهم ، ثم انتثروا الى الشراب وتقوسهم به صبة ، وقد مدت ستارة الفناء لأهل الحجاب ، ونظمت نوبة المقتنين زمراً فهاجوا الإطراب واستحقوا الألباب ونقلوا الطبايع فجاءوا بأمر عجاب . . .

يوسف شلحت ؛ علم الاجتماع الديني

قد يكون من الصعب جداً في الوقت الحاضر ان يؤلف العلماء كتاباً في علم الاجتماع العام مستوفياً جميع الشروط العلمية الصحيحة . وقد يكون أصعب من ذلك ايضاً ان يضعوا كتاباً صحيحاً مضبوطاً في علم الاجتماع الديني . والسبب في ذلك ان حقائق علم الاجتماع لم تصبح بعد نهائية كحقائق العلوم الرياضية والطبيعية . فاذا اراد العالم ان يعرض مسائلها بأسلوب علمي واضح ، ويرتب مبادئها وقوانينها . لقي في ذلك عناء كبيراً لفقدان كثير من الحلقات المتوسطة ، ولعدم استقرار الحقائق الاجتماعية على شكل نهائي ثابت . ان علم الاجتماع حديث النشأة ، وموضوعه كما قال (اوغوست كونت) اكثر موضوعات العلوم تعقداً واشتباهاً . والموضوعات المتقدمة تحتاج الى طريقة علمية مضبوطة وقواعد ثابتة دقيقة . فاذا أخذ العالم بأصل من أصولها ، او أهمل شرطاً من شروطها ، تاه في يدها الوهم وضل سواء السبيل . وقد يظن انه ادرك ضالته المنشودة وبلغ العلم اليقيني ، وهو في الحقيقة لم يدرك الا البرق الخلب . ان السيارة المفككة المحاور تكفي للسير بسرعة في الطريق المعبدة ، اما الطريق الوعرة فتحتاج الى سيارة محكمة التركيب قوية المحرك . لذلك كانت المباحث الاجتماعية أحوج الموضوعات العلمية الى طريقة مضبوطة واستقصاء تام ، ولذلك ايضاً كان أقل خطأ في الاستقرار والتحليل باعثاً على التعليل الفاسد والتضليل .

وما يصدق على علم الاجتماع العام ينطبق ايضاً على علم الاجتماع الديني ، لا بل هو في هذا العلم اظهر واين . لأن موضوع علم الاجتماع الديني كما قال (دوركهيم) ، انما هو البحث في العقائد والفرائض والأفعال المتعلقة بالاشياء المقدسة . فيه يميز الحرام من الحلال ، والمقدس من غير المقدس ، والطاهر من النجس . وهي أمور منقولة اليها بالتربية والتقليد والتلقين . لا حيلة لنا في الأخذ بها أو في ردها . فقد نشأ على العقائد الدينية الموروثة كما قال الغزالي بتقليد

والوالدين والمعلمين . ثم قد يتحرك باطننا الى طلب اليقين فتتكشف لعقولنا حقيقة الدين . انكشافاً لا ريب فيه . فنرضى بها ونطمئن اليها . وقد يتسرب الشك الى قلوبنا فنردّها ، وتقاوم الرأي العام بخروجنا عليها ، الا انها في جميع هذه الأحوال لا تخلو من صفة الجبر . بل تفرض علينا فرضاً ، وتضغطنا ، وتضطرنا الى اتباعها . وهذا يدل على ان الأمور الدينية ليست من الأمور الخارجية المستقلة عن نفوسنا بل هي خارجية وداخلية معاً . ومتى كانت الأشياء الخارجية ممازجة للارادات والمواقف كان اتباع الطريقة العلمية فيها اصعب وادق .

ومع ذلك فان علماء الاجتماع لم يعجزوا عن السير في طريقهم الذي انتهجوه فقرروا اولاً ان الظواهر الاجتماعية اشياء خارجية غير مسيرة بارادة الانسان ، وانه لا يجوز الاقتصار في تحليلها على العوامل النفسية الفردية ، وانها خاضعة لقوانين طبيعية ضرورية كغيرها من الظواهر . ثم انهم سلكوا في بحثهم عن هذه القوانين طريقة علمية صحيحة ، مبنية على الاستقراء والتحليل ، والاستقصاء والمقارنة . وساروا في ذلك قدماً حتى بلغوا بعلم الاجتماع ، خلال نصف قرن ، درجة من الضبط ، قلما بلغها علم من العلوم في نشأته الأولى . وهذا يبشر علم الاجتماع بمستقبل عظيم ، قد يكون له في اصلاح الحياة الانسانية اثر عميق ، لأن نطاقه سيكون واسعاً ، تدخل فيه الحياة المنزلية ، والاقتصادية ، والسياسية ، والحقوقية ، والدولية ، والدينية ، والفنية .

لقد اثارت آراء (دور كهايم) في علم الاجتماع بصورة عامة ، وفي علم الاجتماع الديني بصورة خاصة ، ضجة عظيمة مسفلتة بعضهم لقوله بروح اجتماعية كلية مختلفة عن النفس الفردية ، وزعمه ان هذه الروح وجوداً حقيقياً شبيهاً بوجود الدوات الروحانية والعقول المفارقة . وانتقدوه أيضاً لزعمه ان العقائد الدينية والفرائض والأخلاق هي أشياء خارجية ليس غير . ولكن علم الاجتماع قد صحح بعد ذلك كثيراً من هذه الآراء ، فأخذ يبدأ التقيد الطبيعي ، ولا يعتمد على الملاحظة ، والاحصاء ،

والتاريخ ، والمقارنة . ومهما يكن من أمر فإن علم الاجتماع لا ينكر وجود الديانة ، بل يعتبرها أصلاً ضرورياً من أصول الحياة الاجتماعية . وغاية ما يرجوه علماء الاجتماع ان يعللوا نشأة الديانات المختلفة ، ويبينوا مراحل تطورها ، بطريقة علمية وضعية ، من غير ان يتعرضوا للبحث في أصلها السماوي بالنفي او الاثبات . وفي الكتاب الذي جمعه السيد يوسف شلحت دليل واضح على ذلك . وهو فيما نعلم اول محاولة باللغة بالعربية للبحث في نشأة الديانات بطريقة علمية . الا ان هذه المحاولة كغيرها من المحاولات في اللغات الأجنبية ، لم تبلغ بعد درجة العلم اليقيني . ففيها كثير من الآراء والنظريات ، وفيها كثير من التردد والالتواء ، وهي ستثير ، كما قال (دور كهايم) نفسه عن آرائه ، دهشة القراء . وهذا لا ينقص من قيمتها ، بل انه سيدفع الباحثين عن حقيقة الديانة الى الاقتباس منها ، او الى نقدها ، وبيان نقاط الضعف فيها ، للوصول الى ما هو اتم واكمل . ان العلم اليقيني لا يخلق كاملاً كما خلقت (فينوس) ، بل يتكامل شيئاً فشيئاً ، ويتبع في نشوئه مراحل كثيرة منها ما هو تقدم وارتقاء ، ومنها ما هو تأخر والتواء ، ان الأنهار الكبيرة لا تتكون الا من اجتماع الجداول الصغيرة . وحسب مؤلف هذا الكتاب ان يكون احد هذه الجداول .

صميل صليبا

دمشق

الدكتور ولیم سكل ؛ أفتة الحب

قله الى العربية وشرحه الاستاذ أحمد سامح الخالدي ونشره مكتبة فلسطين العلمية

طبع بمطبعة بيت المقدس في القدس عام ١٩٢٦ ، وعدد صفحاته ١٦٢ من القطن الوسط

ليس في الكتب النفسية كتاب هو أمتع ولا أنفع من الكتب المشتملة على وصف الحياة الباطنية . تقرأ الكتاب في ليلة واحدة او ليلتين فيخيل اليك انك في عالم غير هذا العالم ، تطل منه على العواطف المكبوتة والغرائز المكنونة والأحلام المرموقة . ثم إنك اذا اطلعت على ذلك كله أدركت ان كثيراً من أفعالنا وانفعالاتنا

واراداتنا إنما يرجع الى ميل مكبوت أو نزعة مخنوقة دفناها في القلب ثم حلنا بينها وبين العالم الخارجي بحجاب التربية وقيود المجتمع . ولكن هذه الرغبات المدفونة وراء حجاب الشعور لا تموت ، بل تتجمع بعضها فوق بعض ، ثم تمزق أكفانها وتحاول الظهور على مسرح الشعور بمظهر جديد . وقد تطالب بحققها أكثر من ذلك فتثور على الحياة الواعية ، ويتبدى اذ ذاك نزاع شديد بينها قد يؤدي في النهاية الى الجنون .

وفي الكتاب الذي بين أيدينا وصف للأفئدة التي تغطي بها نزعاتنا ورغائبنا المدفونة كقناع العمى الارادي وقناع الحساسية الشديدة ، وقناع الباعث الجنسي ، وقناع التردد ، وقناع الخوف من طيب الأسنان ، واردة المرض والقيح ، وضعف الارادة واختيار المهنة وغيرها سلك المؤلف في تحليلها طريقة أستاذه (فرويد) الذي أرجع كل شيء الى الغريزة الجنسية .

فمن الأمثلة الدالة على العمى الارادي ضيق المجال البصري عند بعضهم وتعاميهم الارادي عن رؤية الأشياء ، وانصرافهم الى التحديق في فكرة محدودة راسخة ، ورغبة بعضهم الآخر في كل شيء حتى يشبهوا دوامة الماء التي لا تعرف الوقوف . فهم ابداء في شغل شاغل يخشون ان تمر بهم ساعة فراغ ، ويشغلون انفسهم ليمنعوها من التفكير فيما لا يريدون أن يفكروا فيه .

ومن الأمثلة الدالة على الحساسية الشديدة حال الذين تتوتر أعصابهم فيتألمون من أقل ضجة ولا ينامون الا اذا سكن كل شيء . وقد يفرون الى القرى طلباً للراحة فلا تعرف الراحة سبيلاً الى قلوبهم ، لأن آلامهم ناشئة عن سبب داخلي ، يخشون تمتع صدورهم ويفرقون من سماع أصوات غريبة تدوي في آذانهم ، « بل من رنين او طنين اودق مستديم يشبه دق الأجراس » (ص ٤٢) .

ومن الأمثلة الدالة على اقنعة الباعث الجنسي وقوع بعض الناس في امراض تعجز عن تحليل اسبابها ، وتكون امراضهم هذه بمثابة قناع يغطون به حبيهم .

وأقنعة الحب ثلاثة : الحياء ، والشوق ، والاحتقار . أما الحياء فهو اعتراف بالغريرة الجنسية واختفاء لباعث الحب . وأما الشوق فهو دليل على الخوف من الذات . وله أشكال مختلفة ترجع جميعها إلى أصل نفسي يحوله المريض إلى إحساس . فالسيدة العسة يحبها تذكر أسباب شقتها فتحوّلها إلى ضيق في الصدر ، وأوجاع في القلب . والسيدة التي تذكر زوجها وترغب في . وته من نوبة صرع قد تصاب في نفسها بخوف مرضي يشبه هذه النوبة . ومثل هذا كثير فهناك فتيات كن يعشقن رؤساءهن ، وطالبات كن يعشقن اساتذتهن ، ونساء كن يحبن اصدقاء رجالهن ، أخفين اسرارهن حتى عن أنفسهن فأصبن بآلام القلب وضيق النفس العصبي أو الربو أو بعض الاضطرابات العضوية الأخرى . وأما الاحتقار فهو رغبة نهر عنها تعبيراً سليماً فكم من أوجاع في المعدة ليست سوى اضطرابات عصبية يمكن ارجاعها إلى احتقار لا شعوري . ان بعض الفتيات اللواتي يمتنعن فجأة عن أكل اللحوم يحتقرن كل ما يمت إلى الجسد بصلة ، فيقلب احتقارهن للجسد إلى احتقار للغذاء . وأكثر النباتيين المتعصبين انما يرجعون تعصبهم إلى مثل ذلك . وقد وصف المؤلف كثيراً من أقنعة اله الحب كالأرق ، وجنون السرقة ، وجنون الحريق وغيرها . قال انه عرف طبيباً عيناكأس جمعية لمقاومة الأمراض التناسلية ، واستاذاً فاضلاً كان قد اخذ على نفسه ان يفتش جميع الخازن التي تباع يومياً مخلة بالآداب جاءه يوماً وهو يرتعش من شدة القلق لسبب ما كان شائناً مع إحدى الفتيات ، وقاضياً كان عديم الشفقة على الذين يتخلون بالآداب العامة عثر عليه يوماً مقتولاً في مكتبه لارتكابه حادثة مخالفة للشرف .

وفي الكتاب أمثلة كثيرة غير هذه الا انها لا يتخلو من المبالغة والتعميم . فمن هذه المبالغات الأدبية قول المؤلف ان الطبيب الجراح ليس سوى قاتل أعد نفسه لمطالب المدينة ثم صعد يواعث الوحشية إلى ميول سامية . وكذلك المتهاك في حب النساء يصبح طبيباً مولداً . ان المغرم بالأقدام الصغيرة يصبح صانع

أحذية ، كما ان عاشق الأنامل الجميلة يختار لنفسه مهنة قص الأظافر ، وإذا كان رساماً قصر عمله على رسم الأيدي ، وقد يصبح أيضاً صانع قفازات الى غير ذلك من الأمور التي تصدق على بعض الأشخاص ولا يجوز تسميها وإطلاقها على كل انسان . فالغريزة الجنسية عامل قوي مؤثر في سلوكنا ، الا انها لا تنفرد وحدها بالتأثير .

وقد نقل الأستاذ سامح الخالدي هذا الكتاب الى اللغة العربية بأسلوب واضح وشرح بعض رموزه . شرحاً مقتضباً ثم صدره بمقدمة وافية في التحليل النفسي . ولكن أسلوبه في الترجمة لا يخلو في بعض الأحيان من التردد ، وشرحه المقتضب لا يخلو من التكرار .

ج . ص



مجمع البيان في تفسير القرآن

ما أشد حاجتنا نحن معشر أهل السنة الى أمثال هذه التفسيرات الموزعة عليها عند اخواننا علماء الشيعة الأمامية ولا سيما ما ألف منها قبل العهد الصفوي . فكم يكون زميلنا الأستاذ عارف الزين صاحب مجلة العرفان موفقاً في طبع هذا التفسير ونشره . مؤلف التفسير من اكابر علماء الشيعة الأمامية في القرن السادس (توفي سنة ١٠٤٨ هـ) واسمه (ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي) نسبة الى بلاد طبرستان . والتفسير يقع في عشر مجلدات غير ان الناشر اصدره في خمس جاعات كل جزئين في جلد واحد . مجموع صفحاتها ٣٠٠٠ من القطع الكبير . وقد وقف على تصحيحها فئة من الأفاضل . وطبعت سنة ١٣٣٣ هـ في مطبعة العرفان بصيدا . وللكتاب ثلاث مقدمات (١) في ترجمة المؤلف بقلم العلامة محسن الأمين (٢) بعنوان كلمة في التفسير بقلم زميلنا الشيخ احمد رضا العاملي (٣) مقدمة المؤلف الطبرسي في القرآن وآياته وقراءته وأساليبه وعلومه وفضله وما يستحب من تزيين الصوت بقراءته . وقد تضمنت هذه المقدمات ما لا يحصى من الفوائد . والمؤلف اذا ذكر الآية فصل القول فيها تفصيلاً حسناً

مميزاً بين المطالب التفسيرية بعنوانات خاصة : (القراءات) (اللغة) (الاعراب) (الحجة) (المعنى) . ويريد بالحجة بيان جميع القراءات المختلفة . وقد اعجبنا من المفسر توسعه في تحليل الكلمات اللغوية ومرد الشواهد عليها . كما اعجبنا إيراد معنى الآية إيراداً وسطاً لا هو بالمسهب المعلى . ولا بالمقتضب المخل . بعبارة سهلة متينة لا تكلف فيها كما هو شأن الفحول من علمائنا الأقدمين رضي الله عنهم . وقد قال العلامة محسن في مقدمته : اتفقت الأئمة على توثيق المؤلف وتجرده وغزارة مادته وقد جمع في تفسيره أنواع العلوم وما تشتت من الأقوال مع الاعتدال وحسن الاختيار في تلك الأقوال والتأدب وحفظ اللسان مع من يخالفه في الرأي بحيث لا يوجد في كلامه شيء ينفر الخصم أو يشتمل على التهجين والتقيح . وقل ما يوجد في المصنفين من يسلم كلامه من ذلك . وانظر الى ما قاله في مقدمة كتابه (الكاف الشاف في مختصر الكشاف) في حق صاحب الكشاف وما فيه من التعظيم له والثناء البليغ على علمه وفضله — تعلم ان المفسر الطبرسي من الفضل والأصاف وطهارة النفس في مرتبة عالية انتهى وبالجملات فان هذا التفسير من امتع التفاسير واجمعها لفنون العلم واحسنها ترتيباً لها . وإيراداً لمسائلها ، ووصف الشيخ محسن للمؤلف (بالاعتدال والتأدب وحفظ اللسان مع من يخالفه في الرأي) حق وهو من أجل الأوصاف التي يجب ان يتحلى بها رجال الفرق الاسلامية . وقد شاهدنا اثر اعتدال المؤلف وتأدبه في ص ٣٢ من الجزء الخامس عند تفسيره لقوله تعالى (إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأبدء بجنود لم تروها) وقد أرجع المؤلف ضمير (عليه) الى النبي ﷺ ثم قال ما نصه (وقد ذكرت الشيعة في تخصيص النبي في هذه الآية بالسكينة — (اي دون ابي بكر) — كلا ما رأينا الاضراب عن ذكره أخرى لثلاثاً بنفسنا ناسب الى شيء) اقول ولعمري ان الاضراب عن ذكره حسن . وأحسن منه عندي ان لا يضرب عنه بل يأتي عليه ثم يخاطب الفريقين الأخوين بتهجين هذه الأبحاث المتكفة في تفسير القرآن الذي ألف بين قلوب المسلمين

فقام المسلمون وخالفوا القرآن: ففرقوا ذات بينهم . وجزوا أنفسهم بأيديهم إلى حينهم .
وقال المؤلف في تفسير الآية نفسها قولاً نوافقه عليه كل الموافقة . وهو ان بعضهم
جوز ان تكون الهاء في (عليه) راجعة الى ابي بكر (رضي الله عنه) على معنى
ان الله ألقى في قلب ابي بكر ما جعله يسكن ويهدأ بعد الجزع . قال المفسر
الطبرسي (وهذا بعيد لأن الضمائر المذكورة قبل (عليه) وبعده تعود كلها الى
النبي بلا خلاف : (الا تنصروه فقد نصره) (إذ أخرجه) (لصاحبه) — وأيده)
فكيف يتخلل هذه الضمائر ضمير (عليه) المائد الى غير النبي انتهى ما قاله المؤلف
وقد اصاب فيه كل الاصابة : لأن كلام الله اذا ذاك يبقى حسن الرتل . متلائم
الأجزاء . لا تشاخص فيه ولا تفكك ولا خروج عن الصد . والخروج عن الصد معيب
اذا وقع في كلام الخطباء . وحديث الجلساء . فكيف تقرأ في كلام رب الأرض والسماء .
وباليت المؤلف مذ قال هذا القول هنا اي في آية (فأنزل الله سكينته عليه)
إفقاله في آيات (يا نساء النبي استن كما أحد من النساء . . . فلا تخضعن) أي يا نساء
النبي (وقلن) أي يا نساء النبي (وقرن) أي يا نساء النبي (ولا تبرجن) أي
يا نساء النبي (وأقمن الصلاة) أي يا نساء النبي (وآتين الزكاة) أي يا نساء النبي (
وأطعن الله) أي يا نساء النبي (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
ويطهركم تطهيراً) أي يا محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين (واذكون ما يتلى
في بيوتكن) أي يا نساء النبي) : فقد قال المؤلف اختلفوا في مراد الآية
(بأهل البيت) : فقال عكرمة أراد أزواج النبي (ﷺ) لأن أول الآية
. متوجه اليهن . وقال ابو سعيد الخدري وانس بن مالك ووائلة ابن الاسقع وعائشة
(إحدى الأزواج المخاطبات أولاً) وام سلمة (إحدى الأزواج المخاطبات
أيضاً) ان الآية (اي آية) انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس المتخللة في
الآيات) مختصة برسول الله (ﷺ) وعلي فاطمة والحسن والحسين) ثم ذكر
المصنف أحاديث ذكر فيها ان المراد بالآية سادتنا الخمسة المذكورين وختمها بقوله :

(فتبت ان الآية مختصة بهم لبطلان ! تعلقها بغيرهم . ومتى اعتُرض بأن صدر الآية وما بعدها في الأزواج فالقول فيه : إن هذا لا ينكره من عرف عادة الفصحاء في كلامهم ، فانهم يذهبون من خطاب الى غيره ويعودون اليه ، والقرآن من ذلك مملوء . وكذلك كلام العرب وأشعارهم ا هـ قول المؤلف .

المصري

عبد الله فكري

عبد الله فكري (عصره) ، (صباه) ، (أدبه)

تأليف محمد عبد الغني حسن بمقدمة كتبها عبد الحميد العبادي بك

وقد طبع في مصر سنة ١٤٦٦ م

أهدي الى مجتمعا هذا الكتاب في ترجمة حياة زعيم من كبار زعماء النهضة الأدبية المصرية . وقد شعرت وانا اتصفحه بماطفة هزت نفسي وهاجت مسرتي واذكرتني ايام الحداثة والاهتمام بالطلب والتحصيل : ذلك ان صديقاً لي في ذلك العهد يعرف مني الحرص على مطالعة ما ينشر من الآثار الجديدة في العلم والأدب أطلعني على كتاب صغير لا يزيد على حجم الكف طبع حديثاً في مصر (أى في سنة ١٣٠٦) باسم (الرحلة البعلبكية) لمنشئها (سعادة عبد الله فكري باشا) فلم اكتف بمطالعة هذه الرحلة إعجاباً بيا وحرصاً عليها بل امرعت الى نسخها وما زالت نسختها الى اليوم بين أوراقى . وكنت اقرؤها على الاخوان المرة بعد المرة واستثير إعجابهم بما تضمنته من براعة في الأسلوب . وحذق في السجع . ولطف اشارة الى الملح العلمية والنكت الأدبية . وكنا في ذلك العهد ندرس الأدب القديم ونرى الحاجة ماسة الى تطوره والتجديد فيه . كما تنبهت عقولنا الى شيء يقال له الأدب الحديث أو العلوم العصرية ووجوب الاهتمام بها لنتم لنا نهضة صحيحة . فرأينا في تلك الرحلة ما دلنا على ان صاحبها من أولئك الذين يعملون على التجديد والنهوض : فهو يحاول تفكيك قيود الأدب القديم والأخذ به نحو طريقة حديثة

تجمع بين منانة اللغة العربية . وصحة أسلوبها — وبين استعمالها في الفنون العصرية والمطالب الاجتماعية الحديثة . غير أنه لم يُتَحَ لعبد الله فكري التملص بتاتاً من السجع الموروث . وكان يشابهه على هذا التجديد في الأدب زعيم آخر من وزراء مصر هو (علي باشا مبارك) مؤلف كتاب (عالم الدين) الذي لم يصدر منه سوى أربعة أجزاء . وقد كنت قرأته لأول ما صدرت طبعته في الاسكندرية . فكنت أجد فيه وفي صاحبه ما وجدته في الرحلة البعلبكية ومنتهى من حيث محاولتهما التجديد في الأدب العربي وسلوك منحنى عصري فيه . وكان في الاستانة لذلك العهد أناس آخرون من أبناء العرب بنحون منحاهما ويعملون على شاكلتهما وهما (الطويراني) و (السلاوي) واشياعهما .

وقد بقي هذا الأدب الجديد المسجع موضع اهتمام القراء حتى ظهرت جريدة العروة الوثقى التي كان ينشؤها استاذنا (محمد عبده) في باريس على عين من السيد (جمال الدين الأفغاني) فكان هذا مبدأ عهد جديد في أساليب الانشاء العربي بتوجيه الأدب عامة الى خدمة الاجتماع الاسلامي والسياسة القومية وانعاش الاخلاق الدينية والدعوة الى الاصلاح في هذه المطالب الثلاث . فلا جرم ان كان هؤلاء المنشئون من كتاب العرب هم زعمائنا في هذا الفتح الجديد وتمهيد الطريق اليه . والكتاب الذي أمامنا في ترجمة حياة عبد الله فكري فيه الشواهد الكثيرة على ما قلناه من أنه كان مجدداً في (عصره) و (حياته) و (أدبه) وقد فصل هذا كله الفاضل (محمد عبد الغني حسن) مؤلف الكتاب احسن تفصيل . وابرده في اجمل أسلوب . والطف تعبير : والكلام في ترجمة المترجم يتصل بالكلام في حالة الجيل الماضي الذي عاش المترجم بينهم . وكانوا تلاميذ مدرستين : مدرسة التعليم الديني . ومدرسة التعليم المدني . ولكل من المدرستين كتب وطرائق واساليب . فوصف المؤلف بكل هذا وحده موقف المترجم من تعاليم المدرستين . ورجال المدرستين . ثم وصف اخلاق المترجم وعصاميته وشعره ونثره وآثاره الأدبية . رحلاته الى اوربا وسورية . وذكر اصدقائه

هنا وهناك وهناك ولا سيما علاقته بالشيخ محمد عبده وشهادة الشيخ فيه وتعلق الأمير
شكيب بصدائقه منذ حداثة . قال الأمير (وكان الشيخ عبده شديد الحب
لعبد الله باشا فكري لا يفتأ يذكر محامده وكان يعجبه من شعره قوله
مخاطباً للخديوي توفيق :

(ولو شئت كنت لي زروع وأنعم ومال به الآمال أقتادها قسرا)

(ولكنها نفس فدتك أية تعاف الدنايا انت تربيها مرا)

والكتاب بمجموعه طرفه أدبية لا تقل قراءته . ولا تنتهي فرائده . وللقاري هذا
النموذج منه وقد وصف المؤلف فيه (الرحلة البعلبكية) التي أشرت إليها في
صدر الكلام . ولعل ما في هذه الرحلة أظرف مداعبات المترجم ومضاحكاته . وقد كان
بينه وبين (الشيخ عبد الحميد الخاني) (وهو المخاطب في الرحلة) مكاتبات تدل
على ما كان بين المترجم وبين أعيان دمشق من الحب وخلوص الود . وكان للسيد
الخاني (لازمة) يستعملها في الحديث هي لفظة (المدهش والمدهشات والمنعشات)
فكان اصداؤه المصريون يتندرون بها عليه . ويودعونها رسائلهم إليه . حتى ان
الأستاذ الشيخ محمد عبده كتب إليه من رسالة فقال : (ويهدي إلى حضرتكم
التحيات المدهشات والتسليمات المنعشات حضرات الأساتذة (فلان وفلان) .
وافتح عبد الله باشا فكري خطابه إلى السيد الخاني في (الرحلة البعلبكية) بقوله
(اهدي اليك من منعشات التحيه والسلام ، وتلو عليك من مدهشات الشوق والفرام
ما يجعل إجماله لو اصفه ولا يلزم تفصيله لعارفه) .

وفي هذه (الرحلة البعلبكية) ما فيها من ظرف عبد الله فكري بأدبه وخفة روحه
حتى لقد أرسل نفسه على سجيته مع الشيخ الخاني (ينتقل به من دمشق إلى دمر
إلى الفيحة . ويصف المكاري الذي حمله على حصانه وقد ضلت به السبل . وتشعبت
أمامه الطرق . ولعن الحصان الذي تحته وسبه . وألحق به دينه ومذهبه . ومن
باعه وركبه . وامواته وأحياءه . وعشائره وأحبائه . فلما وصل إلى رأس السوق
(سوق وادي بردي) التمس داراً للمقام والتمس غذاء فلم يجد غير دجاجات اضلتهن .

أبدي الحدثان . وافلتتني مخالب أنسر لقمان قد وعين الطوفان . وتطاول عليهن
تقادم الزمان . فما زلن يصاولن الأيام ويواصلن الصيام . حتى يبسن وسمجن .
وفني عليهن الخطب ولم ينضجن) ثم عاد فشكا في الرحلة تيبس المداد في بعلبك
بقوله (أشكو من هذا المداد الجامد . مالا أشكوه من المكاري البارد) ووصف
توقف القلم عن الجري على القرطاس بقوله (فيقف عن جولانه . وقفة الحمار في
المدار . ويثبت في مكانه . ثبوت المسمار في الجدار الخ

أقول وللشيخ عبد الفتي النابلسي في رحلته إلى طرابلس المسماة الخفة النابلسية
في الرحلة الطرابلسية) وصف للصعوبات والمشاق التي قاماها في تلك الجبال
وعقابيها والأودية ووهادها تشبة في الجملة ما قاله عبد الله باشا فكري في رحلته
البلبيكية وبين الرحلتين ٨٠ سنة .

(ملاحظة) قرأنا في إحدى الصحف المصرية بالأمس ان كتاباً في ترجمة (عبدالله
باشا فكري) ألفه الأستاذ السيد العناني وقدم له الشاعر خليل بك مطران .

المغربي

(من عبقریات نساء القرن ١٩)

جزؤه الأول تأليف السيد يوسف يعقوب مسكوني

طبع في بغداد سنة ١٢٤٦ م

عنى بوضع هذا الكتاب الأستاذ الموما اليه وقد أراد ان يجمع شتات ما تفرق
من تراجم شهيرات النساء المعاصرات فضمن جزؤه الأول ثلاثاً منهن . وكأنه
أراد ان يشير بهذا الجمع الى ان نهضة المرأة العربية لم تكن مقتصرة على طائفة
واحدة من اقوام الأمة العربية وانما النهضة كانت عامة شاملة نساء الطوائف كلها فترجم
للبيدة عائشة التيمورية (المتوفاة سنة ٩٠٢) راضياً بها الى المرأة العربية السنية
ثم للسيدة وردة اليازجي (المتوفاة سنة ١٢٤٤ م) راضياً بها الى المرأة العربية المسيحية
ثم للسيدة زينب فواز (المتوفاة سنة ١٢٤٤ م) راضياً بها الى المرأة العربية الشيعية

والكتاب في ٢٣٦ صفحة وزع المؤلف الكلام فيها على الثلاث توزيعاً يكاد يكون متساوياً . وقد بسط القول فيهن وفي آثارهن وأخبارهن بسطاً شافياً مزيناً بصورتين للمترجمين الأولين عدا مقدمة بقلمه أوجز فيها القول عن نهضة المرأة من حيث هي امرأة : ماضيها وأخلاقها وطباعها والمقارنة بينها وبين الرجل وزواجها وأخيراً (هي تاج الرجل ولكن أين هي ؟)

وانا لشاكرون له سعيه الجميل في وضع هذا التصنيف المفيد وهو موفق الى إتمامه إن شاء الله .

محمد بن محمد

المقري

ضوء في تاريخ التوحيد

البحث الأول

التصوف في نظر الاسلام

تأليف الأستاذ احمد صبري شويبات

أهدى الينا صديقنا الأستاذ محمد افتدي نصيف كتاب « الغوء » ورغب إلى أن انشر في مجلة مجمعنا العلمي الكريم رأيي فيه ، والذي يعم النظر في هذا الكتاب ويسير على ضيائه ، يرى أن عنوانه جزء من أجزائه ، فهو لم يقصر بحثه على التصوف في نظر الاسلام كما يؤخذ من عنوانه ، بل جاوزه إلى النظر في حقيقة التصوف العامة في العالم كله ، وعمد إلى تفسيرها وتجليه غوامضها ، وتعمق عواملها ، وأغراضها بين مختلف الشعوب كما أشار إلى ذلك في طليعة كتابه .

وقد رتب المؤلف هذا الكتاب على ستة أبواب كبرى أدخل في كل باب منها فصلاً تناسبه ، وجعل بعض تلك الفصول أصولاً لمباحث اشتقها منها وبنائها عليها . والكتاب في مجلته يقع في ثلاثمائة وسبعين صفحة بقطع الربع ، وما هي ذي عناوين أبوابه الستة :

(١) نشأة التصوف مع الانسان (٢) فطرة الانسان واحدة وسلوكه مختلف

(٢) منابع الفطرة في الجزيرة العربية (٤) البيت العربي (٥) العقل العربي (٦) الدين العربي .

وأما الفصول التي جعلت أصولاً لغيرها فمنها فصل أصل العالم ، وفطرة البدن السليم ، وفطرة النفس المطمئنة ، وهذه الفصول الثلاثة داخلية في الباب الثالث (منابع الفطرة) .
ومن مباحثه الخلقية ما كتبه تحت عنوان : أم مريضة بطبيعتها ، الضعف العقلي أساس المرض التناسلي ، الفسق من عوامل الانقراض ، مصارع المراهقة ، الشذوذ الجنسي ، الصوفية والشذوذ الجنسي .

هذه مجملات من أبواب الكتاب وفصوله ، وهو في جملة ذم للتصوف عند جميع الأمم ، ورعي لأهله بالفسوق والمروق والضعة والخمول ، وهذا التعميم غير جار على سنة القرآن الحكيم ، الذي يزن بالقسطاس المستقيم ، فالتصوف في أول نشأته بين المسلمين كان زهداً في الدنيا وعرضاً للأدنى وإشارةً للآخرة عليها وجهاداً في سبيل الله وإقامة لميزان الحق والعدل بين الناس ، وعلى ذلك مضى السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان ، ولم يكن اسم التصوف معروفاً لهم ، ثم حدث له هذا الاسم ، ومن بعد أن كان مسمياً نكحاً وزهداً وبعداً عن مظاهر الترف والنعيم ، صار آراءً فلسفية تنقل فيها أهلها إلى القول بالخلول والاتحاد . ثم انقلب إلى شعبة وشعوذة وتغريب بالبسطاء ونزلف للحكام ، واكل لأموال الناس بالباطل .

وكان على المؤلف - وهو يستعرض التصوف القديم والحديث عند جميع طبقات البشر - أن ينوه بمتصوفة الوطن الذين جردوا أنفسهم لخدمته ، واستنفدوا جهودهم في سبيله ، كزعيم مصر سعد ، وكغاندي الهند ، وأن يتناول بدمه من اتخذوا لتصوفهم مواسم ومراسم يطلعون فيها على الناس بأزياء وألوان وهيئات غريبة تشبه في مظاهرها عيد المسافر عند بعض الأمم ! وكان من حق الحكومة الإسلامية التي تدعى إليها وتشارك فيها أن تمنعها لأنها تقام باسم الدين الذي يبرأ منها ، وبعد أهلها من الذين اتخذوا دينهم هواً ولعباً .

وقد وقع المؤلف في أغلاط دينية كبرى ما ندري ما الذي جرّه إليها أوجرّاه عليها ! ، فمنها تعريفه للدين بأنه « تجنب السلوك بما يخالف الفطرة » « أو هو الكيفية التي توحى بها الفطرة السليمة حل المشاكل الانسانية » ص ٤٣ « وهذا دين غير اسلامي ولا سماوي ، لأنه يستمد الإلهام والنظام من الفطرة الانسانية لا من الشرائع السماوية التي أنزلها الله على أنبيائه وأرسلهم بها الى الناس ، وليس منبع الدين النفس ولا مصدره الإلهام ، ولكنه وضع إلهي ، ووحى سماوي ينير للفطر السليمة طريق السعادة العظمى .

(ومنها) تفسيره للسبع المثاني بقوله :

« السبع المثاني - على خلاف رأي الأعاجم من المفسرين - هي الأربعة عشر حرفاً التي أقسم بها الله في أوائل السور في مثل قوله « الم » الخ « ثم قال » : وقد غلط المفسرون بطبيعة عجمتهم حين زعموا أن السبع المثاني هي سبع سور أو سبع آيات الخ . أعلمت أيها القارئ الكريم من هؤلاء الأعاجم الذين فسروا السبع المثاني بأنها سبع سور أو سبع آيات ؟ إنهم أجلاء الصحابة والتابعين كعمرو وعلي وابن مسعود وابن عمر وابن عباس ، وكجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وغيرهم ، واختاره ابن جرير واحتج بالأحاديث الواردة في ذلك ، [راجع تفسير الآية : ولقد آتيناك سبعاً من المثاني ، والقرآن العظيم ، من سورة الحجر ، في تفسير الحافظين ابن جرير وابن كثير] ثم من أين له العلم بأن الله تعالى أقسم بهذه الحروف الأربعة عشر ، وهي ليست إلا حروفاً مفردة ، وحروف القسم الثلاثة ليست منها ؟

حسبي بما أوردت شاهداً على جزمه بما ليس له به علم ، أو بما يعلم خلافه ! ومن الأغلاط اللغوية وإتيانه بكلمة « فقط » في غير موضعها كقوله ص ٥٤ تقوم فقط على غير الفطرة وص ٨٣ لا يؤدي فقط إلى إنهاك قوى الجسم وإضعافه و ص ٧٣ ولكننا نفسر فقط ما اشتهر من رأي العرب في الجن ، والصواب أن تكون « فقط » في آخر هذه الجمل الثلاث ، فيقال : تقوم على صورة الفطرة فقط الخ كما هو ظاهر وجملته القول : انا نرجو أن يكون هذا الكتاب داعياً الى الأخذ بعمالي الأمور ، وترك مفساها .

محمد بهجة البيطار

مختصر تاريخ الحضارة العربية

تصنيف الأستاذين راتب الحسامي وجورج حداد ، في (٥٤١) صفحة من القطع المتوسط يتخللها بعض الصور . وهو من منشورات دار البقعة العربية بدمشق . حاول الأستاذان في هذا الكتاب اختصار تاريخ الحضارة العربية في مختلف نواحيها . فبحثا في إدارة الدولة الإسلامية وحياتها الاجتماعية والاقتصادية وحرركاتها الفكرية والفنية . وقد أدركا : « بأن وضع مثل هذا الكتاب ليس بالأمر السهل نظراً لاتساع موضوعه ووفرة مادته ، خصوصاً والابحاز والاختصار أصعب في مثل هذه الأبحاث من التطويل والاسهاب » . ويلبس القاري في كل فصل من فصول هذا الكتاب أثراً لهذه الصعوبات ، ويتبين له ما بذله المصنفان من جهد للتوفيق بين حاجة الطالب في أفقه المحدود ورغبة المطالع الطامع في زيادة المعرفة والاستفادة .

وهذا الكتاب هو غني بمادته ، واسع بأبحاثه . والذي كنا نرجوه لو تجنب الأستاذان في أبحاثهما بعض المسائل الخلافية والتوسع فيها — لا سيما فيما جاء في فصلي الحياة الفنية والحياة الفكرية — لأننا العثار وسيل الكتاب من الزلات والأخطاء والجدل التي تشوش على التلميذ ولا ينتفع بها . ولا ننسى ان ما يصح بحثه ومعالجته خارج النطاق المدرسي يحسن ان لا نقسامح به في الكتب المدرسية . وقد عثرنا على أخطاء تشير الى اهمها . فقد جاء في :

- ص ٢٣ شاب من العباسيين اسمه عبد الرحمن الخ . وصوابه شاب من الامويين .
 ٨٦ محمود الزنكي المعروف بالملك العادل . وصوابه محمود بن زنكي المعروف بالملك العادل هو سيف الدين ابوبكر بن ايوب ولبس نور الدين .
 ١٤١ بجاية في الأندلس وصوابه على ساحل افريقية .
 ٢٥٩ زعموا ان قصر المشق من بناء الفساسنة والصواب انه من بناء الأمويين .
 ٢٧٥ قصر الخزنة . لا يعرف قصر بهذا الاسم وأعله قصر خزانة الموجود في البلقاء .

ص ٢٢٢ زعموا ان زرياب أو الكندي قد زاد الوتر الخامس في العود . والحقيقة ان الوتر الخامس كان موجوداً في زمن هشام بن عبد الملك اي قبل زرياب والكندي بزمان طويل كما هو ظاهر في الصور التي عثر عليها في قصر الحير الأموي .

≡ ٣٢٦ البرونز . هي كلمة أعجمية وتعريبها الشبه .

≡ ٣٣٢ مدينة ليون باسبانيا ، وصوابه في فرنسا .

≡ ٣٤٠ قالوا : « ويظهر انهم لم يذكروا اسم البلد الذي ضربت فيه النقود حتى اوائل القرن الثاني للهجرة » وهذا لا يتفق مع الحقيقة لأن اسم البلاد قد ذكر على الدراهم الاسلامية منذ الوليد بن عبد الملك .

≡ ٣٤٦ قالوا : « ليس العصر الذي سبق الاسلام عصراً جاهلياً لأن التاريخ ثبت ان الفكر العربي كان آنذاك نامياً ... الخ » وهذا تفسير مغلوط لأن اطلاق اسم العصر الجاهلي على العصر الذي سبق الاسلام يقصد منه الناحية الدينية فقط ولا يشمل الثقافة والفكر .

≡ ٤٣١ Monophysites وصوابه Monophysisme

≡ ≡ Monothelites وصوابه Monothéisme

≡ ≡ وكان مؤتمر خلقدونيا في سنة ٤٥١ لا في سنة ٤٤٨ .

≡ ٤٣٦ قالوا عن مكتبة الاسكندرية « التي اتهم العرب باحراقها » وكان من من أبولي واجبات الاستاذين ان يدفعا هذه التهمة الباطلة عن العرب لأن المكتبة حُرقت قبل دخول العرب مصر بزمان طويل كما حققه وأثبتته عدد كبير من مؤرخي العرب حتى أصبحت اليوم حقيقة لا تقبل الجدل وبعد ان عرف بأنها فرية لفقهاء اعداء المسلمين .

وما نعيبه على هذا الكتاب المدرسي الاسراف في بحث منشأ الحضارة العربية حتى يكاد القارئ ان يتخيلها حضارة ملفقة من اتقاض حضارات جاثمة تحتلها العرب

لا تقسمهم . ولا تنكر بأن العرب قد أخذوا عن سواهم كثيراً من معالم حضارتهم .
 - شأن جميع الأمم في قديمها وحديثها . ولكن العرب قد امتازوا عن سواهم
 في صهر ما أخذوه في بوتقتهم فأبسوه حلة جديدة ضاع معها الأصل ، وكونوا
 منها حضارة لها شخصية واضحة مستقلة كأنها حضارة مبتكرة تتفق مع روحهم
 وعقليهم ودينهم الجديد ، وهذا ابرز ما في الحضارة العربية واروع ما حققه العرب
 وهي الحضارة الوحيدة من نوعها التي تتجلى فيها العبقريّة في كل نواحيها .

جعفر الحسني

الدليل البريطاني لعام ١٩٤٥

تصنيف جوزيف هوبنيكر لندن ١٠٥٢ صفحة

Whitaker's Alinanack

اعتادت دور النشر الكبرى وأحياناً بعض الصحف ان تصدر دليلاً أو تقويماً
 في كل عام يحتوي على مختلف المعلومات المفصلة المتعلقة بحياة البلاد التي يصدر
 فيها ، وعلى معلومات اجمالية عن سائر بلاد العالم . والدليل البريطاني الذي نبحث
 عنه هو المجلد السابع والسبعون من مجموعة تصدر منذ ١٨٦٨ بإدارة امرة هوبنيكر .
 ويمكن القول ان هذا الدليل هو موسوعة صغيرة عن الامبراطورية البريطانية
 ويتألف من ١٠٥٢ صفحة مطبوعة بالحرف الصغير . وهو يبدأ بمعلومات فلكية
 مفيدة تتعلق بالأبراج والنجوم والمجموعة الشمسية والأرض والزمن وحساب
 الأوقات والريوزنامات وكذلك يحتوي على معلومات عملية مفيدة تتعلق بالأوزان
 والمكاييل وبالرموز والاختصارات المختلفة . ولكن القسم الأكبر منه يتناول
 بريطانيا العظمى وحكومتها وأنظمتها الادارية . وفيه جداول كثيرة بأسماء
 ملوك انكلترا ونوابها ، ولورداتها ، والقباب الشرف فيها وحاملتها ، وأسماء الدوائر

الحربية المختلفة وموظفيها وجداول بالمحاكم وموظفيها ، والاسقفيات واساقفتها ، وبأسماء الجامعات والمدارس الكبرى وموظفيها ، واسماء الصحف والمصارف والنوادي . والدليل يحوي زيادة على ذلك معلومات عن مختلف أجزاء الامبراطورية البريطانية من الوجهة التاريخية ثم من الوجهتين الجغرافية والادارية فيصف حكومة كل من هذه الأجزاء واسماء موظفيها ورواتبهم كما انه يصف حاصلاتها وتجارتها . وأهم الأبحاث في هذا القسم تتناول امبراطورية الهند . وهناك قسم في الدليل يبحث عن البلاد الأجنبية فتتناولها بلمحة تاريخية موجزة وبللمحة عن حكومتها ثم جغرافيتها الاقتصادية وتجارتها بشكل خاص ، وكذلك يبحث في علاقة انكلترا بها . واسماء ممثلي انكلترا الدبلوماسيين والقنصلين فيها . ولا يخلو هذا الدليل من وصف حوادث الحرب العالمية الأخيرة ومحمودات انكلترا فيها ، كما ان فيه بعض الجداول التاريخية التي تتعلق باسماء الملوك والرؤساء في مختلف الدول والأمير المالكة .

والمهم في هذا الكتاب انه لا توجد ناحية من نواحي النشاط في حياة انكلترا وامبراطوريتها الا ويصفها ويعطي الاسماء والاحصاءات والتواريخ المتعلقة بها ، فهو من هذه الناحية كتاب جليل الفائدة . وحذا لو قامت البلاد العربية — متعاونة او كل قطر بمفرده — بتصنيف دليل مثل فيكون وسيلة عملية للتعرف فيما بينها وللتعرف على تفاصيل الحياة الادارية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية في كل منها ، وعلى اسماء الرجال والهيئات القائمين بأعباء كل من نواحي النشاط فيها ، وللإطلاع على أهم الوثائق والأنظمة والقوانين التي لها علاقة بهذه النواحي .

مورج هداد

آراء وانباء

— ملاحظات لغوية —

نشرت في العدد الاول من المجلد الثامن عشر القسم الخامس من مقالتي الذي عنوانه (نظرة في مجلة مجمع فؤاد الأول) . وما ذكرته في ذلك القسم انه لا يوجد في العربية كلمة تدل على معنى (Ecussonnage) بالفرنسية وهو التطعيم بالبرعم ، ويسمونه عندنا التطعيم بالرقعة ، وأنه من الضروري جعل كلمة (البرعمة) تتضمن هذا المعنى . واذا بالدكتور مصطفى جواد يأتي بعد ثلاث سنين او أكثر فينشر في عدد آب من هذه السنة (ص ٣٨١) تحفة مقال له عنوانه (التنيه والتوجيه) جاء فيه ان الكلمة الفرنسية المذكورة في (التطعيم) بالعربية ، وانه لا حاجة الى (البرعمة) ، ثم نراه بعد هذا الفوز بعثوره على كلمة (التطعيم) ينقل لنا عن المسعودي وعن المقرئ جملاً استعملت فيها هذه الكلمة اي التطعيم . وينهي كلامه بقوله : (وربط الثقافة العربية القديمة بالحداثة واجب راتب) .

قلت ان من أدراء هذه اللغة كون بعض لغوييها يستعملون البحث عن مصطلحات علوم لا يجيدونها . فالتطعيم بحث واسع من أبحاث زراعة الشجر ، وفيه مؤلفات ، وله اشكال عديدة . كالتطعيم بالبرعم (الرقعة) والتطعيم بالفوز (القلم) والتطعيم بالشق والتطعيم بالترصيع والتطعيم بالإدناء والتطعيم بالتصفيح وتطعيم اللحاء الخ . الخ . فكلمة (التطعيم) في عامة تشمل كل هذه الاشكال . وليس في العربية كلمة واحدة تدل على شكل واحد بعينه من هذه الاشكال . ولا يجوز قصر معنى التطعيم على التطعيم بالبرعم . واستعمال كلمة (التطعيم) مجردة لا يفيد معنى التطعيم بالبرعم وحده بل يفيد أيضاً جميع الاشكال الأخرى مما ذكرته ، وما لم اذكره . ولهذا طلبت في مقالتي جعل كلمة البرعمة تتضمن معنى

(Ecussonnage) أي التطعيم بالبرعم : ويرى مجمع مصر أيضاً هذا الرأي .
 لكنه وضع كلمة التبرعم لهذا المعنى . وقلت في مقالي المذكور ان البرعمة اصلح .
 ويتضح من ذلك انه لو كان حضرة الكاتب الذي ألزم نفسه بالتفنييه والتوجيه
 عالماً بالعلوم الزراعية لكفى نفسه وقراء بحالة المجمع مثل هذه التوجيهات الخاطئة .
 أما تنبيهه الى (ربط الثقافة القديمة بالحديثة) فهو كلام يجب ان يوجهه الى نفسه ،
 لأن الذي يبحث عن التطعيم في كتب السلف لا يستشهد بجمل أوردها المسعودي
 أو المقرئزي ، بل يراجع كتاب الفلاحة النبطية لابن وحشية وكتاب الفلاحة
 الأندلسية لابن العوام وكتاب الفلاحة الرومية لقسطا بن لوقا وغيرها من كتب
 السلف الزراعية فيجد فيها أبحاث التطعيم كما يجد الكلمات التي استعملوها مرادفة
 للتطعيم كالتركيب والإشباب الخ . ومتى انتهى من تلاوة هذه الأبحاث ، وكان
 عالماً بالعلوم الزراعية الحديثة ، وعارفاً بمعاني الألفاظ الزراعية العربية ، جاز له
 بعد معالجة هذه الأمور سنين عديدة ان يدلي برأيه فيها .
 أما الدكتور مصطفى جواد فان له علماً وفضلاً ولكن في غير هذه الناحية
 فليتجنبها وليكتف بما هو عالم به فقد قراءه والمعجبين به وأنا منهم .

(حطب) مصطفى الشرايبي

غلطتان مطبعيتان

جاء في مجلتي عن كتاب « تطور الري في العراق » المنشور في الجزء السابع
 والثامن من المجلد الحادي والعشرين غلطان مطبعيتان واليك تصحيحهما :

صفحة	غلط	صواب
٣٦٧	الخضراوات	الخضراوات
٣٦٨	الغرين	الغوين

م . ش .

التنبيه والتوجيه

— ٣ —

٨ — وورد في ص ٤٤ « بعض اصطلاحات يونانية » وليس هذا من تعابير الفصحاء لأن « بعضاً » اذا أريد بها الجزء الواحد من كل الأجزاء — وهو المعنى الأصلي الذي وضعت له — فيجب لها ان تضاف الى معرفة . فيقال « بعض الاصطلاحات اي قسم منها وأحدها » وإذا أريد بها جزء الجزء فيجوز ان تضاف حينذاك الى النكرة فيقال : « كتبت صحيفة أو بعض صحيفة » ومنه قوله تعالى : « قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم^(١) » ، ولعل الكاتب الفاضل أراد « بعض » ما يريد الفرنسيون بكلمة *Quelque* فالصواب « اصطلاحات يونانية » لأن التنكير يدل على القلة وبقيدها إذا كان الجمع خالياً من وصف يدل على الكثرة كأن يقال « اصطلاحات كثيرة » فمن الأولى قولنا « اشتريت دجاجات » وشرحت كلمات ، وأقمت أياماً » وما اليه من العبارات . ونقول القول بعينه في العبارة الثانية الواردة في الصفحة المذكورة وهي تتعلق « ببعض نظرات » .

٩ — وفي ص ٤٨ « فان السلف أخذها مباشرة عن اليونانيين » ومباشرة هذه هي ترجمة *Directement* الفرنسية ، وأقرب الأقوال العربية الفصيحة أن يقال « أخذوها قصداً » ولا محل هنا للمباشرة ولا وجه لاستعمالها ولولب التأويل والتخريج .

١٠ — وجاء في ص ٤٩ أن كلمة « ابليس » على رأي الكاتب الفاضل من *Epiaès* اليونانية لامن *Diasolos* . قلت : ما بعد هذين اللفظين عن لفظ « ابليس » ! واللفظة القريبة منه هي « *Diabolus* » اللطينية ومنها الفرنسية *Diable* .

١١ — وفي ص ٦٠ ما نصه « وقال الحاجب للنقيب ابي محمد قل لولدك محمد » والصواب « ابي احمد » وهو والد الشريف الرضي ، والغلط يسير ولكن السكوت عنه على أهل البحث والتحري عسير

(١) سورة الكهف في الآية ١٩ منها

١٢ - وجاء في ص ٦١ ما هذا نصه « هذا ما ساقه ابن أبي الحديد في شرحه على النهج من غير ان يذكر السنة التي كتب فيها المحضر » . أراد محضر طعن العباسيين على نسب الفاطميين الذين اسسوا دولتهم في مصر بعد المغرب ، قلت : وليس كتاب شرح نهج البلاغة مقصوداً على التاريخ ولا موضوعاً للحوادث ، فمن مبادي العلم بتاريخ بني العباس علم انهم كتبوا ذلك المحضر في سنة (٤٠٢) اثنتين واربعائة للهجرة^(١) وأما ابن الطحاوي الوارد ذكره بين الفقهاء في المتن أو البطحاوي - كما جاء في الحاشية - فصوابه « ابن البيضاوي » نسبة الى ينفاء فارس ، وهو محمد بن عبد الله بن احمد بن محمد الفقيه الشافعي قاضي ربيع الكرخ ببغداد في زمان كان يسكن درب السلولي ويدرس الفقه وبقي على مذهب الامام الشافعي ، توفي فجأة ليلة الجمعة الرابع عشر من رجب سنة أربع وعشرين واربعائة ودُفن صبيحة تلك الليلة في مقبرة باب حرب من غربي بغداد^(٢)

١٣ - وجاء في ص ١١١ من المجلد ان القاف شاع لفظها بالهمزة من أرمن حلب ثم عمت المدينة ومنها انتشرت في سائر المدن التي ذكرناها ، قلت : من المستبعد جداً ان تشيع هذا الشبوع وتعم هذا العموم وهي لغة أرمنية يهودية محلية ، لأن طبيعة الأصوات تستوجب ان تنقلب القاف الى كاف وهذه تكون همزة وهي اللغة الطبيعية ، وقد نقل باقوت أن احد الفتيان كانت به اكنة شديدة حتى كان لا يجري على لسانه حرفان من حروف المعجم « الراء والكاف » : يكون مكان الراء غيناً ومكان الكاف همزة فكان اذا اراد ان يقول كركي يقول « أغري » واذا اراد ان يقول كركرة يقول « أغاغة » وينشد للأعشى

(١) ابو الفرج ابن الجوزي « المتظم ج ٧ ص ٢٥٥ » وكررت كتابه المحضر سنة ٤٤٤

« المتظم ج ٨ ص ١٥٤ » وكامل ابن الأثير في حوادث سنة ٤٠٢ والذهبي في دول الاسلام

ج ١ ص ١٨٧ (٢) الخطيب البغدادي « ج ٥ ص ٤٧٦ »

«أغنى غجلاً في أنه أثف» يريد «قالت أرى رجلاً في كفه كتف^(١)» .
فقلب القاف همزة يجب فيه ان يسبقه حتماً قلباً كافاً .

١٤ - وورد في ص ١٢٢ قول كاتب فاضل «وفي الديوان من التشبيه ما لم يعرف مثله لأبي العلاء أو لم يؤلف في عهده كقوله :
ذوائبه مسك ثناياه لؤلؤ وخداه تبر والعدار زمرّد

قلتُ أما أن ذلك لم يعرف مثله لأبي العلاء فصحيح وأما أنه لم يؤلف في
عهده فغير صحيح ، قال أبو محمد الحسن بن علي المعروف بابن وكيع التنيسي الشاعر
المتوفى سنة ٣٩٣ قبل وفاة المعري بأثنتين وأربعين سنة :

جوهرى الأوصاف يقصر عنه كل فهم وكل ذهن دقيق

شارب من زمرّد وثنايا لؤلؤ فوقها من عقيق

وذكر أبو اسحق الحصري أحياناً لبعض مشايخ القبروات ورواها عنه ، قال
شمس الدين ابن خلكان : غالب ظني أنه [أبو] الحسن علي بن عبد الغني الحصري
والأبيات ٠٠٠ رأيتها في بعض المجاميع منسوبة الى ابن الحجاج الشاعر المشهور وهي :

ومعذرين كأن نبت خدودهم أقلام مسك تستمد خلوقا

قرنوا البنفسج بالشقيق ونصروا تحت الزبرجد لؤلؤاً وعقيقا

فهم الذين اذا الخلي رأهم وجد الهوى بهم اليه طريقا^(٢)

فهذه التشبيهات كانت مألوفاً في زمان المعري ويضعف دليل الكاتب الفاضل
من هذا الوجه .

١٥ - وورد في ص ١٣٠ « ذيل النفحة ونيل المنحة لمحمد بن السمان اوله :

ربّ أوزعني ان اشكر نعمتك » قلت : وجدت في آخر النسخة التي في خزائني

ما هذا نصه « تم بحمد الله تعالى ذيل النفحة ونيل المنحة لمولانا المرحوم المفقور له

السيد محمد أمين افندي المحي ، جمع الأديب البارع الشيخ محمد المعروف بابن السمان

(١) ياقوت في معجم الأدباء « ج ٦ ص ٢٨٦ » - (٢) الوفيات « ج ٢ ص ٥١٢ » من طبعة المعجم

معني عنها^(١)» وفي ص ١٣٤ من نسختي أيضاً مانده «ولجامعه الفقير محمد بن السمان عفا عنه الرحيم الرحمن . . .» فالتأليف للمحبي مؤلف خلاصة الأثر في اعيان القرن الحادي عشر ، والجمع لابن السمان المذكور .

١٦ — وورد في ص ١٤٣ «فوجدناها لا تتفق ونسبة هذه المذكرات» . والصواب «لا تتفق هي ونسبة» لأن الاسم الظاهر اذا عطف مرفوعاً على الضمير المستتر او المتصل ، وجب^(٢) تحقيق الضمير وتوكيده بلفظه او الفصل بين الفعل والظاهر بفاصل انقطعي ، وشذت من هذه القاعدة ما ينشده النحويون من الأبيات الغريبة منها :

زعم الأخطل من سفاهة رأيه ما لم يكن وأب له لينالا
وقول آخر :

قلت إذ أقبلت وهند تهادي كنعاج الفلا تعفرن رملا
ولا يجوز ان يجعل «نسبة» مفعولاً معه لأن الفعل «تتفق» مشترك لا يستغني بمرفوع واحد .

١٧ — وجاء في ص ١٨٢ «تقويم الأبدان لابن جزلة كتب سنة ٢٩٧ هـ» . قلت : لعل في الرقم التاريخي غلطاً مطبعياً فان ابا علي يحيى بن عيسى بن جزلة الحكيم الطبيب المستبصر في آخر عمره توفي في أواخر شعبان من سنة ٤٩٣ هـ^(٣) ، فلهل تاريخ كتابته سنة ٤٩٧ مبع وتسعين وأربعمائة ، او ما بعدها ، وجاء في الصفحة نفسها «منهاج البيان فيما يستعمله الانسان ليحيى بن عيسى الكاتب ٤٩٣ هـ في الطب» . وهو ابن جزلة نفسه وتاريخ وفاته صحيح .

(١) تراجع مجلة الجمع «مير» ١٨ ص ٢٧٢ (٢) يجوز على مذهب الكوفيين وليس بشي لأنه ورد في الشعر نسب ولا عبرة به اذا خالف النثر ولغة القرآن (٣) شمس الدين ابن خلكان في الوفيات «ج ٢ ص ٤١٠» من طبعة المعجم : وأبو الفرج ابن الجوزي في «المنتظم ج ٩ ص ١١٩» ووقع وهم في مختصره الاول لابن التبري «ص ٢٣٩» طبعة اليسوعيين وتاريخ الحكماء لافطحي «ص ٢٤٠» يحمل «التسمير» مبعين أي يحمل وفاته سنة ٤٧٣ فليصلح .

١٨ - وجاء في حاشية ص ٢٠٢ ان خلافة الامام المقتني لأمر الله ابي عبد الله محمد المقتني لأمر الله العباسي ابتدأت من اليوم الثاني من ذي القعدة سنة ٥٣١ هـ . وفي ص ٢٠٩ من المقالة ان « اول خلافة المقتني بالله في سنة ثلاثين وخمسةائة » ، والصحيح ان يبعثه كانت في يوم الأربعاء ثامن عشر ذي القعدة من سنة (٥٣٠) هـ على ما ذكر ابن الجوزي وهو أعرف بها من غيره^(١)

١٩ - وفي ص ٢٠٣ س ١ « ولا تعويل لدى معرفة عليه » والصواب « لذي معرفة » بالذال المعجمة لا الدال المهملة ، ومعناه ان ذا المعرفة لا يعول عليه أبداً .
٢٠ - وجاء في ص ٩٩ ذكر لأبي عبد الله محمد بن علي العظيبي المؤرخ الحلبي ، وتاريخ ولادته دون وفاته ، قلت : جاء في المجلد السادس من وفيات الأعيان لابن خلكان « ص ٣٢٠ » من طبعة الدكتور فريد الرفاعي سنة ١٩٣٦ م = ١٣٥٥ هـ ما هذا نصه « ذكر ابن العظيبي الحلبي في تاريخه ان الأمين ٠٠٠ » وفي الحاشية ما هذه صورته « هو محمد بن علي بن محمد ابو عبد الله التنوخي الحلبي ، ولد بجلاب وكان إماماً شاعراً فصيحاً بليغاً ومن شعره : يلقى العدى بجنان ليس يرعبه ٠٠٠ » ولد ابن العظيبي سنة ٤٨٣ وتوفي حوالي سنة ٥٦٠ هـ احمد يوسف نجاتي « وقال هذا الفاضل المعلق في المجلد الثاني ص ١٠٧ ما نصه « هو ابو عبد الله محمد بن علي بن محمد التنوخي الحلبي كان إماماً مؤرخاً وشاعراً بليغاً وأديباً واعياً توفي سنة ٤٨٤ » يجعله سنة الولادة تاريخ الوفاة التقريبي الذي ادعاه ، وله فضل سبق على كل حال مع ما أتاه من الاخلال .

٢١ - وورد في ص ٢١٥ سؤال كاتب فاضل عن كتاب « الطرديات » لكشاجم أقام هو بنفسه ام داخل في حيز كتاب « المصايد والمطارد » ؟ قلت : يستدل مما اورده ابن خلكان في ترجمة ابن شرشير الأنباري انها كتاب واحد قال « ولابن شرشير أشعار كثيرة في جوارح الصيد وآلاته والصيد وما يتعلق بها كأنه

كان صاحب صيد وقد استشهد كشاجم بشعره في كتاب المصايد والمطاردي في مواضع منها قصائد ومنها ضرديات على أسلوب أبي نواس ومنها مقاطيع وقد أجاد في الكل فمن ذلك قوله ضردته في وصف باز : لما تفرى الليل عن أثباجه^(١) . . . »
فدخول الطرديات في المصايد والمطاردي واضح في هذا النقل .

٢٢ - وورد في ص ٢٠٨ س ٦ « وهجموا ربعتها » والصواب « ربضها » بالضاد المعجمة ، وربض البلدة أو المدينة ما حولها من الأحيوية والبساتين ، هذا هو الأصل وورد في تاريخ الخطيب البغدادي ما يدل على أن أرباض مدينة السلام كانت في حيز سورها ومن محلاتها ، وفي المراد « قيل الربض أساس المدينة » بضم الراء وبالتحريك ما حولها وقال بعضهم هما لغتان .

٢٣ - وجاء في ص ٢١٦ « ونشر عن بعضها وصفاً مسهباً » وفي الجملة غلطان أولهما استعمال الكاتب الفاضل « عن » مكان اللام . فانه يقال « هذا وصف له » لا وصف عنه والثاني استعماله « مسهباً » من دون صلته « فيه » فانه يقال « أسهب فيه »
٢٤ - وورد في ص ٢١٩ « وأبي طمجان والقيني » . والصواب « وأبي الطمجان القيني » وهو حنظلة بن الشرقي ، وفيها أيضاً « وذو الرمة محمد » والدواب « وذو الرمة غيلان بن عقبة » وفيها « عبد الصمد بن المعز » والصواب « المعتدل »

٢٥ - وفي ص ٢٢١ « ولم يخص الكتاب للحيوان وحده » . والتصحيح « بالحيوان » يقال « خص الشيء بكذا وخصصته به » أما « خص » المتعدي في الظاهر فيحتاج الى مخصوص به مثل « اختصه » يقال « خصه بجائزة واختص فلاناً بجائزة »

٢٦ - وفيها أيضاً « ان من اسباب . . . هو خوفه » وهذا إضمار للظاهر قبل ذكره غير جائز أبداً ، فهو مخالف للفصاحة ، فالصواب « ان من اسباب . . . خوفه »
٢٧ - وفي ص ٢٢٢ « في القرون الغائرة » . أراد بالغائرة « السالفة والماضية »

(١) الوفيات « ج ١ ص ٢٨٥ » من طبعة المجمع

وهو ضد ما استعملته فيه فصحاء الأمة وعلماء الملة ، فالغائرة للباقية من حاضرة ومستقبل ، وأما دعوى أنها من الأضداد فلا يعاج عليها ولا يلتفت إليها لأن منشأ ذلك تصحيف حدث في العين المهملة ، فعدوها غينا معجمة ، فالسالفه هي « الغائرة » بالعين المهملة والباقية بالعين المعجمة أي « الغائرة »

٢٨ وفي ص ٢٤٢ « قلنا فليسمح لنا حضرتك أن نخالفه في رأيه هذا » وهذا تعبير كسير لأن المخالف لا يطلب السماح ، ولا سماح في المخالفة ، فلا يقول أحد « ائذن لي في أن أعصيك » و « طب نفساً عما أتزكّه » وليس هذا من باب التعكيس كقوله تعالى « فبشرهم بعذاب اليم »

٢٩ - وورد في ص ٢٥١ مانصه « أما وجود النون بين القاف والطاء عند الغريبيين ^(١) فمأخوذة ^(٢) من لغة للعرب الذين يقحمون النون في بعض الأحيان فيقولون انجاص في إجاص و ٠٠٠ » قلت : ليس هذا إقحاما وإنما هو إبدال وله قاعدة مطردة القياس في باب الابدال في العربية وهي أن العرب تستثقل الحرف الثاني المضعف في الكلمة ، فتبدل من أحد ضعفيه إما حرف علة. وأحرف العلة أخف الحروف ، وأما نونا وهي أخف الحروف بعد أحرف العلة ، وأما راء وهي تلي النون في السهولة ، فالنون في الانجاص والخرنوب والذرنوح والقنبرة والطنطيسة ، عرض من الضعف المبدل منه ^(٣)

٣٠ - وفي ص ٢٥٣ « لأنه لا يبقى نصراني ، الا حضره وتقرب منه » وفي الحاشية « يمكن ان تكون (فيه) بمعنى تقرب الى الله فيه » قلت : هذا صحيح يحتاج الى زيادة فيقال « بمعنى تقرب الى الله فيه بقربان » لئلا يفهم من التقرب معناه الحقيقي أو المجازي بغير القران الذي أريد هاهنا .

٣١ - وجاء في ص ٢٥٧ قول المأمون « لكم على حرمي أصحاب اخبار » بضم

(١) Contrée وما يماثلها في الانكليزية واليطينية واليونانية (٢) العواب « ثأ وذا »

لأن الوجود مذكر والاخبار متبلا عن النون ، ولو قال « فأما النون فأخوذ » لصح قوله

ولله من قسط الطبع (٣) وراجع كلامنا على [الفوضى] في هذه الصفحة مع ١٨ ص ٢٥ - ٢٠

الحاء والراء من «حرفي» والصواب «حرفي» بفتح الراء جمع حرمه ، أراد «نسائي» قال الفيومي في المصباح «والحرمة» ايضاً المرأة والجمع «حرم» مثل غرفة و«غرف» وقال ابو سعيد اسحق بن خلف البهرائي يرثي ابنة اخيه :

قد كنت أخشى عليها ان تقدمني الى الحمام فيبلي وجهها العدم
فالأنت نمت فلا هم يؤرقني بهذا الغيور اذا ما أودت الحرم^(١)

٣٢ - وجاء في ص ٢٦٦ «وقال التنوخي حضرت بغداد مجلس الملك عضد الدولة في يوم عيد الفطر سنة سبع وعشرين وثلاثمائة والشعراء ينشدون الثعاني» . قلت : لعل الأصل «سبع وستين وثلاثمائة» لأن سنة ٣٢٧ لا توافق الحقيقة التاريخية ، وعضد الدولة لم يكن اميراً ببغداد قبل سنة ٣٦٧

٣٣ - وجاء في ص ٢٧٥ «ويسرنا ان نرى الأستاذ الفاضل حريص» . والصواب «حريصاً» ولعل الأصل «نرى أن الأستاذ حريص» فسقطت «أن» في الطبع ، لأن أمر الغلط هذا من البديهيات .

٣٤ - وجاء في ص ٤٠٢ ما نصه «فالعربية الأولى ٠٠٠ لم تعد فتش بحرف ما ثم عدتها الزمان بن وفي وعلى ولهذا الحرف الأخير من المعاني المذكورة في كتب اللغة والنحو ما يماشي الفعل فتش بمشي معه» قلت : ان المعنى هو الباعث على التضمن^(٢) والتقدير في كل الأفعال ، ومبلغ الدلالة هو الموجب للايجاز أو التطويل ، فليست القضية سماعية بل هي قياسية ، لأن أصل العبارة «فتشت

١- (١) المبرد في الكامل [ج ٣ ص ٢٥٢] من طبعة الديلموني الأزهري ، ولا تزال المائدة في العراق يسمون المرأة «حرمة» (٢) ضمن [فتش] معنى [دور] و [دار] عليه وهو مولد أيضاً ، قال أبو زكريا يعقوب بن سعيد بن الدهان [٥٦٩ - ٦١٦] :

فحرت الآن منحياً كاني أفتش في التراب على شبلي

ولذلك وجب ذكر التفضلة المذوقة إذا قل هذا الفعل الى [فاعل] قال تمامة بن أشرس النعمري بصت الفراء [فجاست اليه فقاتته عن اللغة فوجدته بجرأ وفاتته عن النحو فشاهدته نبيج وحده ومن الفقه فوجدته رجلاً قصباً] الوفيات ج ٢ ص ٣٢٠ من طبعة النجم .

الدار عن الشيء^(١) فهي مفتوحة ، وقششتها عنه فهي مفتشة » فإذا دلت إحدى الفضلتين على المعنى المهم فمن البلاغة حذف الثانية ، فكذلك قيل « فقتشت عن الشيء » والفضلة الثانية مقدرة بحسب طبيعة اللغة ، ومن أمثلة ذلك « دافعت عن البلاد وحافظت على المال ، وحاميت عنه وعليه وذبت عن العشرة » والأصل دافعت العدو وحافظت غيري وحاميت الناهب وذبت المهاجم » وهذا يستوجب أن يكون « فقتش عنه » غير قتشه وإن كانت المغايرة ناقصة لا تامة ، وأما أقسام المعنى في مثل « فقتش » فهي « الفاتش » و « المفتوش » و « المفتوش عنه » وإذا كان المفتوش ظرف مكان جاز أن يقال « فقتش فيه » لأن الظرفية من ضروريات الكلام والأصل فيها الجر بالحرف ، أما النصب فهو حادث من حوادث الاختصار والابحاز

٣٥ - وجاء في ص ٤٠٦ « بل النسخة التي اختصها بنفسه » . ومعنى ذلك أنه وهب لها نفسه وهو تعبير عجيب في غرابته ، لأن العاقل لا يهب نفسه لنسخة من مخطوط يباع ويشتري ، فالصواب - ونعله مراد الكاتب الفاضل - اختص نفسه بها »

٣٦ - وورد في ص ٤٠٨ من مقامات نحر الدين الجويني الحموي « وزملكش وقواد » . وفي الحاشية ما نصه « كذا في الأصل وصوابه زملق ٠٠٠ وترى معناها في المعاجم والكلمة بذئثة » قلت : ومن بحث عن معناها لم يجدها بذئثة وإنما هي تعني حالة طبيعية في البدن ، أما كون أصل زمكش « زملقا » فبعيد عن الصواب ، والظاهر أن أصل زمكش هو « مزكش » اسم فاعل من زكش يزكش أي تبذل وغنى في الطرقات أو فعل غير ذلك من الأفعال الدنيئة بحسب آراء المسلمين ، ونؤيد دعوانا بأن أبا منصور بن أبي بكر بن شجاع المعروف بابن نقطة الحنبلي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ وصفه جماعة من المؤرخين بالمزكش ، قال أبو شامة بعد ذكر أخيه عبد الغني بن أبي بكر الزاهد : وأخوه أبو منصور بن نقطة المزكش ، كان ينشد كان وكان في الأسواق ويسحر الناس في رمضان ، قيل له : ما تستحي ،

(١) أصول التاريخ والأدب [٥٠ ص ٩ ص ٣٢٩] من مجاميعنا الخطية .

أخوك زاهد العراق وانت تزكلكش في الأسواق فقال مواليا ٠٠٠» هذا ماورد في ذيل الروضتين لأبي شامة ومثله تقريباً في تاريخ الاسلام للذهبي وصرافة الزمان لسبط ابن الجوزي وله ترجمة مختصرة في الجامع المختصر لابن الساعي الخازن .

٣٧ - وورد في الصفحة عينها « وذهبي ومداد » فعلى عليه ناشره الفاضل

« الذهبي المشتغل بالذهب » وهو تعريف حسير ، وفي أنساب السمعاني ان الذهبي هو الذي يفتن الذهب ويخلصه من الغش ، والذي يعمل خيوطاً من ذهب^(١) وبهذا التعريف خرج الصائغ والصيرفي والمستثير للذهب من معدنه واختص به صناع في دار الضرب والمعدون لغزل السقلاطون وغيره .

٣٨ - وجاء في ص ٤٠٩ « ومتوز ودهان ونداف وقطان » وجاء في الحاشية

تعلق عليه نعه كذا وردت في الأصل ولم نعرف الكلمة الأصلية التي صحفت عنها ولعلها « مصور » لأن الكلمة التي تليها هي دهان ، فينسق المصور مع الدهان^(٢) . قلت : بل الظاهر انها « المزوق » اسم فاعل التزويق ، وهو مشهور معروف المعنى كما في أنساب السمعاني وأساس البلاغة .

٣٩ - وورد في ص ٤٢٣ « كتاب الدر الثمين في سيرة نور الدين : نور الدين

زنكي » قلت : والصواب « نور الدين ابن زنكي » لأنه محمود بن زنكي الملقب بنور الدين ولعل هذا من غلط الطباعة .

٤٠ - ونشر في ص ٤١٧ وما يليها مقال جامع في كتب الحسبة والنبد المؤلف

قديماً فيها والمؤلفة حديثاً ، قلت : يجد الباحث في كتاب « تلخيص مجمع الالقب » لابن الفوطي شيئاً من أخبار المحتسبين ونعت الحسبة ومن ذلك قول مؤلفه في أحدهم « علاء الدين أبو عبد الله عبيد الله بن يحيى بن أبي القاسم المذارى الخنسي كان فقيهاً عارفاً بأمور الحسبة ومراعاة العوام في المتاجر والصناعات ومنعهم من الغش والتدليس في سائر المعاملات وامتحانات المكاييل والاوزان وحياطتها من

(١) أصول التاريخ والأدب [مج ٦ ص ٢٢٩] من جامعنا المطبوع

التظيف والنقصان ومن فعل شيئاً من ذلك كان يناله بغليظ العقوبة وله في ذلك السيرة العادلة^(١) . وجاء في هذه المقالة الجامعة (ص ٤٢٦) ذكر لكتاب كتبه رشيد الدين الوطواط في تقليد الحسبة ، وأحال فيه كاتبه على رسائل الوطواط . قلت : إن الكتاب نفسه قد أوردته ياقوت الحموي في ترجمة رشيد الدين المذكور قال « ومن انشائه أيضاً تقليد حسبة صدر عن ديوان خوارزم وهو : إن أولى الأمور بأن تصرف أئمة العناية إلى ترتيب نظامه^(١) » وبينهما فروق في الزيادة والنقصان وفي صور الألفاظ ومن الغريب أن الأستاذ مرغليوث المستشرق المشهور لم يكلف نفسه عناء المقابلة بين النصين مع إحاطته في الحاشية على رسائل الوطواط ، فمن ذلك ما ورد في معجم الأدباء^(١) « وتقصر الهم » وفي الأصل « تقصر غايات الهم » وفي معجم الأدباء « ويتوقف عليه صلاح » وفي الأصل « يتعطف عليه »

٤١ - وفي ص ٤٢٩ كلمة موسومة بأسماء منتخبة لمسميات حديثة جاء فيها أن الكيف وزان خبر هو الزنفلجة يكون فيها أداة الراعي ومتاعه . قال كاتبها الفاضل « فالكيف على هذا ضالح لأن يطلق على محفظة الطبيب (جزدانه) الذي يضع فيه مقعده وشفرته وأداته وما يحتاج إليه احتياجاً قريباً » . قلت : الكيف أداة من أدوات الراعي ، ومثله « الصفن » بالضم ، ففي مختار الصحاح أنه « خريطة » تكون للراعي فيها طعامه وزناده وما يحتاج إليه » . وجاء في الصحاح أن هذا قول أبي عمرو لأن الصفن عند غيره مثل الركوة يتوضأ به أو وعاء من آدم مثل السفرة يستقى به . وفي مثل هذه المصطلحات يجب أن يرجع إلى التاريخ قبل غيره فيسأل أولو العلم به هل كان أطباء الزمن القديم يتخذون جزدانات ؟ وما اسم الواحد منها ؟ قلت إن المؤرخين كانوا يتساهلون في مثل ذلك وقد جاء في رسالة للإمام أبي عبد الله محمد بن يحيى بن فضال الشافعي مدرس النظامية والمستنصرية ودار الذهب والثقتية ببغداد ، بعث بها إلى الخليفة الإمام الناصر لدين الله أو الخليفة

الامام المستنصر بالله يشكو فيها اليه اهل الذمة ويقول فيها « ومنهم الاطباء اصحاب المكاسب الجزيلة ٠٠٠ يخرج الصبي منهم ولم يقرأ غير عشر مسائل حنين وخمس قوائم من تذكرة الكحالين وقد تقمص ولبس العمامة الكبيرة وجلس في مقاعد الأسواق والشوارع على دكة حتى يعرف وبين يديه المكة والملحقات يؤذي هذا في بدنه ويجرب على ذاتي عينه فيفتك من أول النهار الى آخره وينتهي آخر النهار الى منزله ومكتبه مملوءة قراضة ٠٠٠ »^(١) فالظاهر ان كبس الطبيب هو « النكة » ، مأخوذة من مكة الدابة ، ومن الألفاظ العربية « الحرمدان » ومعناها الشنطة المصرية وقد استعملت في النجوم الزاهرة قال « وعندما يعزلونه من الوزارة يصبح يأخذ غلامه الحرمدان خلفه ويروح يقعد في ديوان الانشاء »^(٢) وجاء في السلوك « واتفق أن الأمير طرناطي النائب وقع على جماعة من أصحاب منكوتر فأمرهم وفيهم حامل حرمدانه فوجد في الحرمدان كتباً من الأمراء »^(٣) ، ٤٢ — وجاء في ص ٤٣٠ « فالدية وان كانت مودة عراقية مستعملة منذ عصر الحريري » قلت أورد كاتبها الفاضل بيتاً لابن النكك استعمل فيه « الدية » وهذا الشاعر كان معاصراً للمتنبى وقد هجاه ، فالدية كانت مستعملة إذن منذ أوائل القرن الرابع والحريري أدرك أوائل القرن السادس .

٤٣ — وورد في ص ٤٣٠ « السوائل الملتببة التي يقذف بها ايام الحرب » . قلت : الصواب « المائعات والموائع » لأن السيلان لبس بشرط أصلي في التسمية ولأن أكثر تلك الأشياء لا تسيل ، قال الشريف الرضي في قول الرسول ﷺ : « ويل لأفئاع القول » ما صورته « ٠٠٠ فشيء — ع — آذانهم بالأفئاع التي يفرغ فيها خروب القول وإفراغ المائعات »^(٤) ولم يقل السائلات ولا السوائل مع ان الأفئاع لا يفرغ فيها إلا ما يسيل ويجري ، وذكر الامام الحافظ ابن عبد الهادي

(١) الخواص الجامعة [ص ٦٦ - ٧] من طبقاته وهي طبعة ردية داخلها الخلل من جهة المنفق على طبها وهر أحد الكتبيين اتجارين بغداد ، فانه تصرف في نشره وطبعه طبع الجرائد المصرية (٢) النجوم ج ٨ ص ٥٠ (٣) مع ١ ص ٢٩٧ وقد نشره طابع النجوم بالإستانة بمجمع استنجاس وشرحه طابع النجوم بما ورد في مستدرك دوزي (٤) المجازات النبوية ص ٢٩ طبعة مصر

المقدمي توالييف الامام العلامة الفقيه ابن تيمية ، وقال « وقواعد في المائعات والحياة وأحكامها »^(١) فهي في الفقه معروفة بالمائعات أيضاً ، والكتب المدرسية لا يستعمل فيها إلا « السوائل » وهو غلط مبين .

٤٤ - وورد في ص ٤٥٨ أن لباس أهل الأندلس في أيام الحزن هو البياض وفي ذلك يقول الحلواني : « لئن كان البياض لباس حزن ٠٠٠ » قلت : ذكر العلامة شمس الدين ابن خلكان البتتين المذكورين في الأصل - اعني ص ٤٥٨ - في ترجمة أبي الحسن علي بن عبد الغني الحصري القيرواني قال « وقال في لباس أهل الأندلس البياض عند الحزن على الميت ويقال انهم استسنوا ذلك من عهد الأمويين قصداً لخلافة بني العباس في السواد : إذا كان البياض لباس حزن ٠٠٠ » ونود هاهنا ان نذكر أن العباسيين جعلوا السواد لباسهم المعتاد واتخذوا البياض لأيام الحزن فقط - كما كان يفعل أهل الأندلس ، قال الشيخ المؤرخ المقرئ أبو عبد الله بن الديلمي في ترجمة أبي داود سليمان بن ارسلان « ولما افضت الخلافة الى سيدنا ومولانا المفترض الطاعة على كافة الأنعام إلى العباس احمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين - خلد الله ملكه - شرفه بتوليته النيابة بديوان المجلس ٠٠٠ وخلع عليه بالتاج الشريف جبة ابريسم بيضاء مصمت وبقيار قصب ابيض لأجل العزاء بالامام المستضيء بأمر الله - رض - ٠٠٠ »^(٢) ، وقال الشيخ الأديب الكبير صلاح الدين الصفدي في ترجمة سلجوقي خاتون بنت قليج ارسلان بن مسعود السلجوقية والأمر التي حدثت لوفاتها « ورُفعت العذر والطرحات ولبسوا الأبيض ورُفعت البسمة ووضعت على رؤس الخدام ، ذكر ذلك في الوافي بالوفيات ، وهذا بوضع ما ورد في الجوادث الجامعة « ص ١٧٢ » من أن الزعماء ركبوا بالأقبية البيض وأرباب الدولة كل واحد منهم بقميص أبيض وبقيار في ليلة الجمعة الحادي عشر من شعبان : ليلة تقل جثة الامام المستنصر بالله العباسي من الدار المثمة بدار الخلافة من الجانب الشرقي بيقداد الى مقبرة الخلفاء العباسيين في محلة

(١) العقود الدرية في مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية ص ٢٥٠ - ٢٥١

(٢) أصول التاريخ والأدب مع ٢٠ ص ١٨٩ ، من مخطوطاتنا الخطية

الرُصافة قرب محلة الامام أبي حنيفة النعمان بن ثابت المعروفة اليوم بالأعظمية وقديماً بمقبرة الخيزران زوج الخليفة المهدي بن المنصور .

٤٥ - وجاء في ص ٤٥٩ « وكلا الناقل والمنقول عنه يُبدع الابداع كله » قلت : والفصيح « والناقل والمنقول كلاهما » و « وكلا الرجلين الناقل والمنقول عنه . . . » إذ لم يكن من الفصيح اضافة « كلا » إلى المفرد وكذلك الأمر في « كلنا »

٤٦ - وجاء في ص ٤٧٠ ان بنفشاً الرومية جارية الامام المستضيء بأمر الله العباسي توفيت يوم الجمعة في ١٩ ربيع الأول سنة ٣٩٩ هـ . قلت : وفي التاريخ خطأ عظيم صوابه سنة ٥٩٨ هـ قال الامام ابو المظفر سبط ابن الجوزي في وفيات سنة ٥٩٨ هـ « وفيها توفيت بنفشاً بنت عبد الله جارية المستضيء كانت كريمة سالحة . ولما توفيت تولت أمرها والدة الخليفة [الناصر لدين الله] وجهزتها احسن جهاز ودفنتها في تربتها المجاورة لمعروف الكرخي وذلك في ربيع الأول^(١) » . وكنت ذكرت أن التربة باقية الى اليوم بقيتها المخروطة وتعرف بقبة الست زبيدة في الجانب الغربي من بغداد ، وقال ابن الساعي في وفيات سنة ٥٩٨ هـ : « الجهة^(٢) بنفشاً بنت عبد الله التركية الجنس ، عتاقة الامام المستضيء بأمر الله - رض - كان لها ير ومعروف وصديقة جارية وقفت مدرسة بباب الأزج على دجلة على فقهاء الحنابلة ووقفت عليها قرية وأمرت بعمل جسر على دجلة ، ولها بطريق مكة آثار جميلة توفيت يوم الجمعة تاسع عشري شهر ربيع الأول من سنة ثمان وتسعين المذكورة وصلي عليها بالجانب الغربي عند التربة المجاورة لقبر معروف الكرخي - رحمة الله عليه - ودفنت بها^(٣) » .

وذكر وفاتها في التاريخ المذكور شمس الدين الذهبي في تاريخ الاسلام وابوشامة في ذيل الروضتين وابن الأثير في الكامل ، الا أن لفظة « المستضيء » في الطبعة المصرية تصحفت الى « المستنصر » فصارت « جارية المستنصر » وذلك خطأ واضح . ولما ولما درستها التي درس فيها ابن الجوزي أخبار جميلة لا محل لها هنا .

(١) امرأة الزمان مختصر المجلد الثامن ص ٣٣١ - ٣ طبعة شيكاغو (٢) الجهة هي حرمة العلقا والسلاطين والملوك الكبار : (٣) الجامع المختصر ج ٩ ص ٩٨٨ من طبعته الأولى

٤٧ - وجاء في ص ٣٢١ « كتاب « روضة البلاغة لأبي الحسن عبد الملك بن محمد » هو مخطوط بدار الكتب المصرية ، رقمه ١٤٨ أدب » قلت : الذي أطلقه من اسماء الرجال « أبو الحسن محمد بن عبد الملك بن ابراهيم الحمداني أحد المؤلفين المشاهير والمؤرخين البارعين ، وله عدة كتب ذكر منها الحاجي خليفة في كشف الظنون ، وتوفي سنة ٥٢١ هـ كما في تاريخ المنتظم لأبي الفرج ابن الجوزي « ج ١٠ ص ٨ » وكامل ابن الأثير في وفيات تلك السنة ، والظاهر لنا أنه مؤلف روضة البلاغة إلا ان اسمه تصحف ، وصعب بذلك تاريخ وفاته

٤٨ - وجاء في ص ٣٢٦ « سمع المأمون يقول كان لي خراساني يوماً عجيباً « كذا » وأولاني الله فيه بلسانه ^(١) الجميل وذلك ٠٠٠ » قلت : الظاهر أن الأصل هو « كان لي بخراسان يوم عجيب وأولاني الله فيه بمسانه الجميل » ، أراد ان النهار كان مشوئماً عليه فأولاه الله تعالى الجميل في المساء

٤٩ - وفي ص ٣٢٨ قول هازل متنادر « لا أعرف لك عملاً أولى بك من يريذات البحر وصدقات الوحش » . قلت : الصحيح « يريذات » جمع يزند علي وزن سرخس وهو الجسر - علي ما يظهر لي من الأخبار - ، فلما نقله هلال في تاريخه للوزراء قول أحدهم « وقدر للنفقة علي يزند من يزندات نهر الرميل ثلاثون ديناراً فلم يطلقها وقال : نفقة هذا اليزند واجبة علي صاحب الضيعة ^(٢) » وقد كرر هذا اللفظ غير مرة ، وقد جاء في أخبار هلال ما هذا نصه « يامعاشر الناس اجتزت الساعة علي جسر قارون وهو يزند من اليزندات ، وتسمى اليزندات بمصر جسوراً ^(٣) » وجاء في أحد الكتب « قال أبو الوفاء البوزجاني : المساحة تنقسم الي ثلاثة أقسام : بسيط وأجسام وأبعاد ٠٠٠ والجسم مثل الأنهار والبرك والآبار والأحواض واليزندات ٠٠٠ ^(٤) »

الدكتور مصطفى جواد

(بغداد)

يتبع :-

(١) وهذه العبارة تستوجب [كذا] كذلك (٢) تحفة الاسراء في تاريخ الوزراء ص ٢٥٧
(٣) المرحم المذكور ص ٣٢٠ (٤) الحاوي في أعمال المتصرفين ، لمؤلف مجهول ،
رقم ٢٢٦٢ من هريات دار الكتب الوطنية ياريس [الورقة ٢٣٩]

فهرس الجزء التاسع والعاشر من المجلد الحادي والعشرين

الصفحة	
٣٨٥	المؤلفون في مصر للأستاذ محمد كرد علي
٣٩٤	الغزالي وزعماء الفلاسفة للدكتور جميل صليبا
٤٠٤	آل بكتكين - مظفر الدين كوكبري للأستاذ عباس العزاوي
٤١٩	عقدانكاح' كتبنا في أواخر القرن الثامن عبد الله مخلص
٤٢٧	الطرافة والابتذال في الأدب العربي ادوار مرقص
٤٣٦	على هامش النثر الفتي احمد صقر

مخطوطات ومطبوعات

٤٤٢	الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة للأستاذ محمد كرد علي
٤٤٤	علم الاجتماع الديني للدكتور جميل صليبا
٤٤٦	أقنعة الحب
٤٤٩	مجمع البيان في تفسير القرآن للأستاذ عبد القادر المغربي
٤٥٢	عبد الله فكري
٤٥٥	من عبقریات نساء القرن (١٩)
٤٥٦	ضوء في تاريخ التوحيد للأستاذ محمد بهجة البيطار
٤٥٩	مختصر تاريخ الحضارة العربية للأميز جعفر الحسني
٤٦١	الدليل البريطاني لعام ١٩٤٥ للأستاذ جورج حداد

آراء وأنباء

٤٦٣	ملاحظات لغوية للأميز مصطفى الشهابي
٤٦٥	التفيم والتوجيه (٣) للدكتور مصطفى جواد

مجلة المجمع العلمي العربي

تشرين الثاني و كانون الأول سنة ١٩٤٦ ذوالحجة ١٣٦٥ والمحرم ١٣٦٦

المؤلفون في الشام

كان العصر الماضي من أشأم العصور على العلم العربي ضعفت فيه أعمال العقل وتراجعت حركة التفكير وفقدت أساليب الكلام المنثور منه والمنظوم . طمست معالم القديم أو كادت والناس لا يعرفون كيف يأخذون انفسهم بالنظام الحديث . ولم يبق من ذاك الماضي المجيد سوى بقايا علوم دينية ولسانية حفظت بقوة التسلسل من ذاك العهد الزاهر الذي امتد من القرن الأول الى القرن السادس من الهجرة . وكان عظمياً في كل مظاهره في الأصقاع العربية . وابتدأ عصر الانحطاط العلمي بالثمة التاسعة وانتهى بالثمة الثالثة عشرة ولكنه انحطاط اشبه بنار تحت الرماد تحبوا ثم تنفد . ولما انبعثت النهضة الحديثة كانت الشام كسائر الأقطار العربية تغرق في جهلها غطيظاً رثى لها منه حتى العدو الثامت . وينكفي في اثبات جهلها ان الطباعة انتشرت في القرن الخامس عشر للميلاد في بلاد القرب وطبع علماء المشرقيات هناك بعض كتبنا العلمية والأدبية باللغة العربية ونحن لم نعرف شيئاً عن الطباعة الا بعد أكثر من مئتي سنة وما علمنا بما طبعة الغربيون من تراثنا العظيم الا بعد أحقاب طويلة .

الجهل يخرب البيوت الناصرة . وعجيب من سلطان هذا الجهل الذي خيم على القلوب والأفكار عصاراً وصبت به جميع أوضاعنا كيف نجا من يرثه الغليظة بعض أفراد احتفظت نفوسهم بشيء من يربق الحقائق وتجلى استعدادهم للاخذ بطرق الرقي واسباب التجدد في عهد بلغ من خمول العقول فيه وتور الحمم ان كان بعض المنورين يحفظون القرآن كالبغاة ولا يقرأون تفسيره ، ويتعلمون الفقه ولا يبحثون عن اصوله وفروعه ، ويتبركون برواية الحديث ويخلطون سليمه بسقيمه وبدرسون العروض ولا ينظمون الشعر ويقرأون ما يطلقون عليه علم المعاني والبيان والبديع ولا يحسنون كتب خطبة مؤثرة ولا صفحة مفهومة ، ويأبسون سجع مزعج ، وشعرهم سخيف ، ويستظهرون قواعد النحو ولا يتلون جملة صحيحة ويتدارسون دساتير التصريف ولا يصححون الرسم ولا الاملاء . ويعظ الوعاظ ويخطب الخطباء ولا يحسنون قراءة آية على وجه صحيح ولا يجودون القرآن ولا يحسنون ترتيبه . ولقد ادركت قضاة لا يحسنون كتابة سطر صحيح ويعجزون عن أخذ حكم من الاحكام الموجودة في الكتب ، ورأيت الأمية تكسوم من فرقهم الى قدمهم ، وليس لهم من لوازم مناصبهم الا الشعار واجبة التفضاضة . وليس هناك اطباء ولا صيادلة ولا مهندسون ولا محامون ولا فلاسفة ولا رياضيون ولا فلكيون دع العلوم الأخرى التي امتاز بها الغرب وكانت سبب تفرقه ، وظلت بلادنا منها صفراً بضعة عصور فأثرت على أكثر قواها الحيوية ، وهي راضية عن عمايتها لا تتلمس سبيلاً الى الخروج منها .

وبينا كان المسلمون يتهاوتون على تعلم اللغة التركية لتولي اعمال الدولة ويكادون ينسون لغتهم وقوميتهم راضين مختارين كان المرسلون الاميركان واللاتين ينشئون في بيروت وبعض قرى لبنان للدعوة الى البرتستانتية والكثلكة مدارس تعلم اللغة العربية في جملة ما تعلم وذلك منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر على حين كان هذا اللسان في حالة النزاع في أمهات البلاد الداخلية ،

وبفضل النهضة التي أحدثتها هؤلاء الغرباء الأعاجم في بلادنا وبعوامل أخرى جاء بها الزمن نشأ بين ظهرائنا أفراد تشعبت نفوسهم بحب العلم فعدوا مفخرة للآداب أمثال عبد الغني الميداني محمود حمزة أحمد فارس يوسف الأسمري إبراهيم الأحمد عبد القادر الحسيني أمين الجندي ناصيف اليازجي إبراهيم اليازجي بطرس البستاني إبراهيم الخوري عبد الله البستاني سعيد الشرتوني أديب اسحق وزق الله حسون ميخائيل مشاققة يوسف داود يوسف الدبس محمد الطنطاوي .

وكثر عدد المؤلفين في بيروت حاضرة لبنان قبل غيرها من الحواضر لأن مدارس الأجانب والمدارس الوطنية انبثقت بعيت بتعليم العربية ، ونظرت الصحف في بيروت وأنشئت المطابع فيها قبل غيرها من المدن وأخذ القوم في الساهر يتلقون اللغتين الفرنسية والانكليزية ويحتكون بالأجانب ويتقبلون مدينتهم بصدور رغبة وبدأ القرام يزيد بقول الشعر وكتابة المقالات والقاء الخطب .

وكان من أول الرجال الذين تنبهوا الى اهمال المسلمين لغتهم وحاولوا جبرتها هذا النقص بكل حيلة عالم عصره الشيخ طاهر الجزائري فانه سعى فأنشأ المدارس الابتدائية الحكومية في ولاية سورية العظيمة ثم عاون معاونة فعلية في انشاء المدرسة الثانوية في دمشق وأسس دار الكتب الظاهرية بدمشق ودار الكتب الخالدية في القدس . وكان يؤلف كتب التدريس للمدارس الابتدائية وبعض الثانوية ولم ينشر كتبه الخاصة التي كان فيها هوئ نفسه وآثر ان يضع الأسس للمدارس فيتعلم الناشئة ومنهم يكون العالمون والمؤلفون في المستقبل .

ولا أغلو اذا قلت ان معظم من تعلموا وكثروا على نباهة تؤهلهم للأخذ بتعاليم هذا العالم العامل هم الذين يتولون اليوم مناصب التدريس والادارة على اختلاف ضروبها وعم حركة البلاد في طلبها وصناعتها وتجارتها وزراعتها . ومن لم يأخذ عن الشيخ الجزائري مباشرة أخذ عنه بالواسطة ، ومن لم يقرأ كتبه ويحضر مجالسه انتفع بكتب تلامذته وبجالسهم . وما بلد في الشام من يجرها الى

باديتها ومن عريشها الى قراتها تخلو من رجل تخرج به واقتبس من نور علمه
واخذ عنه ما ساعدته قريحته وذكوه .

والشيخ من الكتب المطبوعة (توجيه النظر الى أصول الأثر) و (التبيان
لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن) وهذا هو المقدمة الصغرى من مقدمتي تفسيره ،
وتفسيره مازال في المخطوطة المخطوطة في دار الكتب الظاهرية في اربعة مجلدات .
ومنها (التقريب لأصول التعريب) و (شرح خطبة الكافي) وهو معجمه اللغوي
ضاع أكثره و (شرح خطب ابن نباتة) و (رسائل في علم الخط) و (جدول
الحروف العربية القديمة والحديثة واخذية واليونانية الخ) . وكان الشيخ يتقن
الفارسية والتركية والقبائلية ويلم بالفرنسية والعبرية والسريانية والحشية . ومن
تأليفه (اتمام الانس في عروض الفرس) و (ارشاد الالبا الى تعليم الفبا) وهو
كتاب في علم الترية . و (بديع التلخيص وتلخيص البديع) و (تسهيل المجاز الى
فن المعنى والألفاظ) و (التمرين على البيان والتبيين) و (الجواهر الكلامية في العقائد
الاسلامية) و (الحكم لمنشورة) و (دائرة في معرفة الاوقات والايام) و (عمدة المغرب
وعدة المغرب) و (الفوائد الجسم في معرفة خواص الاجسام) وهو كتاب في
الطبيعات سماه بهذا الاسم لثلا يستريب منه المتزمتون المتعصبون . و (مدخل
الطلاب الى علم الحساب) و (مد الراحة لأخذ المساحة) و (التجريد) وهو تدريب
اللسان على تجويد البيان ، و (منية الاذكياء في قصص الأنبياء) و (ميزان الافكار
شرح معيار الاشعار) و (مختصرات أمثال الميداني) و (مختصر شرح كتاب أمنية الالمى)
و (مختصر أدب الكاتب لابن قتيبة) . ومن أهم الكتب التي ضاعت أكثر اجزائها
كنانيشه لما عاد من القاهرة الى دمشق بعد تغييه في مصر ثلاث عشرة سنة
وفي كنانيشه خلاصة ما قرأ من المخطوطات وملاحظاته عليها وله مجموعة في مجلد
ضمنها ذكر ما يجب احياؤه بالنشر من المخطوطات العربية الموزعة في خزائن الشرق
والغرب . ولا يبعد ان يكون للشيخ تاريخ دون فيه ما سمعه وراآه فانه كان له

في فن السياسة وعلوم الاجتماع ولا سيما ما كان له علاقة بالحضارة الغربية يد
طولي . ومما ألفه وبقي مخطوطاً (الامام بأصول سيرة النبي عليه السلام) و (مقاصد
الشرع) . وقد نشر الشيخ كثيراً من كتب البلغاء أمثال كتاب (الحنين الى
الايوان) (للجاحظ) و (الادب الصغير) لابن المقفع و (روضة العقلاء) لابن حبان
البستي وكتاب (الادب والمروءة) لصالح بن جناح . ومنها (ارشاد القاصد)
لابن ساعد الانصاري (وتفضيل الثناتين) لاراغب الاصفهاني و (الفوز الاصغر)
لابن مسكويه . هذا الى ما نشره من هذا القليل وكفه مما علق عليه وشرحه
فضلاً عن الكتب القديمة التي نشرت بعنايته وارشاده في مصر والشام وهي كثيرة .
والشيخ فوق هذا مقالات علمية كثيرة نشرها في المجلات المصرية والشامية
وأكثرها بدون توقيع .

أليس هذا الشيخ مثلاً أعلى للمؤلفين المحدثين ، ألا يحق لدمشق ان تفاخر بأن
كانت مثابة علمه ومنبعث نبوغه في هذه المئة الرابعة عشرة ، كما كانت في المئة
السابقة مباءة نبوغ أعظم فقهاء عصره السيد محمد عابدين صاحب الحاشية المشهورة
والتاوي الحرة الذي نظم علم الفقه بنظام دقيق قرب مناله على الدارسين كما
نظم طاهر الجزائري في هذا الجيل حركة النهضة العلمية وما ذهب من هذا العالم حتى
رأى تلاميذه يؤلفون ويشتهرون في العالم العربي والغربي بتأليفهم .

أما في الساحل فقد حاول بعض رجال النهضة فيه ان يلبسوا العلم العربي ثوباً
جديداً تجلوا فيه النفع لفئة مخصوصة اكثر من الطرق القديمة فأنشأوا يجمعون
من الكتب الاسلامية ما لا يروقه ويصوغون الأدب في قالب وقع استحسانهم
عليه حتى انهم وضعوا في اوقات مختلفة سبعة معاجم عربية منها (محيط المحيط)
(قطر المحيط) لبطرس البستاني و (أقرب الموارد) لعبد الشرتوني و (البستان
وفاكهة البستان) لعبد الله البستاني ومعجم الطالب والمنجد والمعتمد ومنجد الطالب
بتأليفها من أمهات المعجمات المشهورة وعروها عما استبحروه من الفاظ زعموا انها
ناية عن الادب المصري الحديث .

ومن أهم ما نشره بطرس البستاني وبعض النابيين من أسرته (سليم ونجيب وسليمان) دائرة المعارف العربية وهو عمل عظيم كان له في الاقدام على تأليفه فضل الباقين فهو مؤلف أول معلمة عربية وساعد على نشرها الخديوي اسماعيل جد جلالة فاروق الأول ملك مصر ولم يصدر منها سوى احد عشر جزءاً ضخمة . ومما يكن بهذا الكتاب العظيم عنوان الجدة السوري وراموز الولوع بالعلم والغيرة على نشره ولم تقدم مصر على مثل هذا العمل الى اليوم مع وفرة أسباب التأليف فيها اكثر من سورية قبل سنين سنة . ولا غرو فان لبني البستاني أبادي أيضاً على الآداب في هذه الديار خدموها بأقصى ما وصلت اليه طاقاتهم وساعدتهم يثمتهم . ومن اشتهر منهم سليمان مترجم الياذة هوميروس شعراً وضع لها مقدمة متعة وكذلك كان شأن نسيبه عبد الله فانه كان اماماً في اللغة الا ان تأليفه ليست على مقدار علمه ومن أخذ عنه تلميذه شكيب ارسلان فبرز في الكتابة والشعر وتأليفه كثيرة ومقالاته اكثر من أسفاره ورسائله تدل على عبقرية نادرة ونشاط عظيم . وتخرج بعد الله هذا وبالمعلم سعيد الشرتوني وبالشيوخ ابراهيم اليازجي والشيخ ابراهيم الجوراني كثير من رجال العصر من المؤلفين الجوديين . ومن اشتهرهم امين تقي الدين وبشارة الخوري الشاعر وشبلي ملاط ونسيب ارسلان وعادل ارسلان . ونشأ من الشعراء والكتاب والمؤلفين في يثبات أخرى كثيرون امثال قاسم الكسبي ومصباح رمضان . عبد الحميد الرافي شاعر شاعر سليم الجندي فؤاد الخطيب خليل مردم بك احمد تقي الدين رشيد تقي الدين سعيد عقل امين ناصر الدين سليم شحوري سليمان ضاهر ابراهيم طوقان محمد الشربقي خير الدين الزركلي شفيق جبري طانيوس عبده ادب التقي عمر حمد محمد الحلالي محمد الشال نخري البارودي عمر ابوريشة انور العطار علي الناصر صالح طه حليم دموس الياس ابوشبكة ابلياً ابو ماضي عمر الفاخوري عمر يحيى بدر الدين الحامد سليم قصاب حسن عبد الرحمن القصار احمد الطرابلسي زكي المحاسني عبد الكريم الكرمي جميل سلطان محمد علي

الحرماني محمد سليمان احمد ، احمد عبد الرؤوف الامين عبد الحسين صادق . ومن هؤلاء الشعراء من كان له تاحية بارزة في الأدب ألف فيها وأفاد وكان في الكتابة آية ومنهم الزركني وجبري ومردم بك وانخاسني والكرمي وسلطان والطار والتمقي ومن نشأ من المؤلفين في العلوم الطبيعية والطبية والزراعية والكمبيوتر والرياضة والاقتصادية والفلسفة شبلي شميل بشارة زلول عبد الرحمن شبنندر منصور جرداق مصطفى الشهابي مرشد خاطر حسني سبيح محمد محرم صلاح الدين الكواكبي شوكة الشطي منيف العائدي عاطف المالح جميل صليبا جميل اخاني اسعد الحكيم عبد الوهاب تنواقي احمد حمدي الخطاط مصطفى الخالدي جمال الفراوصني زكريا سامي الحداد فؤاد غمدن منير الشريف قدري حافظ طوقان جمال زريق اسكندر بارودي رثيف ابي اللمع جمال نصار شريف عسيران حكمة المرادي أمين معلوف عمر ترماني خليل سعادة خليل سعد حسين سري الدين وغيرهم .

ومن المؤلفين في العلوم الادبية والتاريخية والسياسية لويس شيخو عبد الرحمن كواكبي محمد المبارك احمد رضا فيليب طرازي محسن الامين سليم البخاري سويريوس افرام جرجس هماد داود عمون نعم لبي نعم مكرزل احمد عيد معروف الارناؤط عيسى اسكندر معلوف اسعد منصور فيليب حتي عبد القادر المغربي خليل بيندس امين الريحاني جبران خليل جبران ابراهيم سليم النجار ادوار مرقص تقولا فياض سليم مركيس عبد القادر القصاب عبد القادر بدران خليل طوطح عمر الاتامي عجاج نويهض عبد الله مخلص نزيه المؤيد ميخائيل نعيمة كامل الغزي راغب الطباخ قسطنطين حمصي سليمان عن الدين جبر صومط بذر الدين النعساني بندلي جوزي انيس المقدمي يوسف الخازن عمر فروخ مصطفى الغلاييني محي الدين الخطاط احمد الصايوني زكريا التصولي عن الدين التنوخي امين سعيد عبد الرحمن الكيالي طاهر النعنان عبد الحسيب الشبغ سعيد ، عمر كحالة عمر الصالح البرغوثي سعيد ابو جرة بولس الخولي صلاح الدين السعدني يوسف البستاني اسد زمت

جرجي بني فؤاد افرام البستاني يوسف غديوب احمد الكرمي جعفر الحسني عيسى
 اسعد جميل العظم احمد نصرت الشلق احمد فوزي السادتي ابو اليسر عابدين
 محمود النحاس محمود التجار محمد خير الطباع عبد الحكيم الافغاني سعيد البحرة
 فيليكس فارس امين السفرجلاني عبد الحميد الزهرراوي جميل نخلة مدور حقي العظم
 انطون صالحاني نسيب شهاب نعمان قساحلي وجيه الكيلاني محمد الفراتي داود
 ابو شعر عبد الغني شهبندر اسعد خليل داغر محمد علي الجزائري امين ضاهر خير الله
 جرجي شاهين عطية زكي مغامر محمد احمد دهمان جميل الشطي فائز الفصين سعيد
 الافغاني حنا خباز علي الطنطاوي صلاح الدين المنجد ابراهيم الكيلاني اسعد
 طلس خلدون الكناني سليم قبعين جرجي باز عيسى بندك امين الغريب امين الكيلاني
 (وهذا كتاب من الطراز الأول في السخرية) فؤاد حمزة عارف الزين خليل
 تقي الدين نجيب الرئيس قسطنطين زريق عادل زعتر عادل نجبر داود قربان
 يوسف خياه الدين الخالدي محمد روجي الخالدي فيضي العلمي شكيب الجابري
 جرجس شلحت بطرس البستاني (الخوري) حبيب الزيات سامي الكبالي محمد
 الحسيني ياسين الجموي يوسف العش نجيب نصار عمر أبو النصر وجيه ينفوت
 شكري العلي سعيد حيدر احمد كرد علي نجيب صليبا عبد القادر المؤيد محمد
 الداوودي عبد الحميد المغربي حسن يهم صليبات مصوبع عبد القادر الكرمانلي
 عمر غروخ وغيرهم .

وفي العلوم الفقهية والحقوقية والإدارية والاجتماعية والدينية طاهر الأتلي
 عبد المحسن الأسطواني جمال القاسمي حسين الجسر يوسف النبهاني ابو الهدى
 الصيادي سليم باز جرجس صفا اسماعيل الحافظ بد الدين الحسني عارف النكدي
 لميخائيل النيشابوي سعيد النعمان ناجي أديب حسني عبد الهادي بيعة الميطار
 نجيب ابو صوان مصباح محرم فارس الخوري سعيد المحاسني عثمان سلطان احمد
 البهاني شاكر الحنبلي احسان الشريف نجيب ارمنازي ابراهيم هاشم سعيد الباني

نجيب خلف محمد علي حشيشو يوسف صادر سامي اليداني محسن البرازي محمد سعيد العرفي فوزي الغزي واصف البارودي محي الدين اخاني عبد الحميد اخاني عبد الحميد الجابري امين عز الدين فائز الخوري صبحي الحصاني .

ويكثر العلماء في هذه الفروع ولما كان كلامنا لا يتناول الا من ألفوا وصنفوا لم نعرض لذكرهم كما اننا لم نشر الى من ألفوا تأليف مدرسية فهؤلاء كثيرون أيضاً، وعلى من يعرفهم معرفة احاطة ان يتقدم بالكلام عليهم تنويهاً بفضلهم وحسن بلائهم في خدمة الناشئة .

ومن المؤلفات ملهى صائغ ووداد سكا كيني ماري عجمي منيرة علي مليحة سعيد نبجلا صعب أدبية فارس فلك طرزي نظيرة زين الدين وغيرهن . ولا بد من الاشارة الى أن تأليف المصريين الحديثة اليوم تكتب بلغة أسلس من كتب المؤلفين الشاميين لهدنا وكانت كتب هذه الديار منذ نحو نصف قرن اعرق في البلاغة من كتب المصريين يومئذ وعلى كل فقد سبقت مصر والشام جميع الأقطار العربية الى التأليف ويحيى بعدهما العراق وتونس ثم سائر الأقطار وكل قطر لم يكن فيه حظ للغربيين تقل على ما يظهر حركة العقول في أبنائه وقد لوحظ أن حركة التأليف في بيروت قوت بعض الشيء منذ نحو عشرين سنة وهبت هبة مباركة في دمشق لوجود الجامعة السورية والجمع العلمي العربي وغيرهما من المعاهد والجمعيات الساهرة على نشر العلم والآداب .

وبعد فان الانصاف يتقاضانا ونحن في آخر هذا الحديث الا نفعل عن التنويه بفضل من كانوا مثال الفيرة على لغتنا وتاريخنا أولئك الأعاجم الذين نزلوا بلادنا واستعربوا وكتبوا تأليفهم بلساننا وأفادونا بعلمهم وبما ألفوا لنا من كتبهم الممتعة فكانوا من أعظم العوامل في نهضتنا ، امثال فاندريك وورتيات وبوسط وبورتر ولامنس وعالي سميت وغيرهم فانهم مها كانت الغاية من تأليفهم قد أسدوا جيلاً الى أدبنا فحق لهم ان يدبجوا في جملتنا ويقدروا من عشيرتنا فعل أرواحهم الذكية منا السلام .

ونرسل سلاماً ممزوجاً بالحرمة والاعجاب الى أولئك الذين هاجروا من أبناء هذه الديار الى الاميركتين وتوفروا هناك على نشر لغتنا واصدروا صحفاً ومجلات وكتباً ورسائل وعزّ عليهم ان يخرجوا عن العروبة وما زالوا يدأبون ليحفظ أبناؤهم بعريبتهم فهؤلاء أهلنا ومفخرة العرب حيث حلوا . وقد رأينا تأليفهم نمطاً آخر من أنماط التأليف الشامية لمكان البيئة التي انشأتهم بعد موطنهم الأول نشأة جديدة وطبعتهم بطابع طريف من طوابع العالم الجديد فعلى من يعرفهم أو يعرف جلهم ان يتفضل فيكتب لنا فصلاً في أعمالهم .

وأختم هذه العجالة بالاعتذار عما يكون وتجمع لي من نقص في سرد أسماء المؤلفين فربما فاتني اشخاص لم أذكرهم عند وضع هذا وعلى كل فأنا لا أدعي الاحاطة والاحاطة تتطلب درساً أوفى وأطول .

محمد كرد علي

(١) الأدب العربي في بلاد فارس

الصابون والبرانيون قبل الإسلام

ليس من قصدي أن أتكم في الصلات اللغوية والأدبية التي كانت بين الساميين عامة والعرب خاصة وبين الإيرانيين قبل الإسلام . فأجتزئ بأن أقول أن الآشوريين والبابليين كان لهم سلطان سياسي ، وسيطرة أدبية على إيران ، ولا سيما غيرها منذ ألف سنة قبل الميلاد ، ويتبين هذا في الأمور الآتية :
١ - أن آثار الدولة الفارسية الأولى التي نسميها الآثار الفارسية هخامنشي ، ويسمونها الأوريون الأكينين وتسمى بأسماء أخرى في أساطير الفرس - آثار هذه الدولة كتبت بلغات إحداها سامية ، وكتبت بخط مسماري مشتق منه بخط الآشوري .

٢ - وإن لغة إيران أيام الساسانيين ، اللغة التي تسمى الفهلوية كتبت بخط مأخوذ من الخط الآرامي ، واشتملت على كثير من الألفاظ السامية ولا سيما الآرامية منها .

وكان من أثر هذا الاختلاط هذا الخط العجيب الذي سماه ابن النديم هن دارش . وهو خط تكثر فيه الكلمات الآرامية بل تجده فيه ما لا يستعار من لغة إلى أخرى من الضمائر وأسماء الإشارة والاستفهام والموصولات وحروف العطف والجر ، وعلامات الجمع والأعداد .

وقد نسر هذا تفسيراً عجيباً ذلكم أن الكاتب بالخط الفهاري الغامض كان

.. (١) محاضرة أليت في المجمع العلمي العربي ١٢ أيلول سنة ١٩٢٦ :

إذا خشي أن تتبهم الكلمة إذا كتبها باللغة الفارسية وضع مكانها كلمة آرامية تتضح في هذا الخط فإذا أراد أن يكتب «كوشة» مثلاً وهو اللحم بالفهلوية كتب «بيرا» بالآرامية وقرأها «كوشة» وإن أراد أن يكتب «نان» وهو الخبز بالفهلوية كتب «نخا» بالآرامية وقرأها «نان» وهكذا . . .

ومعنى هذا أن الكاتب الفهلوي على هذه الطريقة كان يعرف الآرامية فيستعين بها في مواضع اللبس .

*
*
*

وأما العرب فقد جاؤوا الفرس وخالطوهم وكان بين القبائل العربية والدولة الفارسية أحداث وغيور من سلم وحرب وموادة ومعاداة وسيطر الفرس على أقاليم عربية . وقد روي أن سابور الملك الساساني صالح العرب وأمكن بعض قبائل تغلب وعبد القيس وبكر بن وائل كرمان وتوتج والأهواز .

وقد ذكر مؤرخو الفرس أن بهرام كور الملك الساساني نشأ في الحيرة في كفالة المنذر أحد أمراءها وتأدب بآداب العرب وعرف لغتهم ونظم بها الشعر وكان أول من نظم الشعر الفارسي وقد أنكره عليه الموابذة ومنهوه عنه .

وكذلك دخلت الفاظ فارسية في العربية وعرف بعض العرب الفارسية ، وكان عدي بن زيد ، وابنه زيد بن عدي يكتبان لكسرى بالعربية والفارسية .

وفي أساطير الفرس صلات كثيرة بين العرب والفرس لما دلالتها .

في العصور الإسلامية

فتح العرب إيران لنشر الدعوة الإسلامية وشمل الفرس عدل المسلمين وإحسانهم ، وسارعوا إلى الدخول في الإسلام فعمتهم الأخوة الإسلامية .

قال الطبري : فكانوا كأنما هم في ملكهم إلا أن المسلمين أوفى لهم وأعدل عليهم . فاغبطوا وغبطوا بل أسلم بعض الإيرانيين ونصروا العرب في وقائع الفتح .

أسلم الديلم بعد القادسية وشاركوا في فتح جلولاء ونزلوا الكوفة ، وشارك أحد

أعيان الفرس في فتح الري وتولاها بعد الفتح . وطلب سياه أحد زعمائهم أن يفرض له كما كثر ما يأخذ عربي ليشارك في الفتح .

وقد انساح العرب في أرجاء إيران منذ عهد عمر ، أذن لهم الخليفة في الانساح حين ثار أهل فارس والجبال . وقد روى الطبري قول عمر : ألا وان المصريين (البصرة والكوفة) من مساحهم اليوم كأنتم والمصريين فيما مضى من البعد . وقد غلبوا في البلاد والله بالغ أمره .

وبالفتح صارت لغة القرآن لغة الدولة ولغة العلم والأدب في إيران ، يستعملها العربي والعجمي في علوم الدين وغيرها . وبقيت زهاء مائتين وخمسين عاماً منفردة بالعلوم والآداب لا تشاركها لغة أخرى الا كتب دينية قليلة كتبها المجوس بالفهلوية تبييناً لدينهم ودفاعاً عنه .

وصارت العربية كذلك لغة الخطاب بين المثقفين ، وفي الأمصار الكبيرة ولا سيما في خراسان وغربي إيران .

وفي النصف الثاني من القرن الثالث الهجري شرع الفرس يستقلون عن الخلافة في أرجاء من إيران . وكانت دولهم تعظم على مقدار تأخرها زماناً وبعدها عن دار الخلافة مكاناً :

نشأت إمارة الصفاريين في سيجستان شرقي إيران وامتدت شطر المغرب حتى قاربت العراق وبدأت عهدها بالثورة على الخلافة . وقد قرنت الأساطير الفارسية نشوء هذه الدولة بنشوء آيات من الشعر الفارسي .

ثم قامت فيما وراء النهر وشمال إيران الدولة السامانية وقد انتقل مؤسسوها من ولاية للعباسيين الى ملوك مستقلين يقرون بالطاعة للعباسيين قولاً . وفي رعاية هذه الدولة التي نشأت في إقليم قصي نشأ الأدب الفارسي وحاولت الفارسية أن تشارك العربية في العلوم والآداب .

فشرع الفرس يترجمون الكتب العربية الى لغتهم كما ترجم العرب من قبل الكتب الفارسية الى العربية فترجم تاريخ الطبري وتفسيره مختصرين .

وشرع الفرس يؤلفون بالفارسية ابتداءً . ككتاب أبي منصور الهروي في الطب .
وشرع الشعراء ينظمون بالفارسية وينبع الرودكي البصرقندي أول شعراء
الفرس الكبار أواخر القرن الثالث وأوائل الرابع . وقد ذكرت كتب الأدب
الفارسي ثلاثين شاعراً في عهد بني سامان .

وأما الدولة البويهية التي قامت في غربي إيران سنة ٣٢٠ هـ واستولت على بغداد
بعد أربعة عشر عاماً ودام لها السلطان على دار الخلافة أكثر من مائة سنة
فكانت في سلطان الأدب العربي ونظم معظم أمرائها بالعربية ، وكان من كتائهم
أئمة في الكتابة العربية وحبيكم ابن العميد ، والصاحب بن عباد ، والوزير
المهلب ، وأبو إسحاق الصابي .

ومما يصح به القياس بين اللفتين في دولة البويهيين أن صاحب مدحه بالعربية
خبسون شاعراً ولم يمدحه بالفارسية إلا شاعران : المنطقي والخسروي .

والدولة الزيارية التي سيطرت على الاقليم الذي بين جبال البرز وبحر قزوين ،
وهو الاقليم الذي احتجز عن سائر أقاليم إيران واستعصى على العرب سنين طويلاً
بعد أن فتحوا إيران — أعني إقليم طبرستان فقد تسمى ملوكها وتلقبوا بالأسماء
والألقاب الفارسية مثل : قابوس وكيكاوس .

وقد مدح قابوس صاحب الرسائل العربية المعروفة باسم كمال البلاغة شاعران
من شعراء الفارسية : الخسروي والسرخسي . وألف كيكاوس حفيد قابوس
كتاب « قابوس نامه » بالفارسية .

وأما الدولة الغزنوية فهي دولة تركية النسب وقد امتد سلطانها على إيران
الشرقية والشمالية وبلغت من السطوة ما لم تبلغه دولة قبلها في إيران في العصور
الإسلامية . وكان الأدب الفارسي قد ازدهر فاجتمع حول السلطان محمود بن
سبكتكين كثير من شعراء الفارسية . وإلى محمود أهدى الفردوس الطوسي
كتاب — الثبائمه — المنظومة التي تضمنت أساطير الفرس وتاريخهم منذ العصور
الخرافية إلى الفتح الإسلامي . وكتبت بالفارسية كتب قليلة : كتب اليعقوبي

الشاعر تاريخ السلطان محمود ، وكتب البيروني كتاب التفهيم في التنجيم بالفارسية والعربية وترجم نصر الله بن عبد الحميد كتاب كيلة ودمنة الى الفارسية .
وحينما امتد سلطان السلاجقة على إيران في القرن الخامس والسادس ، وكانوا تركاً بداءة ، كان الأدب الفارسي استحكماً ونضجاً . وقد عدّ عوفي مؤلف لباب الألباب في تاريخ شعراء الفرس أكثر من مائة شاعر عاشوا في ظلال هذه الدولة .



نشأ الأدب الفارسي الحديث في أواخر القرن الثالث الهجري ونما وتوسع على مر الزمان ، ونبغ الشعراء والكتاب باللغة الفارسية . فكيف كانت مكانة العربية في العلم والأدب بعد أن نشأ لإيران لغة علمية أدبية :
تختلف أحوال اللغتين في الشعر ، وفي النثر ، وفي كتابة التأليف . أعني في البيان الذي يغلب فيه العاطفة والخيال ، والبيان في الحقائق التي لا شبه فيها من العاطفة والتخيل ، وما هو وسط بين هذا وذاك .

فأما الشعر فقد أولع به الفرس منذ نشأت لغتهم ، وكثر الشعراء على مر العصور ، ونبغ عظماء الشعراء فيستطيع مؤرخ الأدب أن يعد منذ القرن الرابع الهجري من أئمة الشعر الفارسي من لا يجد نظيرهم كثرة ومكانة من شعراء العربية في إيران ولقي هؤلاء الشعراء من الملوك تأييداً وتشجيعاً فالتفوا حولهم ونظموا لهم القصائد والقصص المطولة .

ولكن الشعر العربي لم يضمحل بظهور الشعر الفارسي بل بقي مزدهراً شائعاً في أرجاء إيران . عدّ الثعالي في الجزأين الثالث والرابع من كتاب الينخة مائة وواحداً وخمسين شاعراً نظموا بالعربية في عصره . وهؤلاء أكثر من كل من ذكرهم محمد عوفي في لباب الألباب من شعراء الفارسية منذ نشأ الشعر الفارسي الى حين تأليف الكتاب .

وقد ألب في أوائل القرن السابع الهجري وعدد صاحب دمية القصر ثلاثمائة

شاعر بالعربية وسنين بعد أثر الشعر العربي في هذا الشعر الفارسي الذي زاحم منذ القرن الرابع كما قدمت .

ويدل على أن إيران بقيت إلى غارات التتر على الأقل ، موطناً رحيباً للشعر العربي أن ثلاثة من كبار شعراء العرب عاشوا فيها ووجدوا مجالاً ومستقراً .
وحسبنا أن بنشاً في إيران في القرن الخامس الشاعر القرشي الأموي ، الذي أشاد بمجد العرب وأخلاقهم وأديبهم ، ومثل في شعره طموحهم وإباءهم ، وصور مواطنهم وعاداتهم وبيئاتهم وهو أبو المظفر الأبيوردي المتوفى سنة ٥٠٧ هـ فقد نشأ في أبيورد من خراسان ونبع في الشعر هناك وتردد من بعد بين العراق وإيران ومدح خلفاء العباسيين وأمراء العرب من بني صدقة أمراء الخلة وغيرهم ومدح ملوك الدول الأعجمية كذلك . وما يخرج شاعراً كالأبيوردي إلا موطن للأدب العربي خصيب ، وجناب للغة العرب رحيب .

والشاعر الثاني القاضي ناصح الدين الأرجاني ينتسب إلى أرجان في إقليم فارس وهو الصقع الجنوبي الغربي من إيران وهو شاعر أنصاري يبعد من كبار شعراء العربية ولد سنة ٤٦٠ وتوفي سنة ٥٤٤ .

وأدل من هذين على تمكن الأدب العربي في إيران حتى القرن السادس الهجري أن أبا اسحاق الغزي الكلبي هاجر من بلاد العرب إلى إيران فأمضى النصف الثاني من عمره فيها ومات بها ومدح كثيراً من ملوكها ورؤسائها .
ولد الغزي سنة ٤٤١ وتوفي سنة ٥٢٤ .

*
*
*

والشر يخالف الشعر وقد بقي السبق فيه للعربية إلى غارات التتر سواء في هذه الرسائل الديوانية والرسائل الخاصة المعروفة بالأخوانيات . وقد حاكى الفرس كتاب العرب ولم يدر كوا شأوم .

ولسنا في حاجة إلى بيان مكانة الكتابة العربية في دولة بني بويه ، وحسبنا أن نذكر من وزراء هذه الدولة أبا الفضل بن العميد والصاحب بن عباد .

ولم تكن العربية دون الفارسية فيما وراء النهر في دولة السامانيين . ونجد نفقا من الأخبار تدل على أن كبار كتاب الدولة كانوا يكتبون بالعربية : مثلاً الاسكافي كاتب نوح بن منصور الساماني كتب حينما هزمت الجيوش السامانية ما كان بن كالي : « وأما ما كان فقد صار كاسمه والسلام » .

وأحمد بن الحسن البيندي ، وزير للسلطان محمود الغزنوي ، ولابنه مسعود عشرين سنة ، وكانت يكتب بالعربية في هذه البقعة النائية . ومن توقيعاته المأثورة ما كتبه لجماعة طلبوا أن يحط انخراج عنهم : « انخراج خراج ، دواؤه . أدأؤه » . ومن الدلائل على أن العربية كانت ذات المكانة الأولى في دواوين هذه الأصقاع وان كانت لغة العامة اعجمية أن أحد وزراء الغزنويين اتخذت الفارسية لغة الدواوين ، ولو ان العربية كانت غريبة في تلك الأقطار لوجد هذا قبولاً ، واستمرت الدواوين بالفارسية لغة البلاد . ولكن الوزير أحمد بن حسن البيندي ردّ الدواوين الى العربية . ومن الممتع في هذا ان قرأ ما كتبه في هذا الصدد العتي الذي كتب تاريخ محمود بالعربية مجوعاً كله . قال في كتابه :

« وكان الوزير ابو العباس قليل البضاعة في الصناعة لم يعن بيها في سالف الأيام ، ولم يرض بنائه بخدمة الأقلام ، فانتقلت اغاطيات مدة أيامه من العربية الى الفارسية . حتى كسدت سوق البيان ، وبارت بضاعة الاجادة والاحسان . واستويت درجات المعجزة والكفاءة ، والتقى الفاضل والمفضول على خطي الموازنة . ولما سعدت الوزارة بالشيخ الجليل . . . فجزم على أوشحه ديوانه أن يتكبروا ويتجاشوا الفارسية إلا عن ضرورة من جهل من يكتب اليه وعجزه عن فهم ما يتعرب به عليه » .

فهذه حال العربية في أفغانستان في القرن الخامس الهجري

وأما الرسائل الاخوانية فلم تبلغ الفارسية فيها هذه القرون مبلغ العربية ولم تنشئ الفارسية كاتباً كيدبع الزمان والخوارزمي وابن العميد وأبيد والصاحب ورشيد الدين الوطواط .

وكان البديع والخوازمي يكتبان بالعربية الى أمراء البلاد وأعيانها شرقاً وغرباً كأنهم في بلاد العرب ولولا معرفة المكتوب اليهم العربية وتقبل هذه الرسائل بقبول حسن ما كتب كتابها بالعربية .

*
*
*

ومما يبين ما بين اللغتين من صلات في تلك العصور الترجمة من العربية الى الفارسية ، والانشاء باللغتين .

ولم تقتصر الترجمة على الكتب التي ألقت بالعربية قبل أن تكون الفارسية لغة كتابة كالطبري وكتيلة ودمنة بل ترجمت كتب وضعت بالعربية بعد ان صارت الفارسية لغة تأليف كتاريخ بخارى للفرشخي . كتب لنوح بن نصر الساماني سنة ٣٣٢ وترجم الى الفارسية ٥٢٢ . وكتاب البيهقي الذي ألفه التي للسلطان محمود بالعربية ترجم من بعد الى الفارسية .

وكتب كثير من الأدباء باللغتين شعراً ونثراً وسمي كل منهم ذا اللسانين (دوزبار) وعطاء بن يعقوب له ديوانان عربي وأعجمي . وللبستي والباخرزي شعر فارسي ولا بن سينا والشيخ سعدى الشيرازي بل بديع الزمان الهمداني نظم بالفارسية قليلاً . ويقول صاحب المعجم في مماير أشعار العجم وقد ألفه في أوائل القرن السابع ان شعراء زمانه يعرفون اللغتين والحق ان معظم شعراء الفرس كانوا يعرفون العربية على اختلاف حظهم منها . وكثير منهم أنشأ بها كثيراً أو قليلاً .

على أن أمر العربية كان يضعف على مر الزمان شيئاً فشيئاً فمؤلف كتاب راحة الصدور في تاريخ السلاجقة يروي شعراً عربياً ويقول ان قليلاً في زماننا من يفهم مثل هذا الشعر .

ويقول عوفي في أوائل القرن السابع ان كل مستعرب يعرف الفارسية وليس كل فارسي يعرف العربية وقد ألف كتابه في العروض بالعربية فنتم طبعه أدباء زمنه فكتب ما يتعلق بأشعار العجم بالفارسية .

وأما اللغة العلمية لغة التأليف فقد كانت العربية مهيمنة عليها إلى غارات التتار ثم شاركت فيها بعد التتار، وما زال التأليف بها يقل على مر الزمان ولكنه لم ينقطع حتى عصرنا هذا .

وقد قال أبو الريحان البيروني إن الكتاب إذا ألف بالفارسية ذهب بهاؤه ، وقال إن لغته اخوارزمية وإن الفارسية والعربية سواء لديه ليست احداهما لغته ولكنه يرى الفارسية لا تصلح للتأليف .

قال : « إلى لسان العرب نقلت العلوم من أقطار العالم فازدانت وحثت في الأثمة ، وصرت محاسن اللغة فيها في الشرايين بالأوردة .

وقال : « وأهجر بالعربية أحب إلي من المدح بالفارسية وسيعرف مصداق قولي . من تأمل كتاب علم قد نقل إلى الفارسي كيف ذهب روثقه ، وكشف باله ، واسود وجهه ، وزال الانتفاع به إذا لا تصلح هذه اللغة إلا للأخبار الكسروية والأسماء البلية » .

وقال أبو هلال العسكري في القرن الرابع :

ولا نعرف اليوم عالماً جاهلياً ولا اسلامياً الا وأخذ عريون ومتعريون يكتبون باللفظ العربي واخط العربي .

وإذا نظرنا إلى جماعة من كبار المؤلفين كابن سينا ، وأبي الريحان البيروني ، والفزالي ، والرازي ، والروزي والبيضاوي ونصر الدين الطوسي وهم من مؤلفي القرون الرابع ، والخامس ، والسادس ، والسابع وجدنا لغة التأليف عند العرب لم يكتبوا بالفارسية إلا كتباً صغيرة لا تقاس بما كتبوا بالعربية .

فابن سينا وتأليفه بالعربية لا يحتاج إلى بيان ، كتب بالفارسية دانش نامه علائي لعلاء الدولة كأكربة أمير أصفهان .

والبيروني كتب بالعربية كتبه الخالدة وكتب بالفارسية كتباً في التنجيم وكتبه بالعربية أيضاً .

والفزالي لا يعرف له بالفارسية إلا كيمياء السعادة وقد كتبها بالفارسية

لا يفهم العامة كما يقول . وكتاب آخر يسمى نصيحة الملوك كتب بالفارسية كذلك .
والرازي له ثلاثة وثلاثون كتاباً منها واحد بالفارسية .
والبيضاوي له كتاب بالفارسية صغير اسمه نظام التواريخ ، وسائر مؤلفاته بالعربية .
والطوسي ، وهو من علماء القرن السابع وقد صحب هولاكو ، له زهاء خمسين
كتاباً قليل منها فارسي .

وقد استمرت العربية لغة للتأليف في إيران بعد غارات التتار على قلب الغير
بها وتحيف الزمان إياها . ولم يخل عصر من التأليف بها إلى عصرنا هذا . وحسبنا
أمثال صدر الدين الشيرازي والسيد الشريف الجرجاني وسعد الدين التفتازاني .

أثر العربية في الفارسية

وهذه اللغة الفارسية التي نشأت وترعرعت في رعاية العربية وكفالتها هي
اللغة الفهلوية التي كانت لسان الدولة ولغة العلم أيام الساسانيين ولكن كتبت
بخط العربي واشتملت على الفاظ عربية كثيرة . وقد أمدت العربية الفارسية غير
خفيفة . والألفاظ العربية في الفارسية تختلف كثرة وقلة باختلاف الموضوع ،
فهي في الشعر أقل منها في النثر ، وهي في النثر الأدبي أقل منها في لغة التأليف ،
ويجد قارئ النثر الفارسي أحياناً ألفاظاً عربية متوالية ليست للفارسية فيها إلا
التراكيب والصلات . وقد استمر هذا إلى يومنا ولا تزال العربية في هذا العصر
تمد الفارسية بالفاظ جديدة إلى الألفاظ التي أمدتها بها في العصور الخالية .
وكذلك استعمل شعراء الفرس الأوزان العربية والقوافي ، ولكن تصرفوا
بها بعض التصرف فزادوا في البحور وفي التفعيلات ، والزحافات والعلل ، واقتبوا
في نظام التنقيص .

وبقيت الأوزان العربية في معظم أشعارهم وبقيت اصطلاحات العروض والقافية
كلها . ومن العجيب أن شعراء الفرس هجروا الأوزان الشائعة في الشعر العربي .
وأكثرها من أوزان لم يكثر النظم فيها شعراء العرب . هجروا أوزان الدائرة

الأولى كتبها فلم ينظموا في الطويل والمديد والبسيط إلا محاولة بعضهم أن يستكمل الأوزان العربية ، ويبين عن قدرته على استيعابها .

وعمدوا الى أبجر الدائرة الرابعة التي فيها المتخشب والنجث والمخارح ، الأبجر التي يندر فيها النظم العربي فأكثرها النظم فيها وتفتتوا ، وشاركوا العرب في الأبجر الأخرى .

وفي هذا برهات على اختلاف مزاج الأمتين ، وتباين أذواقهما في توالي الحركات والسكنات في الأوزان . وعلم البلاغة العربي يسيطر على الفارسية بقواعده وألفاظه . وكتاب حدائق السمر لرشيد الدين الوطواط لا يختلف عن الكتب العربية إلا بأمثلة فارسية معينا أمثلة عربية .

وأخذ الأدب الفارسي موضوعات الأدب العربي كذلك فهو يستمد من الإسلام وتاريخه ومن تاريخ العرب ، ويزيد موضوعات مستمدة من تاريخ الفرس .

ويتنازع من الأدب العربي امتيازاً واضحاً في موضوعين :

الأول : الشعر الصوفي : فقد ذهب فيه شعراء الفرس مذاهب عجيبة ، وأبانوا عن دقائق النفس الإنسانية ، ونظموا المنظومات المطولة كحديقة الحدائق لجحد الدين سنائي ومنطق الطير لفريد الدين العطار ، والامثنوي لجلال الدين الرومي ، ومنظومات أخرى يضيق بها العد .

وما أنحسب أدباً يجاري الأدب الفارسي في هذا الصدد .

والموضوع الثاني القصص : فقد اثن فيه شعراء الفرس بين قصص حمامي مستمد من أساطير الفرس وتاريخهم كالأشعنامة ، وقصص غرامي كقصة ليلي والمجنون ، وخسرو وشيرين ، ويوسف وزليخا ، وهم في هذا لا يملون الإطالة وقل أن تنقص القصة عن خمسة آلاف بيت وكثيراً ما تجاوز عشرة الآلاف . وقد نظم القصة الواحدة شعراء عدة في عصور مختلفة .

عبد الوهاب عزام

الغزالي وزعماء الفلاسفة

- ٢ -

٥ - دراسة بعض المسائل

نتجحت الآن في المسائل الثلاث التي أشرنا إليها في المقال السابق

١ - مسألة المعرفة

مسألة المعرفة هي الأساس الذي يرجع إليه الخلاف بين الغزالي والفلاسفة .
فقد كان الفلاسفة يقولون ان المعرفة لا تتم بطريق التجربة ، بل تتم بإشراق
الصور من العقل الفعال على العقل الانساني . فالعقل يكون في أول امره عقلاً
بالقوة ، ثم يصير عقلاً بالفعل ، وذلك بما يصل إليه من الصور التي توديعها إليه
الحواس الظاهرة والباطنة . ولكن هذا الانتقال من القوة إلى الفعل لا يتم إلا
بتأثير العقل الفعال . وتمايز العقول الانسانية بعضها من بعض بمقدار استعدادها
للاتصال بالعقل الفعال الذي تتلقى عنه المعرفة . وفي ضوء هذا العقل يستطيع
عقلنا ان يدرك الصور الكلية ، وبه يصير الاحساس معرفة .
فأنت ترى ان الفلاسفة قد بنوا المعرفة على العقل . لأن العقل هو الذي
يجرد الصور الحسية من اللواحق الشخصية ، وينتزع من الصور التخيلة صوراً كلية .
ولكن الصور المنتزعة من الاحساس والخيال لا تصبح صوراً عقلية إلا بتأثير
العقل الفعال او كما يقول ابن سينا بنور يفيض عليها من واهب الصور . نعم ان
طريقة اكتساب المعرفة عند ابن سينا ترجع إلى النظر والقياس أولاً ، ثم إلى
الحدس ثانياً . ولكن هذا الحدس الذي يتكلم عنه ، انما هو حدس عقلي شبيه
بالحدس الذي اشار إليه ديكارت وغيره من الفلاسفة العقليين . ومقياس صحة
المعاني عنده هو وضوحها بذاتها وخلوها من التناقض .

اما مذهب الغزالي في المعرفة فيختلف عن مذهب الفلاسفة في مبادئه وغاياته .
 لانه قد بنى المعرفة على التجربة والكشف الباطني . ولليقين عنده ثلاث مراتب :
 اولها ايمان العامة المستند الى الخبر . فهم يصدقون ما يخبرهم به اهل الثقة ، كأن
 يقال لهم ان فلاناً في الدار ، وثانيها معرفة العلماء التي يصلون اليها بالاستنباط ،
 فهم قد سمعوه يتكلم فاستنبطوا انه في الدار . غير انه يوجد فوق ذلك مرتبة
 ثالثة هي يقين العارفين الذين يشهدون الحق دون حجاب . وهم قد دخلوا الدار
 ورأوا الرجل بأعينهم . والعلوم انما تثبت في القلب بطريق الاستدلال والتعلم ،
 أو بطريق الوحي والالهام . والغزالي بفضل العلم الذي يحصل في القلب عن طريق
 الالهام على العلم الذي يحصل فيه عن طريق التعلم . ومن أجل ما في كتاب الأحياء
 من التشبيهات تشبيه القلب بحوض محفور في الأرض . فاما ان يساق اليه الماء
 من فوقه بأنهار تفتح فيه ، واما ان ينحدر أسفل الحوض ويرفع منه التراب الى
 ان يقرب من مستقر الماء الصافي فيتفجر الماء من أسفل الحوض . قال الغزالي :
 « والقلب مثل الحوض ، والعلم مثل الماء . وتكون الحواس الخمس مثل الأنهار .
 وقد يمكن ان تساق العلوم الى القلب بواسطة انهار الحواس والاعتبار والمشاهدات
 حتى يمتلئ طلاءً ، ويمكن ان تسد هذه الأنهار بالخلوة والعزلة وغض البصر ،
 ويعتمد الى عمق القلب بتطهيره ، وارتفاع طبقات الحجب عنه حتى تنفجر بنايع
 العلم من داخله . فان قلت فكيف يتفجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه
 فاعلم ان هذا من عجائب اصرار القلب ، ولا يسمح بذكره في علم المعاملة بل القدر
 الذي يمكن ذكره ان حقائق الأشياء مستورة في اللوح المحفوظ ، بل في قلوب
 الملائكة المقربين . فكما ان المهندس يصور أبنية الدار في بياض ثم يخرجها الى
 الوجود على وفق تلك النسخة فكذلك فاطر السموات والأرض كتب نسخة
 العالم من أوله الى آخره في اللوح المحفوظ ، ثم اخرجها الى الوجود على وفق تلك النسخة .
 والعالم الذي خرج الى الوجود بصورته تتأدى منه صورة اخرى الى الحس والخيال .

فان من ينظر الى السماء والأرض ثم يغض بصره يرى صورة السماء والأرض في خياله حتى كأنه ينظر اليهما . ولو انعدمت السماء والأرض وبقي هو نفسه توجد صورة السماء والأرض في نفسه كأنه يشاهدهما وينظر اليهما ، ثم يتأدى من خياله أثر الى القلب . . . والخاص في القلب موافق للعالم الحاصل في الخيال والحاصل في الخيال موافق للعالم الموجود في نفسه خرجاً من خيال الانسان وقلبه ، والعالم الموجود موافق للنسخة الموجودة في اللوح المحفوظ . فكان للعالم أربع درجات في الوجود : وجود في اللوح المحفوظ ، وهو سابق على وجوده الجسماني ، ويتبعه وجوده الحقيقي ، ويتبع وجوده الحقيقي وجوده الخيالي ، اعني وجود صورته في الخيال ، ويتبع وجوده الخيالي وجوده العقلي اعني وجود صورته في القلب^(١) . وهذا القول يدل على ان المعرفة تحصل في النفس بطريقتين مختلفتين الأولى هو طريق الحواس والاعتبار والملاحظة . وهو طريق التجربة الخارجية او طريق المعرفة غير المباشرة . والثاني هو طريق القلب وتطهيره ورفع الخجب عنه . وهو طريق التجربة الداخلية المباشرة . وكلا الطريقتين يؤدي الى نفس النتائج ، لأن صورة العالم الخارجي محفوظة في النفس . فاما ان تتوجه النفس الى العالم الخارجي فتأدى اليها المعرفة عن طريق الحواس ، واما ان تتوجه الى ذاتها وتدرك صورة العالم المحفوظة في داخلها ، فتستجير منها المعرفة . والمعرفة التي تستجير من داخل القلب اصفى وأدوم ، لا بل هي كما يقول الغزالي أكثر وأغزر . وهذا الرأي شبيه كما ترى برأي (لينير) الذي قال : « يظهر لنا لأول وهلة ان جميع تصوراتنا تأتي من العالم الخارجي بواسطة الحواس وترتسم في صفحات النفس الفارغة . ولكننا اذا نضمقنا في التأمل أدركنا ان كل شيء حتى الادراكات والانفعالات انما يأتيها من داخلنا بعفوية تامة وما نقتنه خارجياً أو آتياً عن طريق الحواس ان هو الا تبدل في لمخواتنا الداخلية^(٢) » .

(١) الغزالي ، احياء علوم الدين الجزء الثالث ، ص ١٧٠ - ١٨٠ المطبعة الميمنية للمصروفية القاهرة ١٩٣٣

(٢) كتاب الالهيات « Théodicée » - ١٩٦٠ .

...ولكن هذه الادراكات والاتصالات الداخلية هي كما يقول (لينينز) صور ومعارف مطابقة للحقائق الخارجية . وهي لا تنشأ عن تأثير متبادل بين العقل والطبيعة ، بل تنشأ عن توافق قديم بينهما . ومعنى ذلك ان تتابع الادراكات في الجواهر العاقل مطابق لتتابع حوادث الكون وجريانها . فهناك اذن عالمان عالم العقل وعالم الطبيعة . وكل منهما مطابق للآخر في تتابع صورته وجريان حوادثه . وهذا شبيه بقول الغزالي ان صور العالم الحقيقي مطابقة للصور المرسومة في اللوح المحفوظ وموافقة للصور الحاصلة في القلب واخيال وسواء اتوجت للنفس الى العالم الحقيقي أم غضت البصر عنه وتوجت الى داخلها ، فان المعرفة التي تحصل لها واحدة . وحقيقة القول ان القلب في نظر الغزالي مستعد لأن تتجلى فيه حقائق العلوم مباشرة وذلك بالتعرض للنفحات الالهية . قال الغزالي : « ان العلوم ليست ضرورية وانما تحصل في القلب في بعض الأحوال ، فتارة تهجم على القلب كأنه التي فيه من حيث لا يدري ، وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم فالذي يحصل بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى الهاماً ، والذي يحصل بالاستدلال يسمى اعتباراً واستبصاراً » (١) .

يتضح من هذا القول ان الغزالي يسمي الطريق الأول الذي يحصل به على المعرفة طريق الاعتبار والاستبصار ، ويسمى الطريق الثاني بطريق الالهام . وفوق طريق الالهام درجة من المعرفة يعرف معها المدرك كيف حصل له ذلك الالهام ومن أين حصل وتسمى هذه المعرفة وحياً . وهي مما يختص به الأنبياء ، اما الالهام فيختص به الأولياء . والعلم المكتسب بالحاصل بطريق الاعتبار والاستبصار والاستدلال انما يختص به العلماء .

ويرى الغزالي ان الفلاسفة اقتصروا في أصل المعرفة على طريق الاستدلال والتعلم وأهملوا العلم الحاصل في النفس عن طريق الموحى والالهام . انهم يفتنون

انفسهم في تجريد المعاني الكلية من الكيفيات الجزئية ، مع ان المعاني الكلية المجردة أقل من أن تستنفد كل ما يشعر به في نفوسنا ، واحباب الله يبلغون من الرياضة درجة يتلقون بها علماً لديناً لا يطلع عليه العلماء الا بالاستنباط العقلي ، ولا يرتقي الى ذلك المقام الرفيع الا قليل من الناس .

ما هي قيمة هذه المعرفة التي تحصل لنا بأحد هذين الطريقين وما هي حدودها ؟ لقد ذكرنا الغزالي في كتاب المنقذ من الضلال صفة المعرفة التي يريد الحصول عليها ، فقال ان مطلوبه هو العلم بحقائق الأمور ، لذلك ظهر له « ان العلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافاً لا يبقى معه ريب » ، ولا يقارنه امكان الغلط والوهم ، ولا يتسع القلب لتقدير ذلك ، بل الأمان من الخطأ ينبغي ان يكون مقارناً لليقين مقارنة لا تحدى باظهار بطلانه مثلاً من يقبل الحجر ذهباً والعصا ثعباناً لم يورث ذلك شكاً وانكاراً » (١)

وفي سبيل الحصول على هذه المعرفة اليقينية شك الغزالي في العلم الموروث ، ثم شك في الحسيات ، ثم شك في الأوليات العقلية ، ولم تعد نفسه الى الصحة والاعتدال الا بنور قذفه الله في الصدر . وهذا النور كما يقول هو مفتاح اكثر العلوم . وهذا يدل على ان الغزالي لم يكن ريبياً ، بل كان شكك شكاً فلسفياً ، وهو واسطة الوصول الى اليقين . فقد كانت الأوليات العقلية موثوقاً بها في الأصل ، ثم لما عادت النفس الى الصحة والاعتدال رجعت الأوليات موثوقاً بها أيضاً على أمن ويقين . ولولا النور الالهي الذي قذف في الصدر لم ينقذ الغزالي نفسه من غياهب الشك الذي غرق فيه . ولكن هذا الجود الالهي لم يكن الا مفتاحاً لليقين ، ولولا استمداد العقل لقبوله لما بدد نوره ظلمات الشك . فالعقل قادر اذن على الوصول الى الحقيقة ، واذا وقع في الشك استطاع ان ينقذ نفسه منه بالتعرض للالطاف الالهية . على ان الحقائق التي يتوصل اليها العقل بنفسه

(١) المنقذ من الضلال . طبعة دمتي (مكتب النشر البرلي) ، الطبعة الثانية ٦٩

لا تشمل كل شيء ، وهي تختلف بحسب الطريق الذي تسلكه في الوصول الى المعرفة . فاذا كان الطريق الذي سلكناه هو طريق الاستدلال كانت معرفتنا مقصورة على امور التجربة وما يتصل بها ، واذا كانت طريق معرفتنا هو الوحي والالهام امكنتنا الوصول الى معرفة الأمور الالهية . وهذا النوع الأخير من المعرفة هو التعليم الذي جاءنا به الأنبياء . فقد علمونا أشياء كثيرة منها ما هو داخل في نطاق الاستدلال العقلي ، ومنها ما هو خارج عن نطاقه . ولولاهم لما أدركنا حقيقة الأمور الالهية .

فالغزالي قد حدد اذن نطاق الاستدلال العقلي المجرد عن الوحي ، وجعله قاصراً على ادراك أمور التجربة . وجعل الأمور الالهية خارجة عن نطاقه . وهو في ذلك قريب من ابن خلدون .

أما الفلاسفة فقد آمنوا بسلطان العقل ، وجعلوه قادراً على حل جميع المشكلات . وعدم وصول التعليم اليهم عن طريق الأنبياء لا يمنعهم من الوصول الى الحقائق الأبدية . أما الغزالي فيرى ان محاولة معرفة الأمور الالهية بطريق العقل المجرد عن الوحي والالهام فضول وطمع في غير مطنع ، لأن هذه الأمور كما صرح غير مرة ، ليست مما تنسج له القوى البشرية . ولا تنال بنظر العقل ، بل تنال بطريقة أخرى للاطلاع ، هي طريقة الكشف الباطني والشعور الوجداني ، وقد اقتبس الغزالي هذا النوع من المعرفة الوجدانية من الطريقة الصوفية فجعل الكشف الباطني اساس اليقين الديني ومفتاح العلوم .

ولا يشترط في الحق عنده ان يكون واضحاً بنفسه مؤيداً بالبرهان العقلي فحسب ، بل يجب ايضاً ان يكون موافقاً للكتاب والسنة . وهكذا تنقسم المعرفة عند الغزالي الى قسمين : معرفة حسية ومعرفة دينية . فالعقل والتجربة هما اساس المعرفة الحسية ، اما المعرفة الدينية فترتكز على الكشف الباطني . وهذا يوضح لنا السبب في حملة الغزالي على الفلاسفة ، واظهاره تناقض مذاهبهم في ايضاح

الأمور الإلهية ٤. واستنباطهم أياها على طريقة العلماء . فهم لم يكتفوا بالخبر كما نقله إليهم الأنبياء ، ولا ارتقوا في المعارف اللدنية إلى المشاهدة والمكاشفة ، ولكنهم أرادوا أن يزونا حقيقة الإله والنفس بيزان العقل ، وأن يستنبطوا بهذا الميزان أحكاماً لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق الوحي والإلهام . فوقعوا فيما وقعوا فيه من التوهم والضلال .

٢ - نسأل العالم : الزمان والمكان

والمسألة الثانية التي نريد ذكرها على سبيل المثال هي مسألة العالم والزمان والمكان . وفي مسألة كنية تشتمل على عدة مسائل ، كقولنا هل العالم أزلي أم حادث ، وهل هو أبدي أم فاني . وإذا كان أزلياً هل يحتاج إلى صانع ، وما البرهان على احتياجه إلى صانع واحد . لماذا يستحيل على العقل أن يتصور إلهين قديمين . فالفلاسفة يقولون : إن العالم كرة متناهية في الامتداد ، ولكنهم يقولون في الوقت نفسه إنها قديمة لا نهاية لها في الزمان ، وإنها بالرغم من قدمها محتاجة إلى صانع . ولا مجال الآن لتفصيل القول في هذا كله ، وإنما نريد أن نبين أن الغزالي لم يبطل أدلة الفلاسفة على قدم العالم وأزليته ، إلا ليحدد لنا نطاق الاستدلال العقلي المجرد عن الوحي ، ويبين عجزه عن إدراك مسائل ما بعد الطبيعة . فهو قد أورد أدلة الفلاسفة على قدم العالم ثم بين تناقضها ، وأورد بالاضافة إلى ذلك أدلة مخالفة على حدوث العالم ، وجعل مسألة عدم تنامي الزمان ، ماثلة لمسألة عدم تنامي المكان . فإذا كنا لا نستطيع أن نتصور للزمان مبدأً أو نهايةً ، فكذلك لا تقدر أن نتصور للمكان حدوداً . ولو قيل أن المكان يتعلق بالحواس الظاهرة ، وأن الزمان يتعلق بالحواس الباطنة لما تغير من المسألة شيء ، لأننا مع هذا لا نفترج من المحسوس . فالبعد المكاني تابع للجسم والبعد الزماني تابع للحركة . وكما أننا نستطيع أن نقيم الدليل على تنامي أقطار الجسم ، فكذلك يمكننا أن نبرهن على تنامي الحركة من طرفيها . وهذا كله يدل على أن الزمان والمكان إنما هما عبارة

عن علاقات بين تصوراتنا ، فها اذن نسيان . وهذا يقرب رأي الغزالي من رأي (كانت) . الذي يقول ان الزمان والمكان هما صورتان سابقتان للتجربة نستعين بهما على ادراك العالم الخارجي . والفرق بين (الغزالي) و (كانت) في ذلك هو ان الغزالي يقول ان الزمان والمكان هما علاقات بين التصورات ، تخلق بخلقها او بالأحرى يخلقها الله بين الصور الذهنية في عقولنا ، اما (كانت) فيقول ان مقولتي الزمان والمكان هما صورتان من خلق العقل يستخرجهما من داخله وينشرهما ليرتب فيها ظواهر الطبيعة ويؤلف منها سلاسل منظمة . ولكن (كانت) لم يوضح لنا كيف تولدت هذه المقولات من العقل ، فهل هي مثل مخلدة ، ام هي اشراق إلهي . انك لا تجد هذه المسألة في فلسفة (كانت) جواباً شافياً أما الغزالي فقد تجنب الشبهة بارجاع الزمان والمكان الى تصورات ذهنية خلقها الله في عقولنا . وفي تقرير الغزالي لحجة الفلاسفة ، على قدم العالم ، وابطالها دليل آخر على مشابته (لكانت) . اننا اذا قلنا مع الغزالي ان العالم حادث ورد علينا اعتراض الفلاسفة وهو قولهم يستحيل صدور حادث من قديم . لأن الشيء لا يمكن ان ينتج الا مثله . واذا قلنا مع الفلاسفة ان العالم قديم ورد علينا اعتراض الغزالي ، وهو قوله ان في العالم حوادث ، ولها أسباب ، ولا يمكن ان تسند الحوادث الى الحوادث الى غير نهاية ، ولو كان ذلك ممكناً . لاستغنيا عن الاعتراف بالصانع واذا كانت الحوادث لها طرف ينتهي اليه تسلسلها ، فيكون ذلك الطرف هو القديم ، فلا بد اذن على أصل الفلاسفة انفسهم من تمييز صدور حادث من قديم . وهناك أدلة أخرى لكل من هذين الرأيين المتضادين تنفرع بعضها من بعض ، فتشبهك وتعتقد وتزيد الأمر اشتباهاً . وهي كلها تدل على عجز العقل عن ادراك هذه المسائل ، لأنها من طور فوق طوره . وتذكرنا بتناقضات العقل المحض التي جاء بها كانت لاثبات عجز العقل عن ادراك كنه مسائل ما بعد الطبيعة . فمن تناقضات العقل المحض قضية تنامي العالم في الزمان والمكان وتقيضها . فالأدلة التي جاء بها كانت للبرهان على هذه القضية وتقيضها لا تختلف كثيراً عن الأدلة

التي جاء بها الفزائي ، على لسان الفلاسفة ، لاثبات قضيتهم من جهة ، ولاظهار تناقضها من جهة أخرى . ومن تعمق في درس تهاقت الفزائي وتهاقت ابن رشد استطاع ان يجد فيها بذوراً لمتناقضات (كانت) الاخرى كمتناقضة تركيب الجوهر من اجزاء بسيطة وعدم تركيبه ، ومتناقضة السببية والحرية . ومتناقضة وجود الموجود الواجب وعدم وجوده ، حتى ان الفزائي نفسه يقول عند الكلام عن ابدية العالم ، ان العالم يجوز أن يبقى ، وان يفنى ، ولا ترجيح عنده لأحد هذين النقيضين على الآخر إلا بالرجوع الى الشرع لا الى العقل .

٣ - مسألة السببية

والمسألة الأخيرة التي نريد ذكرها على سبيل المثال هي مسألة السببية . فقد كان الفلاسفة يفرقون بين فعل الله وفعل العقول المريدة وفعل النفس والطبيعة والاتفاق . ولكن الفزائي يرى انه لا يوجد الا فعل واحد وهو فعل الموجود المريد . وهو ينكر فعل الطبيعة انكاراً تاماً . لأننا لا نستطيع ان نرد هذا الفعل الى مجرد علاقة زمانية بين شيئين . ولا شك اننا نجد مثيلاً لهذه الآراء عند المتكلمين السابقين . ولكن جرأة الفزائي على انكار الضرورة العقلية لقانون السببية ، قد فاق كل ما ألفناه حتى الآن ، من الاقدام على التهديم . ومن السهل علينا ان نلخص رأي الفزائي في مسألة السببية بإيراد العبارة الآتية : قال الفزائي « ان الاقتران بين ما يعتقد في العادة سبباً وما يعتقد مسبباً ليس ضرورياً

عندنا . بل كل شيئين ليس هذا ذاك ولا ذاك هذا ، ولا اثبات احدهما متضمن لاثبات الآخر ولا نفيه متضمن لنفي الآخر . فليس من ضرورة وجود احدهما وجود الآخر ، ولا من ضرورة عدم احدهما عدم الآخر ، مثل الرمي والشرب ، والشبع والأكل ، والشفاء وشرب الدواء ، وهلم جرا ، الى كل المشاهدات من المقترنات في الطب والنجوم والصناعات والحرف ، وان اقترانها لما سبق من تقدير الله سبحانه خلقها على التوافق ، لا لكونها ضرورية في نفسها » . وقال ايضا :

« وليس لم دليل إلا مشاهدة حصول الاحتراق عند ملاقات النار ، والمشاهدة تدل على الحصول عنده ، ولا تدل على الحصول به وأنه لا علة سواه » . فنحن نرى ظاهرة معينة تعقب ظاهرة أخرى معينة ، فنسبى الأولى معلولاً والثانية علة . ! ما كيف تحدث العلة معلولها فهذا سر لا يطلعنا عليه الحس ، ولا ندركه بالعقل . وبمجرد اعتيادنا مشاهدة التعاقب بين ظاهرتين لا يسمح لنا بأن نقول إن الظاهرة الأولى علة الظاهرة الثانية . فالغزالي ينكر اذن الضرورة العقلية في مبدأ السببية ، ويعلم بيجرأة إننا لا نعرف فعل الأشياء الطبيعية بعضها في بعض وليس في الفلاسفة القدماء واخذثنين من يشبهه في جرأته هذه الا (داود هيوم) الذي انكر أيضاً ارتباط العلة بالمعلول ارتباطاً ضرورياً . فقال ان كل ما يراه الانسان بمحواسه هو ظاهرتان متعاقبتان . وليس هذا التابع دليلاً على السببية ، ولا يمكن ان يُعلم منه ان الحادثة الأولى علة الحادثة الثانية . والعادة وحدها كما يقول (هيوم) هي التي أوحت الى الانسان بهذه النتيجة ، اذ توهم انه مادامت هاتان الحادتان قد ارتبطتا في الماضي ، فلا بد ان ترتبطا لذلك في التجارب المقبلة ، واذن ففكرة السببية ذاتية محضة ، وهي خدعة من اخیال ليس لها وجود الا في العقل الذي يدركها . واذا قال قائل ان رفع الأسباب مبطل للعلم ، وإن ذلك يؤدي الى قلب الكتاب حيواناً والعصا ثعباناً قال الغزالي ان الله تعالى خلق لنا علماً بأنه لم يفعل هذه الممكنات ، وهو لم يقل ان هذه الأمور واجبة ، بل هي ممكنة يجوز ان تقع ويجوز ان لا تقع . واستمرار العادة بها مرة بعد أخرى يُرسخ في أذهاننا جريانها وفق العادة الماضية . وفي هذا القول ايضاح كاف للأسباب التي حملت الغزالي على انكار السببية . فهو قد أنكر السببية لترك باب المعجزات مفتوحاً . فعلق الأسباب والأفعال كلها بإرادة الله . فالشمس عنده ليست علة الضوء ، والدواء ليس علة الشفاء ، والنار ليست علة الاحتراق ، بل الفاعل الحقيقي هو الله . فأنه قد خلق هذه الظواهر ، بعضها بعد بعض على

النساق ، لا لكونها ضرورية في نفسها ، ولكن لغاية نجهل حكمتها . وفعل الله لا ينقطع ، بل هو يتجدد في كل وقت ، فيربط اذا شاء ظاهرة بظاهرة ، وحركة بحركة ويقطع اذا شاء هذا الارتباط . وهذا قريب من رأي (ديكارت) الذي قال ان الله يخلق العالم في كل آن . ومن رأي (مالبرانش) الذي زعم ان الله هو المنفذ المباشر لكل فعل من افعال الانسان ، لا بل هو العلة الحقيقية في ارتباط الظواهر بعضها ببعض . وبدعي ان السبب في تعليق الأسباب والمسببات بإرادة الله ، انما يرجع الى العقيدة الدينية . ولولا حرص الغزالي على اعطاء الله جميع الصفات التي تعلمها من الشرع لما انكر الضرورة العقلية في قانون الطبيعة . فهو قد أرجع هذا القانون الى الاعتياد تخلصاً من انكار المعجزات ، وجعل الطبيعة مسخرة لله تعالى ، لا تعمل بنفسها ، بل هي مستعملة من جهة ناظرها . فالله تعالى وحده هو السبب الحقيقي لكل شيء ، والسببية الحقيقية ترجع الى علاقة ارادية بينه وبين العالم . اما ارتباط الأسباب والمسببات الطبيعية بعضها ببعض ، فلا قيمة له بنفسه ، ولا معنى له الا اذا ارتكز على ارادة الله .

٦ - النتيجة

هذه أمثلة سريعة تبين لنا موقف الغزالي من فلسفة زمانه . فقد كان الفلاسفة يعتقدون ان العقل قادر على الاحاطة بكل شيء ، فبين لم الغزالي ان نطاق العقل مقصور على ادراك أمور التجربة . وكانوا يعتقدون ان العالم قديم فالزمهم الغزالي بأن العالم حادث ، وكانوا يقولون بارتباط الأسباب والمسببات ارتباطاً ضرورياً فأثبت لم الغزالي ان السبب الحقيقي هو الله ، وان الله هو المريد بإرادة قديمة وانه لا فاعل سواه . وما ذهب الغزالي الى ذلك كله الا ليحافظ على العقائد ويذب عن حياض الدين . فهاجم الفلاسفة مهاجمة عنيفة ، واهتدى في أثناء ذلك الى آراء جديدة لا نجد لها إلا عند (ديكارت) و (مالبرانش) و (كانت) و (هيوم) من فلاسفة العصور الحديثة . وفلسفة الغزالي هي بهذا المعنى فلسفة دينية

أو فلسفة مثالية شخمية أما فلسفة المشائين فهي فلسفة عقلية - والغزالي قريب من ابن خلدون في قوة الابتكار ، وهو أكثر فلاسفة العرب تحرراً من سيطرة أرسطو ، ولكنه لم يتحرر من سيطرة أرسطو إلا ليتسلم لدواعي القلب ، ويلجأ إلى أحضان الدين . وقد كان لردّه على الفلاسفة أثر عميق في مصير الفلسفة في الشرق . فلم يبق أحد من تلاميذ ابن سينا ليرد عليه فتداعى بناء الفلسفة المشائية وتفرقت عناصرها وتلقفها رجال الدين وصبغوها بألوان العقائد ، أما في الأندلس فلم يكن حظ الغزالي في أول أمره أحسن من حظ الفلاسفة ، فأعرض الناس عن كتبه ، وأحرقوها كما أحرقوا كتب الفلسفة . قال ابن طاهر :

« ولما امتدت الأيام وصلت إلى هذه الجزيرة كتب أبي حامد الغزالي ، فقرعت اسماع الناس بأتباء لم يألّفوها ولا عرفوها ، وكلايم خرج به عن متادهم من مسائل الصوفية وغيرهم من سائر الطوائف الذين لم يعتد أهل الأندلس مناظرتهم ولا محاورتهم ، فبعدت عن قبوله أذهانهم ، وتفرّت عنه نفوسهم ، وقالوا إن كان في الدنيا كفر وزندقة ، فهذا الذي في كتب الغزالي هو الكفر والزندقة ، وأجمعوا على ذلك واجتمعوا للأمر إذ ذاك ، وحملوه على أن يأمر بحرق هذه الكتب المنسوبة إلى الضلال ، يزعمهم ، وعزموا عليه في ذلك حتى أجابهم إلى ما سألوهم منه ، فأحرق كتب الغزالي ولم لا يعرفون ما فيها ، وخاطب الأمير إذ ذاك جميع أهل مملكته بأمرهم بحرقها ، وعلّهم أنه هو الذي أدى إليه نظر العلماء ، وقرئت مخاطبته على المنابر ، وشنع الأمر بذلك تشجيعاً عظيماً . وامتحن من كان عنده منها كتاب ، وخاف كل إنسان على نفسه أن يرمى بأنه قرأ منها كتاباً أو اقتناه ، وكان في ذلك من الوعيد ما لا مزيد عليه . . . ثم لم تكن تمتد الأيام إلا قليلاً حتى جاء الله بالامام المهدي رضي الله عنه ، فبان به للناس ما كانوا قد تحيروا فيه ، وندب الناس إلى قراءة كتب الغزالي رحمه الله ، وعرف من مذهبه أنه يوافقهم ، فأخذ الناس في قراءتها وتعجبوا بها ، وبما رأوا

فيها من جودة النظام والترتيب الذي لم يروا مثله قط في تأليف ، ولم يبق في هذه الجهات من لم يغاب عليه حب كذب الغزالي الا من غلب عليه افراط الجمود ، من غلاة المتكلمين ، فصاروا يقرأونها شرعاً ودينياً بعد ان كانت كفرةً وزندقة^(١) . فائتاس في الأندلس قد علموا الغزالي بما عامل به الفلاسفة في الشرق فكفروا في أول أمرهم كما كفر الفلاسفة ، وبدعوه كما بدعهم . ثم لما حى كتيب أمير راجت بضاعتها وانتشرت . ولم يوفق ابن رشد رغم حملته على الغزالي في كتابته تهافت التهاافت الى منع الفلسفة من الانقراض ، فقد اتهم الغزالي بأنه انما كفر بالفلاسفة ارضاء للعامة ، وسبقه ابن الطفيل الى ذلك فقال ان الغزالي يربط في موضع ويحل في آخر ، ويكفر بأشياء ثم ينتحلها . ومما يكن من أمر فاف العامة قد أحرقوا كتب ابن رشد كما أحرقوا كتب الغزالي ، واعتراضهم عن كتب الغزالي في أول الأمر ثم استخائهم ايهاا يدل على ما جرى اليه أمرهم ، في كل قديم وحديث . فهم ينكرون أولاً ما يالفونه ويستحسنونه آخرأ . ولو لم يجب مصباح الحضارة العربية تحت تأثير العناصر الأجنبية التي سيطرت على الاسلام لأدى تهافت الناس في استخسان آراء الغزالي الى ظهور مفكر جديد بعده ، لا يكتفي برد اعتراضاته على مذهب أرسطو كما فعل ابن رشد ، بل يرجع الى أصول مذهب الصوفي ويفندها ، ويستبدل بها غيرها . إن قانون التضاد الذي اشرنا اليه سابقاً لا يعمل عمله في تطور الأفكار الا اذا كانت الأفكار حرة طليقة . فاذا انطلقت الأفكار في فضاء الحرية دعا بعضها بعضاً . ولكنها اذا حبست في طبقات من حجب التقليد والتعصب الأعمى نصب مأوها وانطفأ نورها .

محميل صليبا

(١) ابن خلوص ، كتاب المدخل لصناعة المتطقن ، مجرط ١٩١٦ ، ص ١١ - ١٢ .

آل بكتكين - مظفر الدين كوكبري

أو

امارة اربل في عريرهم

(٥٢٢ - ٦٣٠ هـ)

- ٢ -

٤ - نوابه

لا تظهر ادارة زين الدين علي كوجك واضحة في اربل ، وانما تتعفن بذكر نوابه ، وما قاموا به من أعمال ، فلا ريب أنهم تابعون لأمره ، منقادون لتوجيهه . وهو في الحقيقة المؤسس لهذه الامارة ، كانت اقطاعه ، فتمكن أخلافه فيها . ولا يمت بنسب الى الدولة الزنكية ، وانما هو من عماليك آق سنقر والد مؤسسها ، وقد أرضت ادارته الدولة والأمة . وكان قد ولي اربل كثيرون ، فلم يعرف لهم اسم ، ولكنه ذاع صيته ، وانتشر خبره . فقام بما يمكن القيام به ، فعرفت اربل بعد ان كانت خاملة مهمله . فقفى آخر أيامه فيها . وكان فيها مرقده الأخير . وهو لاه نوابه :

١ - سرفتكين الزيني نائب اربل :

كان زين الدين علي كوجك متصلاً بالموصل اتصالاً غير منفك ، فبعين نواباً عنه في اربل . وان المترجم أحدهم . كان أرمنياً فأمسلم ، وربي تربية صالحة فأعتقه سيده ، وتقدم عنده ، واعتمد عليه في كثير من أموره ، واستنابه في اربل من تاريخ فتحها سنة ٥٢٢ هـ .

وللتربية الاسلامية أثرها فيه ، فكان من الأخيار ، وادارته قوية ، أرضت الأهلين كما كانت أعمال سيده كذلك . ومن أعماله المبرورة :

- ١ - بني مساجد كثيرة في اربل وغيرها .
 - ٢ - بني مدرسة القلعة سنة ٥٢٣ .
 - ٣ - بني سور مدينة فيد التي في طريق مكة من جهة بغداد .
- أثر آثاراً ساحلة أمثال ما ذكر . وكل ما فعله من ماله . ولا شك انه تشي ورغبة زين الدين وظهرت مكانة زين الدين بنائيه المذكور .
- توفي في شهر رمضان سنة ٥٥٩ هـ^(١) .

٢ - أبو منصور مجاهد الدين قايمآز الزيني (نائب اربل) :

هو ابن عبد الله الملقب بمجاهد الدين الخادم . كان عتيق زين الدين علي كوجك ، وأصله من سجستان ، أخذ صغيراً ، وكان أبيض اللون ، نسب الى زين الدين ف قيل (الزيني) . وكانت مخائل النجابة لائحة عليه ، فقدمه معتقه وجعله أتابك أولاده ، وفوض اليه أمور اربل نيابة عنه في ٥ رمضان سنة ٥٥٩ هـ - ١١٦٤ م أي صار نائب اربل اثر وفاة سرفتكين مباشرة وبعد وفاة زين الدين علي كوجك سنة ٥٦٣ هـ - ١١٦٨ م خلفه ابنه مظفر الدين كوكبري فكان نائبه . ثم خلع مظفر الدين من الامارة ، وولي أخوه الأصغر زين الدين يوسف ابنالتكين ، فكان نائبه ايضاً . ودام الى سنة ٥٧١ هـ . وفي هذا التاريخ انتقل الى الموصل ، وتولى أمورها في ذي الحجة سنة ٥٧١ هـ - ١١٧٦ م ، صار نائب الموصل في دولة الأتابكة ، فراسل الملوك وراسلوه ، وكان يبلغ منهم بكتبه ما لم يبلغ سواه . وكان منشي (مجد الدين ابن الأثير) ، فوض اليه الأتابك سيف الدين غازي بن مودود (٥٦٥ هـ - ٥٧١ هـ) الحكم في بلاده ، لما رآه من إخلاصه بحسن مقاصده ، واعتمد عليه في جميع أحواله .

ومن المهم ذكره هنا ان مجاهد الدين هذا كان يحمل أكثر أموال اربل أيام نيابته ، ويقدمها الى الأتابك . وبهذا تقرب الى أتابكة الموصل ، وجلب النفرة

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٢٢١ .

والنقمة عليه من الاريليين . ومن جهة أخرى انه أثر اثاراً جميلة في الموصل ، ولم يكن لاربل نصيب منها .

وفي أيام الأتابك عز الدين مسعود (٥٧٦ هـ - ٥٨٩ هـ) قبض عليه في جمادى الأولى سنة ٥٧٩ هـ - ١١٨٣ م وبقي مقبوضاً عليه عشرة أشهر ، ثم أطلقه وأعادته الى ما كان عليه ^(١) . وتوفي في ربيع الأول سنة ٥٩٥ هـ - ١١٩٩ م .

هذا . ولما كان انتقاله الى الموصل سنة ٥٧١ هـ فهذا بعد مبدأ تولي أبي المظفر زين الدين يوسف اينالتكين الأمور بنفسه ، بقيامه بأعباء الحكم مباشرة . وقد علمنا أن نيابة مجاهد الدين قايماز بدأت من وفاة مرفتكين الزيني ، ودامت الى التاريخ المذكور وقد انتقل الى الموصل . وكان في أيام زين الدين علي كوجك قد ظهر بمظهر المخلص ، وبعد وفاته امتدت بالحكم الا انه أخلص للأتابكة حتى صار نائب الموصل . وفي اريل حدثت بينه وبين زين الدين يوسف مشادة ، كما ان فعلته مع كوكبري غير مجهولة .

قال ابن الأثير في الكامل : « كان عاقلاً أديباً خيراً فاضلاً يعرف الفقه على مذهب أبي حنيفة ويحفظ من التاريخ والأشعار والحكايات شيئاً كثيراً » . اهـ ^(٢) . وتفصيل حياته في أتابكة الموصل ، وفي الكامل ، وفي كتاب الروضتين وابن خلكان ومؤلفات عديدة .

٥ - اماره مظفر الدين كوكبري الاولى

هذه الامارة قصيرة الأجل ، قليلة المدة . وكان أبو منصور قايماز أرضى سيده زين الدين علي كوجك حتى نال نيابة اريل ، وجعله اتابك أولاده ، وبعد وفاته تمكن من تزع الامارة من ابنه كوكبري . قال ابن خلكان في وفياته : « لما توفي زين الدين علي كوجك ولي موضعه ولده مظفر الدين كوكبري ،

(١) الكامل لابن الأثير ج ١١ ص ٢٠٣ وهو الصواب بخلاف ما ذكر في ابن خلكان

ج ١ ص ٦٠٩ . وهناك ترجمته . (٢) الكامل لابن الأثير ج ١٢ ص ٦٤ وهناك تفصيل حياته .

وعمره ١٤ سنة وكان أتابكه مجاهد الدين قايماز ، فأقام مدة ، ثم تعصب مجاهد الدين عليه ، وكتب محضراً انه ليس أهلاً لذلك ، وشاور الديوان العزيز سيف أمره واعتقله ، وأقام أخاه زين الدين أبا المظفر يوسف مكانه ، وكان أصغر منه ، ثم أخرج مظفر الدين من البلاد ، فتوجه الى بغداد ، فلم يحصل له بها مقصوده ، فانتقل الى الموصل ومالكها يومئذ سيف الدين غازي بن مودود . . . ثم اتصل بخدمة السلطان صلاح الدين وحظي عنده اخ^(١) .

ومن هذا نعلم ان قايماز كان قد تحامل عليه بل تعصب وان ذهب الى الموصل يوافق أيام سيف الدين غازي بن مودود (٥٦٥ هـ - ٥٧٦ هـ) أي انه من حين علم بالأتاك الجديد مال اليه مستنصراً به بعد ان لم ينل قبولاً من بغداد . وقال ابن الأثير سيف كامله : « ولي - قايماز - اربل سنة ٥٥٩ هـ فلما مات زين الدين علي كوجك سنة ٥٦٣ هـ بقي هو الحاكم فيها ، ومعه من يختار من أولاد زين الدين ليس لواحد منهم معه حكم » .^(٢)

ومن هذا نعلم أن قايماز قد تحامل عليه ، وأهانته بالحبس ، وطرده ، فذهب الى بغداد تخاب مناه ، ولما سمع بأن سيف الدين غازي بن مودود قد صار أتابكاً مال اليه مستنصراً به بعد ان خذل من دار الخلافة وكان يظن ان الخليفة يتخذ وسيلة للتدخل في أمور اربل ، فلم يجيب سيف الدين أمه . . .

٦ - حياة مظفر الدين كوكبري خارج اربل

ان طرد مظفر الدين من اربل بعد حبسه وإهانته وتعصب مجاهد الدين قايماز عليه لم يفل من عزيمته ، فبقي الى دار الخلافة ، ثم الى الموصل الى الأتابك سيف الدين غازي . وكان قد ولي الموصل بعد الحادث الذي جرى عليه ، فاتخذ وسيلة للذهاب اليه . وهذا الأتابك لم يرده خائباً ، واقطعه حراً . ودامت امارته عليها مدة . وهو تابع للأتابكة منقاد لأوامرهم .

(١) رفيات الأعيان ج ١ ص ٦٢٠ طبعه بولاق . (٢) السكاك ل ابن الأثير ج ٢ ص ٦٢ .

وفي سنة ٥٧١ هـ صار مجاهد الدين قايمار نائب الموصل ، وولي أمر الأتابكة بالنيابة ، فكان ذلك داعية التدمير من إدارة الأتابكة لما كان بينه وبين مجاهد الدين من العداوة والنفرة من معاملته .

ولم يتعرض المؤرخون لذكره الا قليلاً . وكان أهل الاقطاع لا يذكرون حتى يظهر ما يستوجب . كان يقوم بالخدمات المطلوبة بلا تردد . ومن أهم الحوادث ان المشادة بين الأتابكة وبين السلطان صلاح الدين قد بلغت متنها ، ففي شوال سنة ٥٧١ هـ - ١١٧٦ م جرى مصاف بينهما ، فانكسرت ميسرة السلطان صلاح الدين بمظفر الدين كوكبري ، وكان بمظفر الدين في هذه المعركة في مينة الأتابك سيف الدين ، فانتصر من جهته . ولما رأى السلطان صلاح الدين تكون الخطر حمل بنفسه وجازف بقوته ، فانكسر سيف الدين ومن معه كسرة هائلة ، وتركوا أنقالم ، وخيامهم وما نجحت المفاوضات قبل هذه المعركة في أمر الصلح لتعند سيف الدين وأمله في القضاء على صلاح الدين ، اذ انه في حاله لم يتحمل انتصارات السلطان صلاح الدين ، فخذل خذلاناً عظيماً وكانت هذه الواقعة قاصمة الظهر . والى هذه الأيام كان مظفر الدين موالياً للأتابكة ، ومثله زين الدين يوسف أخوه . ولكنه بتولي مجاهد الدين قايمار الأمر في هذه السنة (نيابة الموصل) ، وتسلطه على دولة الأتابكة لم يبد شيئاً ، كنتم غيظه ، ولم يجاهر باختلاف عليه وبعد وفاة الملك الصالح بن نور الدين الشهيد في ١٣ رجب سنة ٥٧٧ هـ حدث ما حدث بين الأتابكة وصلاح الدين وكان الأتابك عن الدين وصاحب أمره مجاهد الدين أيضاً ، فلم يعتد بأمره الشام ، ونعتة المؤرخون بأنه كان ضيق العطن ، فرحل الأتابك من حلب وكان قد أقام بها الى ١٦ شوال من هذه السنة ، حتى أتى ازرقة ، ولقي الأتابك أخاه عماد الدين فاستقر بينهما مقايضة حلب بسنجار لاعتقاد الأتابك انه لا يمكنه حفظ الشام مع الموصل لحاجته الى ملازمة الشام لأجل السلطان صلاح الدين ، فقتل عماد الدين حلب في ١٣ المحرم سنة ٥٧٨ هـ وأرسل عن الدين من تسلم سنجار .

وبلغ السلطان صلاح الدين أن رسل الموصل وصلوا إلى الأفرنج يخبرونهم على قتال صلاح الدين ، فعلم أنهم نكثوا اليمين ، فقصده الأتابكة لجمع كلمة المساكر الإسلامية على العدو ، فأخذ في التأهب لذلك وقد زادت حوادث الأتابكة في أشغاله . . . ولما بلغ عماد الدين ذلك سار إلى الموصل يشمر بالخبر ويستحث المساكر ، وصار السلطان صلاح الدين حتى نزى على حلب ، فكان الأتابكة شغله الشاغل ، لأنهم صدوه عن حرب الصليبيين وصاروا عليه مع الأفرنج . وكان وصوله إلى حلب في ١٨ جمادى الأولى سنة ٥٧٨ هـ فأقام ثلاثة أيام ثم رحل في ٢١ منه يطلب الغزاة . وفي هذه الأثناء استقر الحال بينه وبين مظفر الدين كوكبري ، وكانت آنشد صاحب حران . استوحش من أتابكة الموصل ، وخاف من مجاهد الدين قايمار ، فاتجأ إلى السلطان صلاح الدين ، وعبر إلى قاطع الفرات ، وقوى عزم السلطان على قصد بلاد الأتابكة ، وسهل أمرها عنده ، ودخل الرها والرقه ونصيبين . . . فكان هذا التاريخ زمن اتصال مظفر الدين بالسلطان صلاح الدين وهو جمادى الأولى سنة ٥٧٨ هـ - ١١٨٢ م . وكان قد حشد على فتح الموصل إلا أنه لم يوفق ، ورجع عنها لأسباب اقتضتها الأوضاع الحربية ، لئلا يترك خلفه خاليًا . . . وكفاه منهم أن أوعبهم ، وجعلهم في ريب من أمرهم ، وليس لهم قوة المهاجمة . وفي سنة ٥٧٩ هـ توسط رسول الخليفة وآخرون معه في الصلح فذهبوا إلى صلاح الدين ودخلوا دمشق في ١١ ذي القعدة سنة ٥٧٩ هـ - ١١٨٤ م فلم يتفق الأمر . فان صلاح الدين اشترط في الصلح أن يكون صاحباً إربل والجزيرة على خيرتها في الانتهاء إليه أو إلى الموصل وهذا دليل على النفرة من مجاهد الدين قايمار قبل هذا التاريخ . وكان صاحب إربل زين الدين يوسف أخو مظفر الدين كوكبري قد حدث بينه وبين مجاهد الدين ما حدث من وحشة بينهما كانت موجودة بين مظفر الدين وبينه ، ثم كان التقيس على مجاهد الدين أيام الأتابك عمر الدين وكان نائبه ، فأدى ذلك إلى أن تخرج إربل وغيرها من يده لحرم الأسماء على مطالبهم الخاصة وذلك بإقصاء مجاهد الدين وضياع أمارات عديدة .

وفي ذي الحجة من هذه السنة ورد على صلاح الدين رسول اربل يخلف له ، فتوثقت الالفة وحصل الاتفاق ، فأمن بهذا غائلة صاحب الموصل ولم يكن الأمر مجهولاً في الموصل فقد شعروا به قبل ان يكون موضوع البحث . ففي ١٤ جمادى الآخرة سنة ٥٨٠ هـ وصلت رسل زين الدين يوسف صاحب اربل مستصرخاً بالسلطان صلاح الدين يخبره ان عسكر الموصل وعسكر قزل بن يلد كز صاحب ديار العجم ومجاهد الدين قاتماز قد نزلوا على اربل ، ونهبوا وأحرقوا في قراها فنصر عليهم وكسروهم . وكان أملهم أن يقضوا عليه فخابوا . ومن هذا يعلم انهم وقفوا على جنية الأمر فلم تغف خافية عليهم ، فقاموا بما قاموا به .

ولما سمع صلاح الدين ذلك رحل من دمشق يطلب بلاد الموصل فتقدم الى العساكر فتبعته ، وسار حتى أتى حران والتقى مع مظفر الدين بالبصرة في ١٢ المحرم سنة ٥٨١ هـ ، ووصل السلطان الى حران في ٢٢ صفر من السنة المذكورة وفي ٢٦ منه قبض على مظفر الدين بن زين الدين لشيء كان قد جرى منه ، وحديث كان قد بلغه عنه رسول فلم يقف عليه وانكره ، فأخذ منه قلعة حران والرها ، ثم أقام في الاعتقال تأديباً الى مستهل ربيع الأول ، ثم خلع عليه وطيب قلبه ، وأعاد اليه قلعة حران ودياره التي كانت بيده ، وأعادته الى قانوته في الأكرام والاحترام ، ولم يتخلف له سوى قلعة الرها ، ووعدته بها . وهذه الحادثة اشارة الى ان السلطان داخله الشبهة في أنه فاض الموصل على اربل أو فاضته الموصل عليها . ثم رحل صلاح الدين في ٢ ربيع الأول من السنة الى راس العين ، ووصل اليه رسول فليج أرسلان يخبره ان ملوك الشرق بأمرهم قد اتفقت بكلمتهم على قصد السلطان ان لم يعد عن الموصل وماردين ، وانهم على غزم ضرب المصاف معه ان اصر على ذلك . ولكنه بعد ان قام بأعمال عدة رحل نحو الموصل في ١١ منه حتى نزل موضعاً يعرف بالاسماعيليات قريب الموصل بحيث يعمل من العسكر كل يوم نوبة جديدة تحاصر الموصل . وفي هذه الاثناء في ربيع

الآخر سنة ٥٨١ هـ توفي صاحب خلاط ، فطمع السلطان في خلاط وارتحل عن الموصل متوجهاً نحوها .

وبينما أمر الموصل وصاحب اربل ، فإن صلاح الدين قد صالح المواصلة وكان سبب ذلك أن الأتابك عز الدين صاحب الموصل سير ابن شداد إلى الخليفة يستجده فلم تحصل منه زيادة . ثم بلغهم أن صلاح الدين قد مرض فاتخذوا ذلك فرصة ، فبعثوا بالرسول إليه . فتم ما بينها وبينه في ذي الحجة سنة ٥٨١ هـ ^(١) . كل هذه تعين توجه علاقات صاحب اربل نحو صلاح الدين . وهكذا حالة مظفر الدين ودام الصلح بين الأتابكة وصلاح الدين إلى تاريخ وفاته بل أن المواصلة اشتركوا فعلاً في حروب الصليبيين في المصاف الأعظم في عكا ، وهكذا مظفر الدين بن زين الدين قد اشترك بحجفله . . . ^(٢) ومن أهم ما اشترك فيه مظفر الدين (وقعة حطين) وقد أبدى فيها بسالة تذكر . وقف هو وتقي الدين صاحب حماء وانكسر المعسكر بأمره . ثم لما سمعوا بوقوفهما تراجعوا حتى كانت النصرة للمسلمين وفتح الله سبحانه عليهم ^(٣) .

وكان في سنة ٥٨٣ هـ قد سار مظفر الدين كوكبري ففتح الناصرة وصغورية . وقد وصفها العماد الاصفهاني ببلاغته المعروفة وأطرب في الثناء عليه لرجح المعركة ^(٤) . وهكذا كانت له مواقف في سنة ٥٨٤ هـ ذكرها العماد ^(٥) . كما ذكر من أبلي البلاء الحسن ، وخص من قام بمهمة .

تقود مضروبة
وبينما أن نعين بعض التقود التي عثر عليها ، وكانت باسم الملك الناصر صلاح الدين يوسف ، وأمام حسام الدين يولق بن أيل غازي من آل أرتق (٥٨٠ - ٥٩٢ هـ) خرب عليها اسم (كوكبري بن علي) . وهذه تدل على

(١) سيرة صلاح الدين : ابن شداد ص ٥٢ . (٢) ابن شداد ص ٩٣ .

(٣) ابن خلكان ج ١ ص ٦٢١ (٤) الفتح القوي في الفتح القوي ص ٢٥ - ٢٦

(٥) الفتح القوي في الفتح القوي ص ١٠٠

انها من ضرب امارته في حران وتلك الجهات بعد ان انفصل من الأتابكة أيام حسام الدين يولق من بني ارتق أي في سنة ٥٨٠ هـ أو بعدها حتى سنة ٥٨٦ هـ ولم يوجد فيها محل ضرب ولا تاريخ . ولا يصح ان يقال انها من ضرب اربل كما وهم الأستاذ (اسماعيل غائب) في كتابه (المسكوكات التركمانية) من قسم (المسكوكات الاسلامية) ، فإمكن لهذا النقد علاقة بأربل وإنما ضرب أيام حكمه على حران والرها وفيه انه على وفاق مع الدولتين من آل ارتق وآل أيوب (١)

وهذا النقد من نحاس ، ولما كان خالياً من التاريخ ومحل الضرب فانه ضرب في أيام مظفر الدين كوكبري من سنة ٥٨٦ هـ - الى سنة ٦٣٠ هـ أي بين هذين التاريخين وليس هذا بصواب . في هذا التاريخ لم تكن علاقة لآل ارتق بأربل ، وإنما العلاقة بالسلطان صلاح الدين وحده ، وبأخلاقه . . .

ونوضح هذا النقد بإيراد المكتوب فيه فقد جاء في صفحة منه تصوير حاكم لابس لامة الحرب في جانب منه ذكر حسام الدين يولق بن ايلغازي وفي الآخر كوكبري بن علي .

وفي الصفحة الأخرى في الوسط الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب (وفي الأطراف) محيي دولة أمير المؤمنين .

وفي هذا ما يعني عن الايضاح . ولعل التصوير لمظفر الدين نفسه ، وهو الذي ترجحه وان العلاقات بين كوكبري وبين آل ارتق لا تزال مجهولة لم يعينها المؤرخون ، لتعرف جهة الاتصال . وكل ما نعلمه من الاستدلال بالحالة المشهودة ان مظفر الدين كوكبري انفصل عن الموصل ، فولد اتفاقاً بينه وبين آل ارتق كما انه مال إلى صلاح الدين ، وأخلص له في التعاون لحرب الصليبيين ، فتمكنت الألفة ، فاشترك آل ارتق ، وآل أيوب ، في ضرب النقود وكان آل ارتق بقرنون أسماءهم بأسماء آل أيوب .

(١) المسكوكات التركمانية من قسم المسكوكات الاسلامية ص ١٢٠

ولما كان حسام الدين يولق بلي الأمر سنة ٥٨٠ هـ فلا شك ان ضرب النقود جرى في هذا التاريخ أو بعده . وهو محدد بسنة ٥٨٦ هـ لأن كوكبري انفصل من هناك في هذا التاريخ ، فعلم ان النقد المضروب كان خلال المدة بين ٥٨٠ و ٥٨٦ هـ . وفي سيرة صلاح الدين لابن شداد : « في أواخر ذلك اليوم - ٢٨ ربيع الأول سنة ٥٨٦ هـ - ٩٠ م - قدم - الى السلطان صلاح الدين - مظفر الدين بن زين الدين جريدة مسارعة للخدمة ، ثم عاد الى عسكره في لامة الحرب ، فعرضهم السلطان حتى وقف بهم على العدو ، وكان ما تقدم عسكر الا يعرضهم ويسيرهم الى العدو ، وينزل بهم في خيمته يمد لهم الطعام . وينعم عليهم بما يطيب به قلوبهم اذا كانوا اجانب ثم تضرب خيامهم حيث يأمر ، ويتزلون بها مكرمين » (١) . ثم جاء أخوه زين الدين يوسف ، واستقبله السلطان ، وبعد مدة قصيرة مرض فتوفي ، فصار مظفر الدين كوكبري مكانه على اماره اربل ، وتنازل عما كان يده من اقطاع الى السلطان صلاح الدين فأتم بها على الملك المظفر تقي الدين . فتكون مدة مظفر الدين خارج اربل قد دامت الى ٣ شوال سنة ٥٨٦ هـ .

ابو المظفر زين الدين يوسف بنالكين

(أمارته على اربل) من سنة ٥٦٦ هـ الى سنة ٥٨٦ هـ

بلي زين الدين يوسف بنالكين بعد اخيه كوكبري . ومدة امارته نحو ٢٠ سنة . ومن الغريب ان المؤرخين لم يذكروا أعماله فيها ، كأنها لمحة بصر أو برق خاطف . ولا شك ان سني الوصاية كانت الى سنة ٥٧١ هـ . وهذه ليس له عمل فيها . فاستقل إلا انه لم يذكر له حادث مهم خلال هذه المدة من سنة ٥٧١ هـ الى سنة ٥٨٦ هـ .

وبمراجعة حوادث المعاصرين واستنطاق جملة من المؤرخين كتب لنا المشور على بعض الحوادث الغامضة عن أيام اماره زين الدين يوسف فهل كان خامل الذكر

(١) سيرة صلاح الدين لابن شداد ص ١٠٠ .

في حين انه استكبر عمل قايماز من جراء ارساله فضلة دخل اربل الى الأتابكة ، واستبداده في الأمور ، فتشكن من اخراجه ، أو انه قربه الأتابكة اليهم لما رأوا من اخلاصه لهم . وكان المأمول أن يكتب ابن الأثير ، ولكنه أغفل ذلك ، وذكر أعماله المهمة التي تستدعي مدحه واكتفى بها . وكان المتوقع ان يكتب المؤرخون الآخرون ، ولم تصل الينا جميع الوثائق التاريخية للعماد الكاتب الاصيلاني ، ولا مخبرات مجد الدين ابن الأثير . فلا تزال الوثائق معطوبة أو ادركها الفناء . ولم نتوصل الا الى :

١ — واقعة اربل . وهذه زادت في المشادة . أدرك زين الدين يوسف توتر الوضع . ولعل العلاقة ولدها قايماز نفسه . وتفصيل الخبر ان دولة الأتابكة في الموصل كانت تتطلب ما كان يقدمه قايماز أيام نيابته على اربل ، فرأى ذلك أمراً كبيراً وان عددناه السبب في ذهاب قايماز من اربل ، وذهابه الى الموصل ، فلا ينبغي أن تعاد التجربة

ولقد ذهب قايماز وتولية نيابة الموصل توتراً بين اربل والموصل ، فلم يشأ زين الدين يوسف ان يحمل الأموال لدولة الأتابكة فأدى ذلك الى النفرة بل يعتبر العامل الأكبر في انفصاله من الموصل ، وشحوصه على دولة الأتابكة ، وميله الى صلاح الدين وقد ظهرت قوته ، وعظمت مكانته في كسره قوة الأتابكة الذين تولى أمرهم قايماز وهذه الواقعة قربت أكثر من صلاح الدين بل ان صلاح الدين في رغبة لمن يمد يده المعونة اليه .

كان ذلك في سنة ٥٨٠ هـ — ١١٨٤ م ، وصلت رسل صاحب اربل صلاح الدين في ١٤ جمادى الآخرة من هذه السنة فسار صلاح الدين بطلب بلاد الموصل انتقاماً من هذه الفعلة .

٢ — قيامه بمعاونة فعلية لصلاح الدين في حرب الصليبيين ، وظهرت له حوادث أخرى . فلم يهمل أمر المساعدة بالمال والنفوس . وكانت اربل يد الأتابكة القوية

الفتاكة في جروبيا ، فخرمها أنطرق ، والخرمن الزائد دون العقل بل كان عملها طيشاً ، ولذا كانت اقطاعات أميرها زين الدين علي كوجك بقدر ما كان يقوم به من الأعمال ، وهذا ما كان صلاح الدين بترقبه جلب أمير اربل زين الدين يوسف كما أنه لاغرض نفسه قرب اليه مظفر الدين وكان قد تفر دولة الأتابكة في الموصل لأن مدير أمرها مجاهد الدين قايماز وكان قد طرده من أمارته وإمارته أيه وجعله مشرداً يتطلب استعادة ملكه المنتزع منه .

٣ - وفاته . كانت في أيام جهاده في سبيل الله نصرة للإسلام في الحروب الصليبية . وكان ذلك في ٢٨ رمضان سنة ٥٨٦ هـ - ١١٩٠ م بالناصره بالقرب من عكا ، ويقال ان المسيح (عليه السلام) ولد بها .

أما حياته في أيام الوصاية فانها لا تذكر ، وانما ذكرها المؤرخون لنائبه قايماز ، والأيام الأخرى في تفرته من قايماز ، ومن التزم جانبه من الأتابكة فأدى الى انفصاله عن دولة الأتابكة واتصاله بالسلطان صلاح الدين ، ثم وفاته في سبيل الله مجاهداً . . .

نعت في الفتح القدسي بقوله : « كان جارا للكنائب ، باراً بالأباعد والاقارب . . . فرضت الأيام بمرضه أياماً ، وتلهمت القلوب منا للتلف عليه وقد أمست مراضاً ضراماً ، وعدته بطبيب السلطان فلم يأنس به ، ولم يسكن الى طبه ، لما كان يعلم من منافسة أخيه مظفر الدين في موضعه ، وانه يفتش بمصرعه ، فاكتفى بصاحب له يطبه ، يوافقه على ما يحبه ، وهو جاهل بمزاجه ، ذاهل عن علاجه ، فشب الجمام في حمى شبابه ناره ، وأذوى غصنه غداة قلنا ما أزهى أزهاره ، وما أنضر نضاره . . . ولزمه أخوه مظفر الدين حتى فارقه ، وما ظهر عليه الفم حتى قيل انه سره موته ووافقه ، وقصدناه ممزين على ظن انه جلس للعزاء ، فاذا هو في مثل يوم الهناء ، وهو في خيمة ضربها في مخيم أخيه ، واحتاط على جميع ما يحويه ، ووكل بالامراء أصحاب القلاع لبسملوها ، وخشي ان يعصوا فيها اذا رجعوا اليها ويحموها ، وخدم

بخمسين الف دينار حتى اخذ اربيل وبلادها ، ونزل عن حران والرها وسيماسط
والبلاد التي معه واعادها ، وزاده السلطان شهرزور ، واحكم بسيره الأسباب
والأمور ، فاستعمل الى حين وصول الملك المظفر تقي الدين لينزل في منزله بجند
وصحبه الميامين ، فوصل يوم الأحد ٣ شوال سنة ٥٨٦ هـ على بعد العطل الأحوال « ٠٠٠ » اهـ^(١)
وجاء في سيرة صلاح الدين لابن شداد : « ثم كان وصول زين الدين صاحب
اربيل في العشر الآخر من جمادى الأولى (سنة ٥٨٦ هـ - ١١٩٠ م) وهو
زين الدين يوسف بن علي بن بكشكين ، قدم بعسكر حسن وتجهل جميل ،
فاحترمه السلطان وأكرمه وأنزله في خيمته ، واكرم ضيافته ، وأمر بضرب خيمته
الى جانب خيمة أخيه مظفر الدين . » اهـ^(٢)

أما أخوه فقد جاء الى صلاح الدين بتجريدة في ٢٨ ربيع الأول سنة ٥٨٦ هـ - ١١٩٠ م .
وعن مرضه ووفاته قال : « وفي ذلك اليوم - ٩ ارمضان سنة ٥٨٦ هـ - ١١٩٠ م -
مرض زين الدين يوسف بن زين الدين صاحب اربيل مرضاً شديداً بجميعين مختلفتي
الأوقات واستأذن في الرواح فلم يؤذن له ، فاستأذن في الانتقال الى الناصرة
فأذن له في ذلك اليوم ، وأقام بالناصرة أياماً عديدة يمرض نفسه ، فاشتد به المرض
الى ليلة الثلاثاء ٢٨ رمضان وتوفي رحمه الله ، وعنده أخوه مظفر الدين يشاهده
وحزن الناس عليه لمكان شبابه وعرفته ، وأنتم السلطان على أخيه مظفر الدين
يلده ، واستأذله عن بلاده التي كانت في يده وهي حران والرها وما يتبعها من
البلاد والأعمال ، وضم اليه بلد شهرزور أيضاً ، واستدعى الملك المظفر تقي الدين
عمر ابن أخيه شاهنشاه ليكون نازلاً مكانه جابراً لخلل غيبته ، وأقام مظفر الدين
في نظرة قدوم تقي الدين ، ولما كان صباح نهار ٣ شوال سنة ٥٨٦ هـ قدم وعاد صحبة
مير الدين سنجر شاه بن سيف الدين غازي بن مودود بن زنكي وهو صاحب
الجزيرة إذ ذاك « ٠٠٠ » اهـ^(٣)

(١) الفتح القسي في الفتح القدسي ص ٢١٨ . (٢) سيرة صلاح الدين لابن شداد ص ١٠٦

(٣) - سيرة صلاح الدين لابن شداد ص ١٢٩ وابن أبي عذينة ج ٥ ص ٢٩ وابن خلكان

في ترجمة للوفى . وهناك قسيمة مدحه بها ج ٢ ص ٣٢ .

مظفر الدين كوكبري

امارته الثانية (٥٨٦ : ٦٣٠ هـ)

من أعظم (آل بكتكين) ، وأكابر من اشتهر من رجالها . وجاء لقبه في النمود (ملك الأمراء) مظفر الدين أبو سعيد كوكبري . لم يسبقه أحد من أسرته في فضل ، وإن كانوا ذوي مكانة لا تنكر ، ولا شاركه في ما قام به . شارك في مكرمة وانعام وإن كان لا يصح أن تهمل قدرتهم على الإدارة وقوتهم في الحروب ، بل قد تتضائل عنه عظيمة الملوك ، لا في السفك والنهب ، بل في أعمال البر والخير ، وما يعلي شأن المملكة ويقوي ثقافتها وآدابها .

وبعد بحق رجل التاريخ لا يزال ذكره منتشراً في الأوساط العلمية ، وفي التاريخ السياسي والأدبي والديني : أَرْضَى صنوف الجماعات ، ووجه المملكة توجيهاً حقاً . لم يطوح بها في المآزق الخرجة ، ولم يكن من الفاتحين السفاكين اغبارفين ، أو العتاة الجبارين . كان الفد من نوعه بين أمراء الشرق ، أحياء ربل حياة طيبة ، وأنعشها وأعلى مداركها بما لا مزيد عليه في اماره لم يكن خامن الشأن قبل هذه الأمرة ما تستحق أن تذكر به . . .

قام بإدارة حقة ، وبأعمال سياسية مقبولة معتدلة ، وممكن من ثقافة لائقة وراعى الأمور الدينية ، والأخلاق القويمة ، فكان لتنظيمه أثره ، ولإدارته ماله وجهه المكانة الفعالة في الترتيب المرضي بين عوامل متنوعة ، متنازعة الأهواء ، فهو محاطاً بدولة الأتابكة ، وبإخلافة ، ودولة الأيوبيين ، أوقف المجاورين عند حدودهم ، وهم يتحفزون للوثوب ، ويتأهبون للقيمة ، فتمكن بحكمته وحسن سياسته ، أن يضرب بعضهم ببعض ، يتفق مع هذه مرة ، ومع تلك أخرى ، ويداري الخلافة . كان في أهبة من الطوارئ ، لم يستطع أن يتحكم به أحد ، ولم يفتر أو يطش ، بل استخدم القوة ولم يطوح بها ، وآماله مصروفة للتفاهم لا للحرب في حين أن نموه لا يستهان بها ، فيهدد بها الدول الأخرى ، ولا يركن إلى المشادة . تمكن من اعلاء شأن هذه الامارة ، فأبقى لها حسن السمعة ، ولم يكن كملوك مضوا غير

مأسوف عليهم - ذهبت أعماله حباء ، أو كانت محل الاعتبار والسخط ، وذكرها
ذكرى الجبارة السفاكين . كانت حياته بنشاط كبير ، ولم تكن خاملة مهمل .
تبتدي حياته في اربل من تاريخ ذهابه من عند السلطان صلاح الدين بعد وفاة
أخيه ، وتنازله عن بلاده ، وطلب العودة الى اربل والاكتفاء بها ، فذهب اليها
في ٣ شوال سنة ٥٨٦ هـ .

ظهرت مواهبه ، وبدأت أعماله المستقلة ، وظل على ولاء صلاح الدين الى ان توفي ،
ثم والى الملك العادل بالوجه المذكور . وكانت العلاقة بالأناحية قد قطعت من أيام
أخيه زين الدين يوسف بن التتكين ومالت الى الدولة الايوبية وصلته بها كانت قبل أخيه .

النقود المضروبة في أيامه

وهذه وصل اليها أقدمها ، ولعلها أول ما ضرب - وهو النقد المؤرخ في سنة ٥٨٧ هـ ،
فان يحمله الى اربل كان في ٣ شوال سنة ٥٨٦ هـ - ١١٩٠ م ولا شك انه بعد
وصوله اليها لم يستطع ان يقوم بالضرب في تلك السنة التي دخلها أي لم يشاهد
له في هذه السنة نقداً مضروباً ، وانما شوهد هذا النقد وجاء فيه ذكر الناصر
صلاح الدين يوسف بن أيوب مقرونًا باسمه (كوكبري بن علي) .
ولا شك انه كان على ولاء هذا السلطان فذكر اسمه في صفحة ، والخليفة الناصر
لدين الله أمير المؤمنين ، وولي عهده عدة الدنيا والدين أبا نصر محمد في الصفحة الأخرى .
مضى كوكبري على ضرب النقود مصرحاً باسم الملوك من آل أيوب الى أيام الملك الأشرف
أبي الفتح موسى بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر الأيوبي ، ففي سنة ٦٢٢ هـ
من أيامه شعر باتفاق كان بينه وبين بدر الدين لؤلؤ للخضاء على إمارة اربل ، فقال الى
الخليفة المستنصر بالله ، ولكننا لم نقف على نقود له في هذه السنة ، ولا السنين التي بعدها .
كان الأمير كوكبري قد ذكر في نقوده السلطان صلاح الدين ، والملك
العادل ، والملك الكامل الى تاريخ الانتقال من الأيوبيين .

عباس الغزالي

(بغداد)

يتبع :

م (٤)

كنز من كنوز الجاحظ

« أربع رسائل من رسائل عشر عليها هرباً »

أصبحت بلاغة الجاحظ وعبقريته وتفوقه على غيره في ابتكار المعاني وموضوعات الكتابة على اختلاف أنواعها - أمراً متعلماً مشهوراً . كما أن الحديث عنها يكاد يصبح مملولاً مأجوماً . فلم نبق حاجة للقراء في هذا وإنما الحاجة ماسة إلى وصف آثاره ، وما اشتملت عليه من مواطن للحن والابداع ، أو مواضع للمواخذة والانتقاد . وهناك أمر آخر له خطره في خدمة آثار الجاحظ : ذلك أن الأغلاط التي تقع فيها ليست كالأغلاط التي تقع في آثار غيره : لأن آثاره هو تقرأ مراراً . وجمله وتعايره تعاد تكراراً : فإذا كان يتم خطأ علقه الذهن وأشربته النفس . وخاصة نقوس الناشئين والأحداث . فأصبح من الواجب تتبع ما ينشر من كتابات الجاحظ جملة جملة . وتفليتها فقرة فقرة . والنبية إلى ما عساه يكون وقع فيها من خطأ فيصحح . أو تحريف فيقوم . ويشار إلى الصواب فيها . أو ما يقرب من الصواب .

والمطويات من معنفات الجاحظ إن كادت تعد وتحصي ، فإن رسائله وهي القصار من آثاره لا تكاد تعد . أو ينقد لها مد . وترانا من وقت إلى آخر نسمع أنه 'عثر على جديد' من أخباره . أو طريف من رسائله وآثاره . من ذلك أربع رسائل عثر عليها المستشرق العلامة (پاول كراوس) ضمن مجموعة من رسائله (أي رسائل الجاحظ) محفوظة في مكتبة (الدأاماد ابراهيم باشا) وقد صحح (كراوس) هذه الرسائل الأربع وعلق عليها وحقق ألفاظها جهد طاقته وطاقة رفيقه في العمل الأستاذ (محمد طه الحاجري) وبعد أن عارضها بنسخ منها في مصادر أخرى طبعاها في مطبعة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) في القاهرة سنة ١٩٤٣ م . وهذه عنواناتها :

(١) المعاد والمعاش

(٢) كتمان السر وحفظ اللسان

(٣) الجدة والخزل

(٤) فصل ما بين العداوة والحد

وقد كان الأستاذ (كراوس) أحدى إلي وأنا في القاهرة مجموعة هذه النسخ :
فإذا هو يقول في مقدمته لها معترفاً ببقاء غوامض فيها : (وما يزال أملنا كبيراً
في أن نجد من نقد الناقدين ما عسى أن يجلو هذه المواضع المغطاة فيها)
فعلمت أن الناشر الفاضل على أكمل ما يكون من أخلاق العلماء . وأنه لا معنى
لقبول هديته إلا العمل بأمنيته . فأساعده على رفع الغشاوة عن بعض ما في
الفاصل هذه الرسائل من تحريف أو تصحيف .

(وما الكتب إلا كالضيوف خفها بأن تتلقى بالقبول وأنت تقرا) .
وأزيد على ما قاله هذا الشاعر : إن من حقها أيضاً أن تُخدم وتُكرم .
بتصحيح أغلاطها . وتقويم اعوجاجها . وإزالة الغموض إن وجد عنها . فتكون
الفائدة منها أتم . والانتفاع بها أكمل .

الرسالة الأولى

وقد عُثر إلى اليوم من رسائل الجاحظ نصوص آثاره على عشرين رسالة طبع
منها احدى^(١) عشرة رسالة في مصر وثلاث رسائل في لبنان ثم ثلاث في مصر
وفي التي نشرها (فنكل) سنة ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م) وأخيراً ثلاث الرسائل التي
خُفِر بها الأستاذ (كراوس) .

قلنا إن عنوان الرسالة الأولى منها (المعاد والمعاش : في الأدب وتدبير الناس
ومعاملاتهم) وقد بعث الجاحظ بهذه الرسالة إلى (أبي الوليد محمد بن أحمد بن
إبي دؤاد) . ومن مواضع العجب أن مجموعة مكتبة (الداماد) التي وُجدت
فيها هذه الرسالة بالعنوان المذكور احتوت على الرسالة نفسها لكن بعنوان

(١) نشرها السيد السامي سنة ١٣٢٢ هـ ثم أعاد طبعها مع زيادة وعصان السيد السندري (١٩٣٣ هـ)

آخر ، ورواية أخرى ، أما العنوان الآخر فهو : (الأخلاق المحمودة والأخلاق المذمومة كتيبها إلى محمد بن عبد الملك) (وهو المعروف بابن الزيات وزير المعتصم) ولعل السبب في هذا الاختلاف أن النسخة الأصلية المروية عن الجاحظ قد أغفل فيها اسمها واسم المخاطب بها . فرجع أحد رواة الأدب أن المخاطب بهذه النسخة هو أبو الوليد محمد المذكور واختار هذا اسم (المعاد والمعاش) أما الراوي الآخر فرجع أن يكون المخاطب بها (ابن الزيات) وسماه (الأخلاق المحمودة والأخلاق المذمومة) . واخذ الرواة من يومئذ يتداولون النسختين بالعنوانين المختلفين . وكان أحد أولئك الرواة يرويها بسندٍ وتعبير وبعض ألفاظ غير ما يرويها به الآخر . وهذا ما جعلهم يقولون إن للرسالتين روايتين .

والرجلان اللذان اختلف الرواة في نسبة الخطاب إليهما في الرسالة كانا من أشهر رجالات العلم والحكم في عصر الجاحظ : كان أحدهما قاضياً ، والآخر وزيراً ، وكان للجاحظ اتصال بهما . ودأب عليهما . يعرف ذلك من التأمل في الأسلوب وطريقة الخطاب الذي كان يوجه إليهما في رسائله . وتوجد طائفة من رسائل الجاحظ غير الأربع المذكورات قد وجه الخطاب فيها إلى هذين العظميين أيضاً . و (أبو الوليد محمد) هذا ولأه الخليفة المتوكل القضاء بعد وفاة أبيه القاضي أحمد بن أبي دؤاد . ومن يتصفح أقوال الجاحظ . ويتأمل أساليبه في هذه الرسائل . وهو يتكلم في الأدب والأخلاق . وما يحمد منها وما يذم . وما يجب أن يتوخى في معاشرات الناس ومعاملاتهم . حين المواصلة والمقاربة ، وحين المجافاة والمباعدة — من تأمل ذلك في كلام الجاحظ خيل إليه أنه إنما يقرأ كتابات ابن المقفع في هذه الموضوعات لولا إسهاب واستطراد أحياناً في كلام الجاحظ . وهذا ما وقع لي بالفعل فأني ذهلت عن نفسي قليلاً وأنا أقرأ أقوال الجاحظ في رسائله هذه فحسبني أعيد قراءة كلام مخبوء في نفسي . وإذا الخبوء رسالة (الأدب الكبير) لعبد الله

(١) ويسمى أيضاً الدرة القيمة طُبعت في بيروت سنة ١٨٩٧ مع مقدمة وتعليق للأخير . شكيب أرسلان ثم طُبعت في مصر مضبوطة بالشكل باسم الأدب الكبير بتحقيق أحمد زكي باشا .

ابن المقفع وقد كنتُ نَحَصْتُ معظم ما فيها بخطي في زمن (الطلب) فرجعت إلى هذا الملخص وجعلت أقرؤ منه جملةً ، ومن رسالة الجاحظ جملةً ، فاذا الكلامان متشابهان في كثير من الألفاظ والأساليب وطرق الإيراد . حتى كأن قلماً واحداً نطقها . أو معدناً واحداً من التبر لفظها . ولا عجب فإن الأديبين بكادان يكونان نسخة واحدة مصححة من ثقافة زمنهما . وادب عصرهما . يشهد لذلك الجاحظ نفسه : فقد وصف في الرسالة الرابعة (العداوة والحسد) ما يلاقيه من عنت حساده له . واستهزائهم بما كان يكتب ويؤلفه : فكان يعتمد الى بعض مصنفاته وينسبها الى غيره من ابناء عصره . فيعجب إذ ذاك حساده بها . ويثومون بحاسنها وبلاغة صاحبها على مسمع من (الجاحظ) مؤلفها ، وهم لا يشعرون . وإلى من كان الجاحظ ينسب مصنفاته المفقلة هذه ؟ قال انه كان ينسبها الى طائفة من فضلاء عصره وفي طليعتهم ابن المقفع .

أما السبب الذي حمل الجاحظ على مخاطبة القاضي أبي الوليد برسالة (المعاد والمعاش) فهو ما ذكره في فاتحتها . وملخصه انه كان يسمع بأبي الوليد ، وعظيم مواهبه ، وغرّة مناقبه ، وتفوقه على أترابه ، فتوقّفه هذا الى الاتصال به ، واختباره في شتى حالاته . فوجد لديه من الفضل والنبيل والكرم أكثر مما بلغه . وقد وصله (أبو الوليد) بمودته ، وخلطه بنفسه . فكافأه الجاحظ على نعمته عليه بتقديم هذا الكتاب إليه .

وقد قال - مخاطباً له - (فرأيت ان اجمع لك كتاباً من الأدب جامعاً لعلم كثير من المعاد والمعاش أصف لك فيه علل الأشياء وأخبرك بأسبابها الخ) . ثم ان الجاحظ انتهز ذكر (العلل) و (الأسباب) التي توخاها في كتابه فقارن بينه وبين محققات غيره من العلماء . فنقل كتابه من حيث انه (أي الجاحظ) يبين علل الأشياء ويكشف عن أسبابها . بينما غيره من المصنفين لا يفعلون شيئاً من ذلك . وإنما اقوالهم (روايات رَوَوْها عن اسلافهم ، ووراثات ورثوها عن

أكبرهم) ثم جعل الجاحظ صنيعهم هذا من قبيل فضيلة أداء الأمانة!! أما فضيلة الاستنباط والاستشهاد والتعليل فليسوا منها في شيء. قال: (ولن تجد وصايا أنبياء الله أبداً إلا مبينة الأسباب. مكشوفة العلل. مضروبة معها الأمثال) هذا ما قاله الجاحظ وهو فيه يوافق من يلزم علماءنا الأقدمين (الذين كتبوا في التاريخ والأخبار والآداب) من جهة أنهم إنما يتبعون في مصنفاتهم جزئيات الحوادث، ورواياتها المختلفة، ويوردونها من دون تنقيص، ولا مقارنة، ولا استنتاج، ولا محاكمة، كما يقول أبناء هذا العصر. مؤرخونا وأخباريونا عشاق رواية ولا قسمة (الدراية) في نفوسهم: فهم لا يعملون عقولهم في تعليل الأشياء، ولا في امكانية حدوثها، ولو رأى الجاحظ ما كان من ابن خلدون في (مقدمته) المشهورة لقرت عينه واشتفت نفسه، ولعده ابنه الوحيد الذي يسرته، ويقتبط بكائه وأدبه. على أن الجاحظ معاً قرأ نفسه. ونوّه بحسن ما أتته في مصنفاته. فإن فيها ما يؤخذ عليه. وكم سمعنا يعيب كلام غيره ويعصمه بالمرادغة والاحتيال (وتقول نحن اليوم اللغاة والدوران) ثم لا نلبث أن نرى ذلك في كتاباته. ونلمحه في الكثير من محاولاته ومناظراته. فهو كثيراً ما يهول على قرائه. ويدعهم وقد وقد بهرج^(١) بهم الطريق: بحيث يربهم التافه من الأمور خطيراً، والخطير حقيراً، وينذهب بهم في مذاهب الغلو والتلطف في القول كل مذهب. حتى ليخيل إليهم أن الجبل هباء. والأرض سماء. وحتى ليكاد يقنعهم بأن اللوم من مكارم الأخلاق. والمشتغل من نقائس الأعلاق. وأن السلحفاة قد تبذ الجرد العتاق. في ميادين السباق. ولو شئت لاستخرجت من كلامه عدة شواهد^(٢) على ما ذكرت. قلت آنفاً إني سأعمل على تصحيح بعض الفاظ هذه الرسائل. أما تصحيح

(١) في الأساس: بهرج بهم الطريق (بالبناء للمجهول) إذا أخذ بهم في غير المحجة وعدل

بهم من الجادة المتأفذة إلى غيرها، وأصل الكلمة هندية نقلت إلى الفارسية ثم عربت

(٢) وإذا تعجل القارئ غرائب من هذه الشواهد فليراجعها في كتاب تأويل مختلف

الحديث لابن قتيبة صفة (٢١ - ٢٢).

ما وقع فيها من إيهام في البحث أو غموض في الجمل والأساليب فإن هذا قد يتعسر . ومعرفة وجه العيوب فيه فلا تبسر . ولذلك منبى صفحة أو صفحات أحياناً من رسائل الجاحظ مقلقة المعنى في وجه القراء ، إلى أن يتجاوزوا بالعثور على نسخ جديدة متصححة لهذه الرسائل .

وهذا الغموض في أساليب الجاحظ يكون ناشئاً في أغلب الأحيان من جهل النساخ فيمسحون ما خلق . يهدمون ما بنى . وقد يكون الغموض ناشئاً من جهل القارئ بأساليب الجاحظ وطريقته في تركيب الجمل ، وتأليف الفقر ، التي اعتادها هو (أي الجاحظ) وبعض فحول الكتاب في الصدر الأول : ففهم كلام الجاحظ إذن يحتاج إلى إطالة النظر في بعض المواضع من مصنفاته . وتصنع الوجوه التي تحتمله من المعاني . ثم التثبت مما يريد من هذا اللفظ أو تلك التعبير . والا فقد يقرأ القارئ صفحات من آثاره ويتخلل فصولها فحلاً . وإبراهيم باباً باباً ثم يخرج من دون أن يعلق بكفه منها اثر .

فالاستفادة من كتب الجاحظ متوقفة على شئين (أولاً) تصحيحها وتحقيق الفاظها . (ثانياً) ألفه أساليبه ، والمراد عليها . وتتوفر هذه الألف في من تطلع من اللغة ، واتفق قواعدا .

ومن أمثلة الألفاظ التي يستعملها الجاحظ ويكون لها من المعنى عنده غير ما اعتدنا أن نفهمه منها — ما جاء في ص ٨ من رسالة (الكعاد والمعاصر) وهو قوله : (واعلم أن الآداب إنما هي آلات تصلح أن تستعمل في الدين وتستعمل في الدنيا الخ) فهو يريد بالآداب غير ما نفهمه اليوم منها : يعرف ذلك بالتأمل في بحثه وتنبه إلى منتهاه . فقد أراد بها المصالح البشرية . والمعاملات الدنيوية : فهو يقول إنها من الدين . وليس الدين بخارج عنها ولا منافياً لها : فالغرضان (أي الدنيا والآخرة) متكاملتان متضامتان : لا تستقل إحداهما عن الأخرى . واستشهد لذلك بما قاله (ابن عباس) في تفسير آية (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة

(أعمى) • فقد قال ابن عباس (من كان ليس له من العقل ما يعرف به كيف دُبرت أمور الدنيا • فكذلك هو إذا انتقل إلى الدين : فإنما ينتقل بذلك العقل • فبقدر جهله في الدنيا يكون جهله بالآخرة أكثر : لأن هذه (أي الدنيا) شاهدة وثالث غيب • فإذا جهل ما شاهد • فهو بما غاب عنه أجهل) ^(١)

ومن قوانين الحياة العامة التي نصح الجاحظ للبشر أو مخاطبه (القاضي أبي الوليد) أن يسبروا أو يسير عليها - ما يصح أن نسبه قانون ^(٢) (الرغبة والرغبة) فقد قال الجاحظ ص ١٣ ما نصه (فاؤذ كن العباد لم يصلحوا خالقهم ولم ينقادوا لأمره إلا بما وصفت لك من «الرغبة والرغبة» فأعجز الناس رأياً • وأخطأهم تدبيراً • واجهلهم بوارد الأمور ومصادرها • من أمل أو ظن أو رجا أن أحداً من الخلق - فوقه أو دونه - يصلح له ضميره أو ينتص له بخلاف ما دبرهم الله عليه في ما بينه وبينهم • فالرغبة والرغبة أصلاً كل تدبير • وعليها مدار كل سياسة • فاجعلها (يا أبا الوليد) مثالك التي تحتذي عليه • وركنك الذي تستند إليه) اه
وقد نظم الشاعر هذا المعنى فقال :

(أما تنظر العيون من الناس من أين ترعجه أو تخشاه)

ومن قوانين الحياة العامة أو السياسة العامة التي أشار بها الجاحظ ما يصح أن نسبه أيضاً (قانون المكافأة) وخلاصته أن رئيساً من الرؤساء إذا أراد مكافأة عامل على عمله كان عليه أن يؤن المكافأة ونوعها بأدق الموازين : فإن شخصاً لم ينصح لك • ولم يكن ذا حرمة بين الناس • ولا كفاية للمهم من الأعمال

(١) ولي في هذا للمنى كلمة جريئة • كنت قلتها في صدد تحذيرنا معشر المسلمين من الترابط في توفير الأسباب الدنيوية للوصول إلى العزة والغلبة : فلك أن الدنيا معلقة بالآخرة فإذا أضفنا المطبة حتى أضناها كنا للآخرة أكثر إضاعة • ثم علمت ذلك بما عايناه من عباس غير أن قوله رضي الله عنه أشد صراحة وأكثر بياناً • (٢) مضمون هذا القانون يشبه من بعض الوجوه ما قرره الوزير الإيطالي (ميكياثيلي) في قوانين السياسة التي دونها في كتابه (الأمير) وقد تجاهل فيها عاطفة الرحمة والرفق بالإنسانية • والقول بأن هذا مطالبى لئلا في سياسة عباده دعوى باطلة واقتراء على حكمة الخالق •

شخصاً مثل هذا إذا آثرته بنمكافأة إيثار هوى (فإن الأثرة على الهوى توجب السخطة، وتوجب استصغار عظيم النعمة، ويمحق بها الأفضال، وتفسد بها الطائفتان : من آثرته ومن آثرت عليه) ثم أوغل الجاحظ في تحليل هذا المعنى - وتدوير كيف أن من آثرته بالنعمة يسخط أيضاً - وفصل الأحوال المستحقين للمكافأة وغير المستحقين لها - حتى قال إن العقوبة أحياناً تكون من المكافأة التي فيها صلاح البشر .

(من لا يؤدبه الجيب لى فني عقوبته صلاحه)

ومن قوانين الحياة التي أشار بالتزامها قانون جاء به الدين من قبل . وضالما شكاً منه ومن الإخلال به رجال الإصلاح الديني : وهو (قانون التوكل) : فقد حدده الجاحظ ص ١٨ وكشف عن معناه بما يحمده عليه كل من عرف مبلغ الضرر الذي لحق المسلمين من جرأء التوكل الكاذب . قال الجاحظ احسن الله إليه (واحذر كلَّ الحذر أن يخذلك الشيطان عن الحزم فيمثل لك التواني في صورة التوكل . ويسلبك الحذر . ويورثك الهوينا بإحالتك على الأقدار : فان الله إنما أمر بالتوكل عند انقطاع الخيل ، والتسليم للقضاء بعد الإعذار^(١) . بذلك أنزل الله كتابه . وامضى سنته . فقال تعالى : خذوا حذركم . ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة . وقوله ﷺ : اعقلها وتوكل . وسئل ما الحزم ؟ قال الحذر . فتعقَّب من هذا الباب . وأحكم معرفته إن شاء الله تعالى) .

وما ذكرناه من كلام الجاحظ وطريقته في تمييز الأخلاق . ومقارنة صالحها بفاسدها كاف في الدلالة على منزعه في الرسالة الأولى (المعاد والمعاش) ولتقبل الآن على ما في هذه الرسالة تقنيا من الأبحاث اللفظية . والفوائد اللغوية . ونرجي ذلك إلى

العدد الآتي .

المغربي

•••••

(١) أي بعد أن يكون الإنسان توسل بالأسباب جهده طاقته وعجز عن الوصول إلى غرضه، وإذا ذاك يذره الناس . ويقولون إنه قد أهدر .

فهارس المخطوطات

في العراق

في بلدان العراق المختلفة ، خزائن عديدة للكتب ، بعضها خاص بملكه طائفة من الباحثين والمفكرين يجمع الكتب ، وبعضها عام 'عنيت الحكومة بفتحها لجمهور المطالعين . ولا يخلو بعض هذه الخزائن من مخطوطات قديمة نادرة الوجود ، إلا ان عناية الباحثين في العراق ما زالت ضئيلة من حيث وضع « فهارس » مفصلة ، تصف ما في هاتيك الخزائن من مكنونات ومخلفات ثمينة . وهذا تقصير مرجعه في الغالب قلة مبالاة الناس بالفائدة المرجوة من أمثال هذه الفهارس .

ولقد سبقنا المستشرقون من أبناء الغرب في هذا المضمار وقطعوا فيه أشواطاً بعيدة . فلم يدعوا مجموعة خطية في خزانة من خزائهم تقريباً ، الا تولوا وصفها ودرسها . فالفهارس العديدة المتنوعة التي صنّفوها ، قد أغنت العلماء وفتحت لهم أبواباً للبحث والتنقيب كانت موصدة من قبل .

فكبريات دور الكتب الأوربية في لندن وأكسفورد وكمبريدج وباريس وبرلين ولبسبك وبيث ورومة وليفدن والاسكوريال وغيرها ، حافلة بفهارس مخطوطاتها التي تعدت من أنفس المراجع وأوثقها في الوقوف على دفائن المؤلفات الخطية التي تشتت شملها وتناثر في كثير من بقاع الأرض .

وإذا امتعصينا ما نُشر من « فهارس المخطوطات » في دور كتب العراق ألينا عددها قليلاً ، لا يعدو أصابع اليدين . وسنذكر في هذه الكلمة ما نُشر منها بالطبع ، وما لا يزال مخطوطاً لدى أصحابه .

والذين 'عنوا بتعنيف هذه الفهارس المطبوعة ثلاثة من أفاضل العلماء المؤلّفين :

أولم : السيد أدّي شير : المؤلف العراقي الشهير ، مطران الكلدان في صمرت سابقاً ، المتوفى سنة ١٩١٥ م . فقد وضع باللغة الفرنسية فهرمين ثنين في هذا الباب :

الأول : فهرست المخطوطات السريانية المحفوظة في خزانة كتب دير السيدة حافظة الزروع ، بجانب القوش التي في شمالي الموصل . وقد نشره مؤانته في المجلة الآسيوية الفرنسية بباريس (Journal Asiatique) سنة ١٩٠٦ ، ثم طبعة في السنة نفسها ، في رسالة لطيفة تقع في ٦٥ صفحة ، وصف فيها ١٥٣ مخطوطة^(١) .
الثاني : فهرست المخطوطات السريانية والعربية ، المحفوظة في خزانة كتب دار البطريركية الكلدانية بالموصل . وقد طبعه مؤلفه في باريس سنة ١٩٠٧^(٢) ونسخه اليوم نادرة .

وثانيهم : الدكتور داود الجلبي الموالي . فقد نشر كتاباً عظيم الشأن ، وسمه بـ « مخطوطات الموصل »^(٣) ، ذكر فيه الكتب العربية ، والمكتوبة بحروف عربية ، التي وقف عليها في مدارس الموصل الدينية وجوامعها ، ذلك الى مجاميع يملكها بعض الباحثين والسراة وغيرهم في مدينة الموصل .
وقد بلغت المخطوطات التي تطرق المؤلف لذكرها أو وصفها ، قرابة أربعة آلاف مخطوطة ، مفرقة بين نيف وخمسين خزانة ، نذكر منها ما اشتملت على خمسين مخطوطة أو أكثر من ذلك :

(١) Addai Scher (Mgr.) : Notice sur les Nanuscrits Syriaques conservés dans la Bibliothèque du Couvent des Chaldéens de Notre - Dame des Semances .

Catalogue des Mss . Syr . et Arabes de la Pibl . Patriarcat (٢) Chaldéen de Mossoul .

(٣) مخطوطات الموصل ، وفيه بحث عن مدارسها الدينية ومدارس بلحقاتها . (مطبعة التراث ،

بغداد ١٩٢٧ ؛ ٣٨٩ ص) .

عدد المخطوطات	الخزانة	عدد المخطوطات	الخزانة
٢٦٠	المدرسة الأحمدية	٥٧	المدرسة العبدالية
٦٨	الاسلامية	٥٠	العثمانية في جامع
٣٦٨	مدرسة جامع الباشا		الرابعة
١١٥	بكر افندي	٣٠٧	المحمدية في جامع
٥٥	الخاتون		الزيواني
٦٨	الجامع الكبير	٢٩٥	مدرسة الملا زكريا (الحاج
١١٥	الحاج حسين بك في		زكريا)
	جامع السلطان أويس	٢٢١	الني شيث
٣٠٦	الحجيات	٥٣	المدرسة النعمانية
٣١٧	المدرسة الحسنية	٣٧٣	مدرسة يحيى باشا
١٣٥	مدرسة الخطاط	٧٦	خزانة كتب المؤلف
٢٦١	عبدالرحمن جلي الصائغ		الدكتور داود الجلي

وثالثهم: المستشرق الفرنسي الأب ثوستي الدومنيكي : فانه صنف ثلاثة فهارس

مفيدة ، وصف فيها مخطوطات ثلاث خزائن عراقية ، وهي :

١- فهرست المخطوطات السريانية المحفوظة في خزانة كتب دير السيدة^(١) . وهو على

غرار الفهرست الذي صنفه المطران أدري شير لهذه الخزانة ، وقد أشرنا اليه ، بيد

ان هذا أكمل وأتم . لأن ثوستي وصف فيه ثلاثمائة وثلاثين مخطوطة وصفاً حسناً .

٢ - فهرست المخطوطات السريانية المحفوظة في خزانة كتب الأبرشية الكلدانية

في كركوك^(٢) . وقد نشره بالفرنسية في مجلة الشرق المسيحي (Orientalia

Vosté (J.-M. , O.P.) : Catal. de la Bibl . Syro - Chaldéenne (١)

du Couvent de Notre - Dame des Semances près d'Alqos h.

(Rome , 1929 ; 130 p .) .

Catal. des Mss . Syro - Chaldéens conservés Dans la Bibl . (٢)

de l'Archevêché Chaldéen de Kerkouk .

Periodica Christiana) الصادرة في رومية سنة ١٩٣٩ . وقد وصف المؤلف في هذا الفهرست ٤٩ مخطوطة .

٣ - فهرست المخطوطات السريانية المخطوطة في خزانة كتب الأسقفية الكلدانية في العقر^(١) . وقد نشره بالفرنسية في مجلة المذكورة سنة ١٩٣٩ ، وفيه وصف ٦٧ مخطوطة .

هذاماً أتبع لنا الوقوف عليه من الفهارس «المطبوعة» التي تصف المخطوطات في العراق . ونضيف إلى ما تقدم ذكره ، ثبثاً صغيراً عنه الأستاذ كاظم الدجيلي خزانة كتب الأمير (عم) في النجف ، ونشره في مجلة لغة العرب (٤) [بغداد ١٩١٤] ^(٢) ص ٤٠ - ٤٥) وقد وصف فيه ١٧ مخطوطة .

وللأستاذ الشيخ علي الخاقاني ، صاحب مجلة «البيان» التي تصدر في النجف ، وصف حسن لأربع وعشرين مخطوطة ، منشورة في بعض خزائن كتب النجف ، نشره في مجلة مقالات ظهرت في مجلة «الاعتدال» النجفية ^(٣) . وقد استل هذه المقالات من كتاب نفيس له ، يعني بتأليفه في وصف أهم ما تشويه خزائن كتب العراق من مخطوطات .

* * *

وهناك غير ما ذكرنا ، فيأرض خزائن عراقية أخرى ، وقفنا على بعضها مخطوطة لدى اصحابها ، نذكرها فيما يأتي استتماماً للفائدة ورجاء ان يتحقق طبعها :

١ - فهرست مخطوطات المتحف العراقي: يشمل على وصف مفصل لجميع المخطوطات

(١) Catal. des Mss. Syro - Chald. conservés Dans la Bibl Episcopale de 'Aqra .

(٢) بدأت لغة العرب يستنها الرابعة سنة ١٩١٢ صدر منها جزآن وبمن الثالث ، ثم دهمها الحرب الكبرى الأولى فاحتجبت ثم ظهرت سنتها الرابعة ثانية سنة ١٩٢٦ بمدة الجزء الأول باغفال تسلي الأجزاء المذكورة الصادرة قبل الحرب . فليتب الى ذلك .

(٣) الاعتدال (١٩٣٨ - ١٩٤١) ص ٥٧ ، ١١٣ ، ١٢٢ ، ٢٧٣ ، ٢٣٣ ،

٦٥٧٢ [١٩٢٦] ص ٧٥ ، ١٥٥ ، ٢٣٨) .

العربية والفارسية والتركية والسريانية والعبرية المحفوظة في خزانة كتب المتحف العراقي • تعني بتأليفه بالعربية الدكتور مصطفى جواد و كور كيس عواد • ويتألف هذا الفهرست من ثلاثة اجزاء ، فيها وصف نحو من اربعمائة مخطوطة ، وستشرع مديرية الآثار القديمة العامة العراقية في طبعه عما قريب •

٢ - فهرست مخطوطات دير الكرملين ببغداد : صنفه بالعربية العلامة الأب انتاس ماري الكرمليني • وهو في ثلاثة مجلدات كبار ، تصف بايجاز نحواً من ١٥٠٠ مخطوطة • وكان مؤلفه قد نشر اقساماً منه في وصف المخطوطات النصرانية في هذه الخزانة ، في ثيف وعشرين مقالة ظهرت كلها في « نشرة الأحد » المجلة الأسبوعية المعروفة التي كانت تصدر في بغداد ^(١) •

٣ - فهرست مخطوطات قلاية الموصل وكنائسها السريانية : للبطريرك اغناطيوس افرام الأول برصوم • وهو بالعربية •

٤ - فهرست مخطوطات دير مارمتي وكنائس القرى التابعة له : للبطريرك افرام برصوم • وهو بالعربية ايضاً •

وهذان الفهرسان الأخيران ، لم اقف عليهما ، وإنما رأيت مؤلفهما العلامة يثير اليهما في بعض تأليفه ^(٢) •

٥ - فهرست خزانة الدار البطريركية الكلدانية بالموصل : وضعه بالفرنسية الخوري اسطفان كچو ، على غرار الفهرست الذي صنفه المطران أدري شير لهذه الخزانة • فان نفاذ نسخ فهرست ادري شير منذ زمن بعيد ، وحصول زيادة على مخطوطات هذه الخزانة ، اوجبنا وضع هذا الفهرست الجديد الذي نتظر ان ينشر بالطبع يوماً ما •

٦ - فهرست مخطوطات خزانة عواد ببغداد ، ألفه بالعربية صاحبها هذه الخزانة ،

(١) نشرة الأحد (المجلدات ٨ ، ٩ ، ١٠ ، الصادرة سنة ١٩٢٩ - ١٩٣١) •

(٢) الاول للثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية (ج ١ ، ص ١٢ ، الرقم ٢٥٢) •

كور كيس عواد واخوه ميخائيل عواد * وقد وصف فيه المخطوطات العربية والفارسية والتركية والسريانية ، وعددها جميعاً ٢٣٤ مخطوطة .

٧ - فهرست خزائن كتب آل باش اعيان العباسي بالبصرة : للأستاذ علي الخاقاني . وقد شرع بنشره في مجلة « الغري » النجفية ، فظهرت منه جملة اقسام والأمل ان يتم نشره بكماله .

* * *

على ان هنالك فهارس او قوائم غير ما ذكرنا ، لم يتمكن من حصرها هنا ، إما لأننا لم نستطع الوقوف عليها ، أو لأنها موضوعة بوجه لا يصلح ان تنشر به . ومما يكن من أمر ، ففي بلدان العراق كنوز خطية مجهولة لدى كثير من العلماء والباحثين ، يحسن ان يذاع امرها ويعلن عنها للملا ، فتدرس دراسة واقية تليق بها .

ففي بغداد والنجف و كربلاء والبصرة والموصل وغيرها من المدن ، مخطوطات لا تحصى ، تنتظر من يعنى بأمرها ويخرجها من مكانها ، ويفتح للناس سبيل معرفتها والوصول إليها . وليس من وسيلة تيسر ذلك غير نشر فهارس محكمة لها .

كور كيس عواد

(بغداد)

مجموعة اشعار مصبة المباني مفضضة المعاني

في خزانة كتب مسجد احمد بكشا الجزار في مدينة عكا مجموعة خطية
تحتوي على عدة رسائل صغيرة الحجم نسخها احمد بن سليمان المفتي الشافعي في
٢١ ربيع الأول من سنة ١١٨٨ الهجرية وفي أولها رسالة بدون اسم او عنوان
جاء في مقدمتها :

بسم الله الرحمن الرحيم .
قال الفقير الى رحمة ربه الفتي محمود بن احمد الشافعي رحمه الله تعالى .
الحمد لله موسع العطاء مسبح الغطاء مسبح النعم والآلاء المحمود على السراء
والضراء الشكور في الشدة والرخاء أحمد ولا محمود على الحقيقة سواء وأشكره
شكر الذاكر الأتاه وصى الله على سيدنا محمد نبيه المرسل من خير العناصر
اصطفاه ومن أكرم الآباء والأجداد اجتباء صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه
خير آل وأشرف اصحاب واتقاء وعلى الخلفاء الراشدين الأئمة المجتهدين ومن
استن بسننه وهداه .

وبعد فاني لما نظرت في علم العربية ووقفت على دقائقه وحقائقه وراجعت كتب
العلماء وتصانيفهم وجدتها مشتملة على أبيات من الشعر مصبة المباني مفضضة المعاني
قد ألفها قائلوها اعرابيا ودفن في غامض الصنعة صوابها وهي في الظاهر فاسدة
تيهة وفي الباطن جيدة صحيحة .

وقد كان العلماء المتقدمون كالأصمعي وغيره يتساءلون عنها ويتفاخرون بها
أردت ان أجمع منها ما ينسر لأوضح مشكله وأبين جملة مشيرآ الى موضع

النكته منه غير مشغل بإيراد النظائر والأمثال فيفضي إلى الضجر والملال
فيكون ذلك داعياً للنظر فيه وأنا لحافقيه ومتأمليه وأقدم على ذلك الكلام
بأعراب حديثه على الله عليه وسلم فتكثر فائدته وتعظم بركته وجعلته
برسم اخزانة الملووية السلطانية الملكية التكميلية أوام الله مالك مالكمها اذ كان
الله سبحانه وتعالى قد خعه من العلم بأوفر نصيب وحاز قدحه منه بالسهم المعيب
لا سيما على العربية الذي هو مفتاح الفيوم وسر العلوم والسبب الموصل إلى علم
البيان المطلع على دقائق معاني القرآن قد خعه الله بالفضل المسيم والقلب الرحيم
حتى شهدت له بذلك الضمائر والقلوب واستوجبت شكر نعمه في الحضرات
والغيوب وأقرت بالتقصير عن ادراك مداد فاعترفت بأنه لا يصلح لملك الدنيا
مالك إلا إياه فأسيغ عليه نعمته وفضله كما بسط في العباد طوله وعدله وجعل
بقائه ما بقي الأبد وملك مملكته في النفس والولد .

القول على ما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال :

«إِنَّ مِنْ أَمَنِ النَّاسِ عَلِيٌّ فِي تَحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ»

وبعد ان توسع في اعراب هذا الحديث الشريف المشرف للصديق رضي الله
عنه تناول الآيات التالية ونقلها بنصها وشكلها .

لشاعر : إِنَّ مَنْ يَدْخُلُ الْكَنِيسَةَ يَوْمًا فهُوَ يَلْقَى جَاذِرًا وَظَبِيًّا
مما أنشد سيبويه :

كَأَنَّكَ مِنْ جِمالِ بَنِي أَقِيشٍ يَقْعَقُ خَلْفَ رِجْلَيْهِ بِشْفَرٍ
مما أنشد سيبويه :

وَمَا الدَّمْرَ إِلَّا تَارِقَاتٌ فَمَنْعًا أَمُوتِ وَأُخْرَى ابْتِغَى عَيْشَةَ الرِّخَا

مما أنشد علي الفارسي :

لَا تَبْأَسْ وَكُنْ فِي اللَّهِ مَحْتَبًا فَيَمَّا أَنْتَ ذَا يَأْسٍ أَيْ التَّمَرُّجَا

مما أنشد علي الفارسي :

سأترك مهرتي رجلاً فقيراً وأركب في الحوادث مهرتان^(١)
 مما أنشد بعض العلماء :

دجاجتان وبطانتان كما ركب الملب بطن تان^(٢)
 مما أنشد علي الفارسي :

فرعون مالي وهامان وقد زعموا أني بخلت بما يعطيه فارون^(٣)
 مما أنشد ابن الكيث :

قال زبد سمعت صاحب بكر
 لشاعر: لا يكون العير مهراً
 قائل قد وقعت في اللاؤاء
 لا يكون المهر مهر^(٤)
 مما أنشد بعض الفقهاء :

مل حبالي قد شمت الجفاء
 يا فتولي واحفظ علي الأيحاء^(٥)
 مما أنشد بعض العلماء :

ميهات قد سفت أمة رأبها
 حرب ترد بينهم
 واستجبت سفاهها حلأها
 قد كفرت آباءها أبناءها^(٦)
 مما أنشد بعض العلماء :

كساني أبي عثمان ثوبان للوغى
 وحل ينفع الثوب الرقيق لدى الحرب^(٧)
 مما أنشد بعض العلماء :

فلو ولدت فقيرة جرود كلب
 لشاعر: أبا الكوز فاشرب قهوة بابلية
 لسب بذلك الجرود الكلابا
 لها في عظام الشاربين ديب^(٨)
 مما أنشد بعض العلماء :

لقد قال عبد الله شرّ مقالة
 لشاعر: ستعلم أنه يأنيك بكر^(٩)
 كفى بك يا عبد العزيز حبيبها
 وأن أخوك فيه من الأغوب^(١٠)

لبعض العلماء :

لقد قال عبد الله قولاً عريقاً : أتاني أبي داود في مرة تعصب
 لشاعر: أتانا علي في ديار محمد وفارتنا عمرو وسمراً بنا بكر
 قال أتانا تثنية اتان مضاف الى علي وفار فعل ماض وفنا فاعل وعمرو مضاف اليه
 ومراً فعل ماض ايضاً وبنا فاعل وبكر مضاف اليه .

ما انشد ابن أسد :

رأيت عبد الله يضرب خالد وأبا عميرة بالمدينة يضرب

ما انشد ابن أسد :

وأنا رعاة للسيوف أكادماً سميت فرأها الأقربون على قرب
 لشاعر: أقول خالداً يا عمرو لما عاتنا بالسيوف المرهفات
 قال علت ناي السيوف والناب هو الجمل المن .

لشاعر: وأنتم معشر لثام نلني لديكم كل أذى وبؤس
 قال ان قوله معشر يعني اي مع شر ولكنه خفف لاقامة الوزن وبؤس
 مخفوضة بالعطف على شر .

وجاء على اعراب اثني وعشرين بيتاً آخر من هذا النوع ومن جملتها هذا البيت :

قيل لي انظر إلى السهام تجدها طائرات كما يطير الفراشا

وبعد : فأننا لم نطلع على ترجمة لمؤلف هذا الكتيب الصغير الذي يرجح انه
 لم يمثل بالطبع بعد وعلى كل حال فهو مما ألف برسم خزانة الملك الكامل ابن
 الملك العادل من بني أيوب وقد ولي الملك بمصر سنة ٦١٥ هـ وتوفي في شهر رجب
 من سنة ٦٣٥ هـ « ١٢٣٨ م » فيكون من مؤلفات القرن السابع الهجري والثالث
 عشر الميلادي .

عبد الله مخلص

مخطوطات ومطبوعات

ظهير الدين البرهقي : تاريخ حكماء الاسلام

عني بنشره وتحقيقه الأستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق
وهو من مطبوعات المجمع ، طبع بمطبعة الترقى بدمشق عام ١٩٢٦ ، عدد صفحاته (٢٠٢)

اسم هذا الكتاب بالتحقيق : (تينة صوان الحكمة) ، كما جاء في ترجمة مؤلفه
في معجم الأدباء . وانما سمي مؤخرأ : (تاريخ حكماء الاسلام) لاقتصاره على ترجمة
فلاسفة الاسلام من رجال القرن الثالث والرابع والخامس والسادس . وقد نسج
مؤلفه فيه على منوال أبي سليمان المنطقي السجستاني في كتابه : (صوان الحكمة) ،
الا ان كل من ذكره ابوسليمان لم يترجم له البيهقي لاعتقاده ان اباسليمان قد
أنصف في ذكره ، فجاء كتابه مقصوداً على ترجمة مائة واحد عشر حكماً ومبندساً
وطيباً وفلكياً ومنجماً من ابناء الشرق القريب . فليس فيه اذن ذكر لفيلسوف
من فلاسفة اليونان ، ولا ترجمة لحكيم من حكماء الأندلس .

وربما كان تاريخ الحكماء للقفطي آتم واكمل من كتاب ظهير الدين البيهقي ،
الا ان البيهقي صنف كتابه قبل القفطي بمائة سنة . وترجم الحكماء لم يتعرض لهم
غيره . فله في ذلك فضل التقدم ، وله ايضاً مزية خاصة لا يشاركه فيها كتاب
آخر ، وهي اشتماله على تراجم بعض المعاصرين ممن عرفهم البيهقي وانصل بهم وعاشروهم
كالفيلسوف حجة الحق عمر بن الخيام ، والامام محمد الشهرستاني ، والامام احمد بن حامد
اليسابوري ، والامام محمد الحارثان السرخسي ، وغيرهم .

وأحسن ما في الكتاب ترجمة ابن سينا . فقد توسع فيها المؤلف خاصة ،
واكثر من اخبار الشيخ الرئيس ، وذكر تلاميذه ومعاصريه وما جرى بينهم من
المنازعات والمشاجرات كالفيلسوف ابي الفرج بن الطيب الجائليق ، والحكيم ابي القاسم

الكرماني ، واني الريحاني البيروني وغيرهم . وهذه الأخبار تصور لنا عصر ابن سينا
 احسن تصوير ، تبين لنا كيف كانت مدن الشرق تعج بالفلاسفة ، وكيف
 كان الملوك والأمراء يرتبطون بالحكام والأطباء ويشاركونهم في العلم .
 أشار الأستاذ الرئيس محمد كرد علي الى ذلك كله في مقدمة الكتاب ، ثم قال :
 وقد عرفنا من كتاب المؤلف « ان التعصب كان بعيداً جداً عن الحكماء ، وعهدنا
 بأكثر المؤلفين في تلك القرون يترجمون لأهل الاسلام كما يترجمون لمن لم يمثل
 ملته بدون غرض ولا حوى » ، وقال أيضاً : « وأتانا هذا الكتاب ببرهان
 آخر على ان المدنية الاسلامية وحدة لا تتجزأ ، وان كل قطر متمم للأقطار
 الأخرى ، فاذا كانت خراسان خست برجال الحكمة ، فان الأقطار السائرة أخرجت
 رجالاً في فروع العلم غير قليلة » (ص : ٧ - ٨) . وقال أيضاً : « ترجم البيهقي
 من ترجم لهم بأبجاذ وانا لنجد من الأخبار في هذه التراجم المختصرة ما لا نجد
 من تراجمهم في بعض كتب السير المطولة . ومن أهم ما حرص على ذكره ما أثر
 لهم من حكم لطيفة اهتم بالتقاطها أكثر من اهتمامه بتدوين سني ولاداتهم ووفياتهم .
 وقد يفضل ترجمة الرجل ويكتفي بنقل ما عني اليه من كلام جيل » .
 فن الحكم الدالة على فلسفة ذلك العصر ما نقله المؤلف من حكم القاضي
 الفيلسوف محمد الأفضل عبد الرزاق التركي (ص ١٣٠) . قال : « إذا
 أردت ان تعرف مثلاً لترتيب الوجود فانظر الى الخليفة بنصب السلطان ،
 والسلطان ينصب الوزير ، والوزير ينصب الأمير ، والأمير ينصب الوالي ، والوالي
 ينصب القاضي ، والقاضي ينصب المزي والمدول » . فهذا القول يشير الى ترتيب
 الوجود في نظر ابن سينا وغيره من فلاسفة الاسلام ، يدل على تأثير الحياة السياسية
 والاجتماعية في النظريات الفلسفية . فكان المبدأ الأول في نظرية الفيض هو
 الخليفة وكان العقل الأول هو السلطان ، وكان العقل الثاني هو الوزير .
 والكون أشبه شيء بدولة فصلت فيها القوة المدبرة عن القوة المحركة كما فصلت

القوة الروحية في المجتمع السياسي عن القوة التنفيذية ، والمبدأ الأول يخلق العقل الأول كما ينصب الخليفة السلطان ، والكواكب وأفلاكها تتحرك في السماء تسبيحاً لله تعالى كما يتحرك الأمراء والسلاطين في خدمة الخليفة المقيم في بغداد . وقصاري القول ان كتاب البيهقي عظيم الفائدة لأنه صور لنا ناحية جميلة من نواحي التفكير الاسلامي وكشف لنا النقاب عن حياة بعض الحكماء الذين لم يترجم لهم القفطي ولا ذكرهم ابن أبي أصيبعة وابن خلكان .

وقد حقق الأستاذ الرئيس محمد كرد علي هذا الكتاب أحسن تحقيق ، وقدم له بمقدمة جامعة ، وشرح معانيه وعلق عليها ، وقارن بين ما أتانا به البيهقي وبين ما ذكره صاحب طبقات الأطباء وصاحب تاريخ الحكماء من الأخبار والسير . وختم الكتاب بنقاريس في التراجم ، والأعلام ، والأمكنة ، والبقاع ، والشعوب ، والقبائل ، والمذاهب ، والكتب ، فجاء عمله هذا متممًا لكتب التراجم الأخرى ومفيداً لنا كثيراً من الحلقات المفقودة من تاريخ الفكر الاسلامي .

جميل صليبا

مطبوعات

كريم عرقول : العقل في الاسلام

طبع بمطابع صادر في بيروت عام ١٩٤٦ ، عدد صفحاته ١٨٠ من القطع الوسط .

عنوان هذا الكتاب لا يدل بالضبط على موضوعه ، لأن عنوانه العقل في الاسلام ، وموضوعه البحث في قيمة العقل وحدوده عند الغزالي . ومن قرأ هذا العنوان الضخم ظن أن المؤلف سيتكلم في كتابه عن قيمة العقل عند مفكري الاسلام ، جميعاً من الفقهاء والمفسرين ، والمحدثين ، والمتكلمين ، والفلاسفة والعلماء ، والكتاب ، والمؤرخين ، والشعراء . ولكن ليس في الكتاب شيء من هذا . وما ذكره المؤلف عن طريق المعرفة في الاسلام قبل الغزالي لا يروي غلة ، ولا يشفي غلة ، بل هو استعراض سريع لآراء الفلاسفة والمتكلمين والأثرين وأهل التعليم والمتصوفين لا يزيد على عشرين صفحة .

أما ما بقي من الكتاب فهو مشتمل على قيمة العقل وحدوده عند الغزالي ، اتانا المؤلف فيه بشيء عن حياة الغزالي ثم ذكر موقفه العام من المعرفة على الإطلاق وتكلم عن شكه في العلم وعن كيفية خروجه من الشك ورجوعه الى اليقين ، ثم أشار الى رأيه في قيمة العقل ومبادئ المعرفة وميزان النظر وحدود العقل في الأدبيات والغيبيات وموقفه من علم الكلام والفلسفة وطريقة الصوفية ، كل ذلك بعبارة واضحة وأسلوب حسن وتبويب جيد .

ولعل العنفة الأساسية البارزة في هذا الكتاب هي دفاعه عن ايمان الغزالي بالعقل ومبادئ المعرفة ، فالغزالي في نظر المؤلف يعتقد أن مبادئ المعرفة ضرورية يقينية . يقرها العقل من دون برهان مجرد لحجود حضورها في الذهن وهي تفرض نفسها على العقل بنفسها وتستمد قيمتها من ذاتها لا من معونة خارجية .

نعم ان الغزالي يصرح بأن نفسه قد عادت الى الصحة والاعتدال بنور قدفه الله في الصدر ، وان اخلق كلهم يتعلمون العلم من الرسل ، وان الامام الذي علمنا الموازين هو امام الائمة محمد بن عبد الله (القسطاس المستقيم ص ٢٢) مما يؤم ان هناك معونة خارجية . ولكن هذه الأقوال لا تكفي لحملنا على الاعتقاد ان محك المعرفة الأخير عند الغزالي هو عامل خارجي . اذ ان أثر المعلم مقصور على الارشاد الى مبادئ المعرفة والتبني اليها . وسواء أفطن العقل الى هذه المبادئ عن طريق التعليم أم اقتنع بها عن طريق النظر والتجربة والاختبار فانه لا يعتقد صحتها الا لوضوحها بذاتها . فالتعليم لا يتني العقل ، بل يقتضيه ويوجبه (ص ١٠٦) . والمحك الأخير لمبادئ المعرفة انما هو الوضوح والبداهة ، اما المعونة الخارجية فلا تنفع الا على سبيل الدغم والتثيت (١٠) . وما صب النور الالهي على مبادئ العقل ليكسبها وضوحها ولكن ليزيل عنها مداخل الفسطة ويعيد النفس الى الصحة والاعتدال . ولولا مداخل الشك لما احتاج العقل الى هذا النور . فالغزالي في نظر المؤلف ليس بآذن ريبيك ، بل هو من انصار الاثبات العقلي ، والعقل في نظره

آلة سليمة ضرورية لاقتناص المعرفة ، أساسه الضروريات وسبيله النظر وميزانه
قواعد المنطق ومحكمه الرضوح واليقين .
وهذا كله صحيح . اننا نعتقد مع المؤلف ان الغزالي يؤمن بصلاح النظر
ومنفعته ، وصدق العقل في حكمه على أمور التجربة ولكننا نخالفه في زعمه ان العقل
يخرد عن الشرع يصلح في نظر الغزالي للخوض في مسائل ما بعد الطبيعة . لقد
قال ابن خلدون ان الميزان الذي يوزن به الذهب لا توزن به الجبال ، وقال
الغزالي ان من وزن الذهب يميزان يمكنه ان يزن به الفضة وسائر الجواهر ،
فهل يفهم من هذا القول ان الغزالي لم يحدد نطاق العقل ؟ ان الفضة وسائر الجواهر
هي والذهب من جنس واحد ، فلا غرو اذا قال الغزالي انها توزن بنفس الميزان .
اما مسألة الصفات الالهية وقدم العالم وبقاء النفس بعد الموت ، ومسائل الحشر
والنشر فهي من الأمور التي لا يحكم العقل فيها الا بظن وتخمين من غير تحقيق
ويقين (التهاوت ص ٨) .

لقد أعدت قراءة التهاوت والمنقذ من الضلال والقسطاس المستقيم ، وغيرها من
كتب الغزالي فلم أجدها فيها ما يسمح بالقول ان العقل قادر على ادراك مسائل
ما بعد الطبيعة ، بل خلصت من ذلك الى نتيجة ذكرتها في غير هذا المكان وهي
ان الغزالي يؤمن بإحكام العقل ويرى انها مادية في أمور التجربة وما يتصل بها ،
أما الأمور الالهية فهي من طور فوق طوره . وكتبه جملة من الأقاويل التي
تدل على عجز العقل عن ادراك اسرار الحقائق الالهية . فقد قال :
« وبفساد ذلك يفسد هذا كله على من يأخذ هذه الأمور من نظر العقل .
فجميع ما ذكره من صفات الأول او تقوى لاجحة لم عليه الاتخمينات وخطون
تستكشف النشأة منها في الظنيات . ولا غرور لو حار العقل في الصفات الالهية
ولا عجب . انما المعجب من عجبهم بأنفسهم وبأدلتهم ومن اعتقادهم انهم عرفوا
هذه الأمور معرفة يقينية مع ما فيها من الخبط والخليل » (تهاوت ص ٥٥) .

وقال أيضاً :

«وهكذا يفعل الله بالزائعين عن سبيله، والتناكبين عن طريق الهدى، المنكرين لقوله تعالى ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم، الظانين بالله ظن السوء، المعتقدين أن أمور الربوبية تستولي على كتبها القوى البشرية المخرورين بقولهم زاعمين أن فيها مندوحة عن تقليد الرسل واتباعهم» (نهاية ص ٣٠) .

وقال أيضاً :

«فاستحالة هذا لا تعرف بضرورة ولا نظر . وقد وردت به الأنبياء والمؤيدون بالمعجزات ، فيجب قبوله منهم . وأما البحث عن كيفية صدور الفعل من الله بالإرادة ففضول وطمع في غير مطمع» (نهاية ص ٣٢) .

وقال أيضاً :

«فلتقبل مبادي هذه الأمور من الأنبياء وليصدقوا فيها فإن العقل ليس يحيلها ، ولترك البحث عن الكيفية والكمية والماهية فليس ذلك مما تنفع له القوى البشرية . ولذلك قال صاحب الشرع تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في ذات الله» (نهاية ص ٣٣) .

وقال أيضاً :

«ففي الناس من يذهب إلى أن حقائق الأمور الإلهية لا تنال بنظر العقل ، بل ليس في قوة البشر الاطلاع عليها» (نهاية ص ٤٤) .

وقال أيضاً :

«وان هذا ان كان صحيحاً فلا يطلع عليه الا الأنبياء بالهام من الله أو وحي وقياس العقل ليس يدل عليه» (نهاية ص ٥٧) .

وقال أيضاً :

«وما ذكرتموه وان اعترف بإمكانه ، فلا يعرف وجوده ولا يتحقق كونه وإنما السبيل فيه ان يتعرف من الشرع لا من العقل» (نهاية ص ٦٢) .

وقال أيضاً :

« ومن الأشياء ما تعرف استحالة ومنها ما يعرف امكانه ، ومنها ما يقف العقل عنده فلا يقضى فيه باستحالة ولا إمكان » (تهافت ٦٩) .

وقال أيضاً :

« وانما انكرنا عليهم من قبل دعواهم معرفة ذلك بتجرد العقل » (تهافت ٨٤) .
فهذه الأقوال وغيرها تدل على ان العقل عاجز في نظر الغزالي عن الوصول الى حقائق ما بعد الطبيعة ، وانه لا يطلع عليها الا عن طريق الوحي ، وانه بعد الاطلاع عليها من الشرع يحكم النظر فيها لفهمها . فهو اذن آلة صحيحة الا انه مقيد في مسائل ما بعد الطبيعة بقيود الوحي والالهام .

واعتقد ان المؤلف اراد ان ينقد الغزالي مما وصف به من احتقار العقل فين لنا أولاً ان العقل عنده ميزان صادق ثم بين لنا ثانياً ان نطاق العقل عنده غير محدود فأصاب في الأولى واخطأ في الثانية .

وفي كتابه بعض الهنات اللغوية والنحوية كقوله في ترجمة « Tabula Rasa » (الطاولة المعرأة) وصوابه الصفحة الصقيلة أو الصفحة البيضاء لأن (طاولة) لا وجود لها في لغة العرب . وقوله : فلن نشكر على الأقل ان معرفة الله وشكر نعمته مثلاً (امرئين جمعين) يحكم العقل ، بصوابه (امرآن حسنان) . وقوله : ولكن هاتين الدعوتين (واهييتين) ، بصوابه (واهيان) الى غير ذلك من الهنات التي لا ينبغي لمثله الوقوع فيها .

ج . ص

ديوان ابن عني

شرف الدين أبي المحاسن محمد بن نصر الأنصاري الدمشقي

عني بنشره وتحقيقه الأستاذ خليل سرمد بك

هذا الديوان من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، وهو يقع مع مقدمته في ما يزيد على ثلاث مئة صفحة ، مطبوع طبعا حسنا على ورق صقيل .

وابن عنين شاعر دمشقي ، وزير من وراثتها ، وسفير من سفرائها ، فهو بذلك من رجالات السياسة في عصره ، وحامل راية شعره . واذا شئت ان تعرف هذا الشاعر معرفة صحيحة ، فعليك بالمقدمة الممنعة التي وضعها الأستاذ المحقق الناشر . فانها تبرز لك في صورة صادقة ، تعرف بها محاسنه ومعاييه ، وعلمه وأدبه ، وسياسته وأخلاقه ، ومثله بالشعر .

استمع له بقول فيه :

« قيل ان يولد ابن عنين بسنة واحدة ، مات شاعران انتهت اليها الرياسة في الشعر بيلاد الشام . هما ابن القيسراني ، وابن منير الطرابلسي . ولم يبق بعدهما من هو في طبقتهم حتى نبغ ابن عنين ، فأشبه الأول ، بجزالة ، ومثاته ، وضارع الثاني بالحجاء ونهش الأغراض . وفاقها بخفة الروح ، والدعابة والتهكم والسخرية . حاكي في كثير من شعره جزالة المتقدمين ، ولكن الطابع الشخصي ، واللون المحلي ظاهران في شعره أشد ظهوراً ، وقل في الشعراء من تراءت على شعره صورة يشبه وزمائه كما تراءت على شعر ابن عنين : فأكثر قصائده تنادي على نفسها ان قائلها شاعر دمشقي عاش في العصر الأيوبي . . . »

وشعره كثير النون ، متعدد النواحي ، جم الأغراض ، وعناصره منتزعة من مصادر شتى ، يتجاري فيه طبع الشاعر ، وفن الصانع ، وتبين فيه مقبرة الأقوي ، وتهذيب العالم المثقف ، فهناك محسنات البيان والبديع ، وهناك استعمال مصطلحات العلوم من نحو وصرف ، وتقدير وحديث ، ومنطق وطب ، وفلك وهندسة وحساب . . . اما لغته فجزلة منقحة اذا جدد ، وحفظه للمفردات وحسن انتقائه لها عجيب . . . وهو على طول باعه في اللغة ، ومقدرته على حسن السبك ، ومثاته الرصف ، وحسن ذوقه في انتقاء الفصيح ، لا يتخرج في مواضعه الخزلية من اللحن أو ما يشبهه ، واستعمال الألفاظ والتراكيب العامة الشائعة في دمشق لعصره ، مما له اصل فصيح أو لا . . .

إلى ان يقول :

وأجل ما في شعره وأطرفه - في رأيي - الحنين الى دمشق ، والدعابة
والتهكم والسخرية .

قلنا : اما ان يكون اطرف ما في شعر الرجل ، الدعابة والتهكم والسخرية ،
فنعم . ولو قال الناشر : وارق ما في شعر ابن عنين وأشعره ، الحنين الى دمشق
لقلنا له أيضاً : نعم . اما أجله ، فليس الحنين الى دمشق ، ولا هو الدعابة والتهكم
والسخرية ، ولكنه الشعر الذي قاله في واقعة دمياط . والذي يقول فيه الناشر نفسه :
« ٠٠٠ على ان لابن عنين موقفاً من انبل المواقف الشعرية المحمودة في هذا
الباب ، وذلك في واقعة دمياط التي نتجت عن كسر الصليبيين سنة (٦١٨)
فاستجاشت الشعر في صدره وكان قد بلغ السبعين ٠٠٠ »

هذه القصيدة - في رأينا - هي عروس الديوان ، وآية الشاعر ، وأجل
ما قاله واجزله وافخره . وهذه بعض آياتها :

سألوا صهوات الخيل يوم الوقي عنا - اذا جهلت آياتنا - والقنا الأعداء
غداة لقينا دون دمياط جحلاً - من الروم لا يعصى يقيناً ولا ظناً
قد اتفقوا رأياً ونزماً وهمة - وديننا وان كانوا قد اختلفوا لساناً

* * *

واطمعهم نينا غرور فارقوا - النسا سراطاً بالجناد وارقنا
فما برحت سمر الرياح تنوشهم - بأطرافها حتى استجاروا بنا منا
سقبانهم كأساً تفت عنهم الكرى - وكيف ينام الليل من عدم الأمن
لقد صبروا صبراً جميلاً ودافعوا - طويلاً فما أجدى دفاع ولا اغنى
لقوا الموت من زرق الأشعة أحمرآ - فألقوا بأيديهم النسا فاحسنا
منحنا بقاياهم حياة جديدة - فمأثوا بأعناق مقلدة منا
ولو ملكوا لم يأثروا في دماننا - ولو غا ولكنا ملكنا فاحسبنا

* * *

وقد عرفت سابقنا رقايعهم - مواقعها فيها فان عاودوا عدونا

هذا الشعر العجيب المطرب ، السيل المتع ، والفخر الصدق ، ليس من غاية وراءه في الاحاسان والابداع .

أما ما عناه الناشر في تصحيحه وتحقيقه ، من صعوبة في المعارضة والموازنة والمراجعة بين مختلف نسخ الديوان التي عثر عليها — وكثرت مسموحة مقلوبة — فشيء ليس بعرفه ، ويعرف قدره ومقداره ، إلا من تصفح الديوان ، ورأى هذه الروايات القلقة المضطربة التي أحالت الكلمات عن مواضعها وعن أصولها ، مما يستحيل ان يهتدي اليه إلا من أوتي من البصر بالأدب واللغة والشعر ، ما أوتي الأستاذ الخليل .

وحبذا لو أن الأستاذ زاد في تفسير بعض الكلمات ، وفي شرح بعض المعاني ، وهو أمر كان يسيراً عليه في جانب الجيد الذي بذله في التقيق والتصحيح .
ولو أنه فعل لكان جمع بين الخنيين ، ووجب له علينا الشكر مرتين . بل مرات .

عارف التكمدي

دمشق

كتاب نهضة الرتبة في طلب الحسنة

تأليف عبد الرحمن بن نصر الشيزري

يقع الكتاب في نحو من مئة وخمسين صفحة ، جيد الطبع والورق ، حسن الترتيب والتبويب ، قام على نشره السيد الباز العريتي : المدرس بمدرسة الخديوي اسماعيل الثانوية ، بإشراف الدكتور محمد مصطفى زياده : أستاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة فؤاد الأول . فجاء هذا الكتاب في احسن ما يكون من التحقيق والتدقيق ، كما انه جاء دليلاً ناطقاً على مآثر السلف وما كانوا عليه في حياتهم الاجتماعية من حضارة ونظام ، قد يكون أكثره مجهولاً عند أكثرنا . وفي اخراج هذا السفر ومداسته ، احياء لعدد غير قليل من المفردات العربية ، والمصطلحات الفنية ، مما نحن في أشد الحاجة الى مثله .

وهذه جملة مما قاله الدكتور زياده ، في تصدير الكتاب ، تظهر مزاياه ،

وتفصل ما أجملناه . قال :

« وكتاب نهاية الرتبة في خطاب الحسبة . . . نبع من منابع التعريف بأحوال المجتمع الإسلامي عامة - والشرق الأدنى خاصة - في العصور الوسطى . . . وهو لذلك مورد من أقرب الموارد الصافية التي سيقترف منها المشتغلون بكتابة التاريخ الإسلامي حسب الأسس الجديدة . . . »

غير أن أهمية الكتاب لا تنحصر في مجرد أسبقته وأفضليته على سائر الكتب المشابهة ، كما أنها لا تستند إلى إفاضة مؤلفه في بيان ما ينبغي للمحتسب أن يتحلى به من الصفات ، أو يقوم عليه من مراقبة السوق والأسواق ؛ بل تظهر أهميته كذلك في ما جاء به من ذكر ما كان يقوم به أصحاب الحرف والصناعات من أنواع الغش في مبيعاتهم ومعاملاتهم ، مما ينبغي لبعض أحوال التجارة والتجار ، في عصر المؤلف على الأقل ، يضاف إلى ذلك ما بالكتاب من الحقائق الكاشفة عن كثير من مظاهر الحياة الاجتماعية في القرن الثاني عشر الميلادي ، كاستخدام النساء في تنظيف القطن والكتان على أبواب الحوانيت بالطريق العام ، وشغل نساء بغداد بالاختفاف التي تنصر عند المشي لاجتذاب الأنظار . وفي الكتاب كذلك كثير من الألفاظ العربية الفصيحة والمولدة الصحيحة ، مثل الدَّوَّارين ونصاب الموضع والمزَّم ونحوها ، مما يغوص أهل العربية في بطون المطولات والأمثات لالتقاطه . . . والذين يقيسون الكتب بما فيها من تسلية ، يجدون . . . كثيراً من الأخبار الطريفة . . . »

وهذا باب من الكتاب ، يعلن عن نفسه ، وينوه بهذا النظام ، ويبيِّن الحضارة ، اللذين كانا عليها السلف ، في حياته الاجتماعية : والباب هو الباب السادس وعنوانه :
الحسبة على الخبازين :

« . . . ينبغي أن ترفع سقائف حوانيتهم ، وتفتح أبوابها ، ويجعل في سقوف الأفران منافس واسعة يخرج منها الدخان ، لئلا يتضرر بذلك الناس . وإذا فرغ الخباز من أحماته ، مسح داخل التنور بخزقة نظيفة ، ثم شرع في الخبز . يكتب المحتسب في دفتره أسماء الخبازين ومواضع حوانيتهم ، فإن الحاجة

تدعوه الى معرفتهم ، وبأمرهم بنظافة اوعية الماء وتغطيتها ، وغسل المعاجز ، ونظافتها وما يغطي به الخبز ، وما يحمل عليه .

ولا يعجن العجائن بقدميه ولا يركبنيه ولا يترقيه ، لأن في ذلك مهانة للطعام ، وربما قطر في العجين شيء من عرق انطيه وبدنه ، فلا يعجن الا وعليه ملصبة ^(١) او يشتقطوع الاكمام ، ويكون ملئاً ايضاً ، لأنه ربما عطس او تكلم فقطر شيء من بصاقه او مخاطه في العجين . ويخلق شعر ذراعيه لئلا يسقط منه شيء في العجين . واذا عجن في النهار فليكن عنده انسان في يده مذبة يطرد عنه الذباب . هذا كله بعد نخل الدقيق بالمناخل السفيقة مراراً .

وبعد هذا فصل في منع الخبازين من غش الخبز ، وان لا يخبز حتى يخبثر ، فان الفطير ثقيل في الوزن والمعدة . .

ثم الباب السابع في الحسبة على الفرانين : يفرقهم يختص على الدروب والمال واطراف البعد . . وبأمرهم بإصلاح المداخن ، وتنظيف بلاط الفرن في كل ساعة ، من اللباب المحترق ، والشرر المتطاير ، والرماد المتناثر ، لئلا يلمس في اسفل الخبز منه شيء . . .

وينبغي ان يكون له مخبزان : احدهما للخبز والآخر للسك ، ويجعل السك بمزول عن الخبز ، لئلا يسيل من دهنه على الخبز . ولا يأخذ من العجين زيادة عما جعل له . . .

الى غير ذلك من الأبواب والفصول التي تتناول جميع اهل الحرف والمهن والصناعات المعروفة في عصرهم .

وأضاف الناشر الى الكتاب ثلاثة ملاحق ، اورد في الملحق الثالث من النصوص الفرنسية القديمة ما يدل على ان منصب الحسبة واعمالها ، انتقلت من الدولة الاسلامية الى المملكة الصليبية بيت المقدس . وقد نشرت هذه النصوص في ذيل الكتاب ، وعقب عليها بترجمتها الحرفية الى العربية .

ع . ن

(١) الملصبة الثوب تمنى غيركم . والبشت رداء من صوف يلبسه الفلاحون والنساء والمجانقون .

الجهاد السياسي

وضع الطيب عبد الرحمن الكياني

يقع الكتاب في مئة صفحة أو تزيد . اراد المؤلف من كتابه على ما قال في كلمة الأهداء : « بحث الجهود السياسية التي بذلها رجالات سورية المجاهدون لخلاص أمتهم ، وتحرير بلادهم ، ودفع الغاصب عن وطنهم . . »

وعرف الأستاذ في مقدمة الكتاب : الجهاد السياسي ، وما يتطلبه ، والمقصود منه ، وكيف ينشأ ، وعلاقة السياسة بالوطنية ، وشروط الجهاد .

ثم نوه بجهود سورية في الماضي والحاضر في سبيل استقلالها ، وبما كان لأهلها العرب من حضارة وفتوحات في جاهليتهم وفي اسلامهم .

وفي جملة ما قاله المؤلف : انه يزوال حكم العرب عن الشام ، وخيبة غيرهم تليه ، ضعفت فيه الحضارة ، وضمت العالم ، وان استبداد الأعاجم وغيبتهم كان سبباً في بقية العرب ، وفي ما كان منهم من هذا الجهاد السياسي الذي يصفه .

ونبسط المؤلف في ذكر العهد العثماني ثم عاد فأجمله بقوله : « حكم الرعية بالصلحة الراعي » وانه كان يقوم على « الخضاع بالقوة ، واخذ المال بالقوة » وتسير الأمور بالقوة » ولم يذكر على بعض السلاطين العثمانيين ما كانوا عليه من عدل وصلاح ، حالت دونها بطانة السوء ، وقال : « ان الترك لم يستعدوا لقبول التجدد والتحول » وأسهب في النهضة العربية ، وأشاد بعهد فيصل ، وبما كان فيه . - على قصره - من جهاد سياسي . وان فيصلاً - رحمه الله - اذا لم يأت بالمعجزات ، فانه لم يقصر بالممكنات . وتعرض بالذكر الأسباب التي قضت بانتيار الحكم العربي في الشام ، فكان مما ذكره منها : ضعف الأخلاق ، وما نتج عنه من شراء قرينة لضمار بعض السوريين ، وافسادها الأمر على فيصل ، بالقلقل والفساد والفتن تبيحها ، وبالتمرات المذهبية والطائفية والجنسية تشيرها .

هذا وصف مجمل للكتاب ، وهو اذا لم يكن من الكتب التاريخية ، لأن صاحبه كتبه في معتقله ، حيث لم تكن تصل يده الى الكتب والوثائق يعتمد عليها ، ويستمد منها . ولأنه مكتوب بلغة الخطابة لا لغة التاريخ ، فالكتاب فائدته انه

ضم صفحات من صفحات الجهاد ، وصفحات من صفحات الاستعداد ، خلت بالعرب
ان يراجعوها ، وبالنشئة ان يعرفوها . فيعرفوا اي بلاء يحيق بالامة اذا حكمها
اجنبي عنها .

ع . ن

مترجم

محاضرات نقابة المحامين

في السنة القضائية بحلب ١٩٤٥ - ١٩٤٦

كتاب يقع في قرابة ٥٥٠ صفحة من القطع الكبير . جيد الورق والطبع ،
والترتيب والتبويب . يضم ثمان عشرة محاضرة من امتع المحاضرات موضوعاً ،
وانصها أسلوباً ، ألغها ثمانية عشر فاصلاً : اربعة منهم من رجال القضاء ، واربعة عشر
من رجال المحاماة ، ويطول بنا الكلام ان نحن نحنا نعددها محاضرة محاضرة ،
ونصف ما فيها من الفوائد . ونظام القاري ونسيء الى اتقنا ان نحن نوهنا بعضها
وأغفلنا البعض الآخر ، لذلك ندعو القراء ، ولا سيما القضاة والمحامين ، الى مطالعة
هذا السفر الجليل ، والاعتراف من مباحثه القيمة

ويتملي قلب الانسان غبطة وسروراً ، وهو يرى ما بلغت المحاماة في البلاد
السورية من علم صحيح ، وثقافة واسعة ، بعد ذلك الركود والجود ، وبعد ان كنت
لا تجد - قبل بضع سنين - الا في التدري من يحسن ان يعالج موضوعاً من
مثل هذه الموضوعات ، بشيء من العلم والفهم ، وبأسلوب عربي ، تفهم معه ، ما يراد منه .
ولا يسعنا الا ان نشكر للأستاذ الكوراني : تقيب المحامين ولزملائه اعضاء
النقابة الفاضلين ، هذا الجهد الموفق الذي كان سبباً في اخراج هذه المحاضرات .
كما نشكر للمحاضرين : قضاة ومحامين ، حسن تخير المحاضرات واجادتهم فيها :
موضوعاً وبياناً .

ع . ن

مترجم

عصر السريان الذهبي

للفيكت فيليب دي طرازي

طبع بمطبعة جدعون في بيروت سنة ١٩٤٦ في ١١٩ صفحة

هذا كتاب وضعه صديقنا ورفيقنا المؤلف بعد ان بحث موضوعه في المظان

م (٦)

المعتبرة . والسريان الذين كتب هذا المختصر في نشأتهم وعلاقتهم بالأمة القديمة وما أقاموه من معالم الحضارة . تعاليم الدين وما أبدعوه في الفنون الجميلة وشادوه من أديار وخزائن كتب والقود من كتب وترجموا من علوم . قبل الاسلام . وبعد . هذه الأمة حرة ان يكتب تاريخها وما تاريخها الا جزء من التاريخ العربي يصح ان يدعى بهذا الاسم منذ قام رجال العلم فيهم وخرجوا ابناهم في العلوم وتوفروا على نقلها لسانهم من اللسان الأخرى ونقلوا الى العربية ما كان عندهم منها . « فتحوا منذ المائة الرابعة للتاريخ المسيحي عضراً سميداً ذهبياً بما انشأوه من المدارس الشهيرة والمعاهد الفخمة والمكتبات المزاهرة وبمن انجبوه من الأعلام . . . وظل يسطع نور عصرهم الذهبي حتى القرن السابع بل امتد الى القرن الثامن وتمسح بعضهم فقال الى القرن التاسع . ثم عادت فبزغت انوار ذلك العصر الذهبي الميمون في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد » .

« ولقد ذهب رهط من اهل البحث الى ان السريان هم الذين استنبطوا الكتابة لأن بلاد الفونيقين الذين علموا الكتابة اليونان ليست الا بقعة صغيرة من بلاد السريان اشهر مدنها صور وحيدا وبيروت وجبيل . والفونيقيون كما هو ثابت كانوا أمة شامية اي سريانية . وكانت لغتهم اما سريانية محضة واما قريبة الى السريانية اكثر من سائر اللغات الشامية » « انتشر السريان انتشاراً عجيباً لا في اقطار سوريا وما بين النهرين والعراق وبلاد فارس ومبار بل في الأنحاء اللبنانية » و « أجمعوا على ان عدد السريان في القرنين العاشر والحادي عشر ناهز المليونين من النفوس اما عدد الملكيين في تلك الحقبة فلم يتجاوز النصف مليون . . والوارنة اربعين الفا » و « عمت عقيدتهم بالطبيعة الواحدة شعباً حمة غير شعبهم السرياني كالأقباط والأحباش والأرمن والعرب ونصارى مليبار وغيرهم » .

نشروا عقيدتهم « بين العرب جيرانهم بني غسان ونجران وتغلب ومعد وبني كلب وغيرهم » وكان بطارقة السريان ينصبون اسقفاً او اكثر لكل قبيلة من تلك القبائل العربية ودعي بعضهم بأساقفة « المضارب » فكانوا يرافقون القبائل العربية المتنقلة ويقومون الرتب الدينية تحت الخيام » .

وكان لعلماء السريان حقوة وحرمه عند الخلفاء الراشدين والخلفاء الأمويين والعباسيين وكان منصور بن يوحنا السرياني وزيراً للمالية في عهد الخلفاء الراشدين «أما ابنه مرجون وحفيده يوحنا المشهور بالقديس يوحنا الدمشقي فقد تولى ديوان الأعمال والجيالات في عهد الخلفاء الأمويين» .

ولا عجب أن كانت علاقات علماء السريان مع خلفاء العباسيين مستحكمة لاستحكام كنه «فقد تفجرت ينابيع المعارف على يدهم وسالت الصحف بأقلام مترجميهم ومترجميهم وأطبائهم في طول البلاد وعرضها وأغنوا العالم بنفائس الأسفار التي استخرجوها إلى العربية عن اللغات السريانية واليونانية والفارسية والعبرية والمندية» «وكان أولئك العلماء والأطباء بلازمون الخلفاء في بلاطهم ويجلسون إلى مائدة طعامهم ويسامرونهم ويعالجون مرضاهم ويرافقونهم أحياناً في حروبهم وأسفارهم . وكان الخلفاء يجلون أطباءهم ويرحبون بهم ويُسْنُون لهم أعطيات منية ويعودونهم في منازلهم حين مرضهم ويراسلونهم يتسّمحون معهم في قضايا دينهم ويحضرون أحياناً الصلاة عليهم بالشمع والبخور في جنازاتهم» .

والمع المؤلف إلى ذكر رجال العلم والدين من هذه الأمة القديمة وتوسيع ما ساعده المقام في الإشارة إلى ما أقاموا من يبع بدارات قال : «وعلى رغم ما تهدم من كنائس السريان بالزلازل والحروب وتنازل الدهر فقد بقيت لهم عام ١٢٣٦ عشرون ألف كنيسة» ولما تكلم عن خزائن كتبها قال : «غير أن الرزايا الجسيمة التي حلت بديار الشرق في مختلف العصور أجهزت على كل ما فيها ومن فيها فلم تبق ولم تذر . وحبينا أن نذكر أسماء الطغاة زنكي (?) وهولاكو وجنكز خان وتيمورلنك وأشياهم عن أعمالهم السيئ والتار في البلاد حتى جعلوها خراباً ياباً» .

وبعد فالمؤلف العالم يهناً على توفيقه بإبراز هذه التحفة خدمة للعالم والتاريخ وترجو أن يوفق إلى وضع أمثال هذا التأليف المفيد .

آراء وأنباء

رد على نفيه

نشرت في جريدة «الجمهورية» العدد ١٨٠٠ ص ٤١٩ كلمة بعنوان «: أسماء منتخبة لمسميات حديثة» جاء فيها ان «الكينف» (وزان بحر) صالح لأن يطلق على خنفسة الطبيب (جزدانة) الذي يضع فيه مقعده وشفرته وأداته وما يحتاج اليه احتياجاً قريباً» .

ورأيت اليوم سيف الخنفة نفسها ص ٢١ ص ٤٧٥ بحثاً باسمه صاحبه التعرير «(التنبيه والتوجيه)» جاء فيه ان الكنف انما هو من أدوات الراعي ومثله الصنف وبانه في مثل هذه المصطلحات يجب ان يرجع الى التاريخ فيسأل أولو العلم به هل كان اعضاء الزمن القديم يتخذون جزدانات وما اسم الواحد منها ؟ وعقب كلامه هذا يذكره شيئاً من رسالة لابن فضلان بعث بها الى الناصر لدين الله أو المستنصر بالله يشكو فيها دجالي ذلك العصر . ومحل الشاهد فيها قول ابن فضلان «وبين يديه المكيمة والملحذان ويتفي آخر النهار ومكثته مملوءة قراصة»

وذكر أيضاً الحرمدان وقال ان معناها الشنطة العصرية واستشهد عليها بما جاء في النجوم الزاهرة وهو «وعندما يعزلونه من الوزارة يصبح يأخذ غلامه الحرمدان خلفه ويروح يقعد في ديوان الانشاء» وبأن الأمير طرنتاي امر جماعة من اصحاب منكوتمر وفيهم حامل حرمدانه فوجد في الحرمدان كتباً من الأسماء .

والذي ظهر لي من هذا كله ان المنتقد الفاضل يعترض ما جئت به من هذا الاختيار ويفضل استعمال المكيمة والحرمدان على استعمال الكينف للشنطة العصرية او جزدان الطبيب بحجة ان القدماء من الأطباء قد استعملوها . اي اطباء زمن طرنتاي ومنكوتمر اللذين كان لأمثالها زمام ذلك العصر الذي تفخروا فيه روح العجبة في لغتنا الشريفة وبدأ الانحطاط في اللغة يطفئ على كثير من اقلام مؤلفيه . ذلك العصر الذي كانت سلاسة التعبير في اللغة تكدر بتثقل قولهم «يصبح يأخذ غلامه الحرمدان خلفه ويصبح يقعد» فهل مثل هؤلاء يوجب حضرة المنتقد

الفاضل ان ترجع اليهم في تقويم كلامنا والى كلماتهم يجب ان نستخدم اصطلاحاتنا وأوضاعنا الحديثة المعنى ؟ ؟

انني اخترت الكيف لأن الطيب يضع فيه مقصده وشفرته وأداته كما كان يفعل الراعي فيصح حينئذ استعماله في كليهما . على ان الكنف ليس خاصاً بالراعي في كتب اللغة فقد جاء في النسان انه ونا طويل يكون فيه متاع اتجار واسقاطهم ومنه قول عمر في ابن مسعود الخ وانه ونا يضع فيه الصائغ اداته . فكما صح عند الأئمة استعماله للتاجر والصائغ فليصح لنا استعماله للطبيب مادام في كليهما حافظاً للشفرة والمقصود لا ريب ان اختيار الصائغ العذب في لغة العرب النصحي للمعاني الحديثة افضل من اختيار الكلمات المستهجنة ولا سيما اذا كانت دخيلة كالخرمدان . بل وافضل ايضاً من اختيار الكلمات البعيدة في اصل معناها عن المعنى المراد . وقد فسر الأئمة كما في القاموس المحيط الملكة بشبه كيس يتوضع على فم الحمار وليس كل ما استعمل في العصر الذي عرفت فيه الملكة والخرمدان للمحافظة يجب علينا الأخذ به ويكون خائفاً عن رجوعنا الى التاريخ وسؤال أولى العلماء ، مادام لم نخرج في اختيارنا للمستعذب المستطوع عن متن النصحي . وقد استعمل اهل ذلك العصر كلمات لم تعذب في أذواق هذا العصر ولم توعها اسماعهم فهجروها . والا فما بالناس لا تحتفظ بالقدرة لما ينصب عليه القدر وبالكردناك او الكردناج للمصلي من الشواء وبالشامرك او الشامرخ للفني من الدجاج وامثال ذلك مما شاع في ذلك العصر واستعمله بعض مؤلفيه فقال اهل اللغة في الأول العنة وقلنا المنصب والنقل وقلنا في الثاني الحلي في الفصيح والشاورمة في العامي وهي أخف من الكردناك وقلنا في الثالث القروج .

السوائل والموائع

ويقول المنتقد الفاضل ان الصواب ان يقال في السوائل الملتببة : المائعات او الموائع لأن السيلان ليس بشرط أصلي في التسمية . واقول انني لما قلت السوائل الملتببة راعيت الاسم المشهور عند اهل هذا العصر لهذا الذي يقذف أيام الحرب ولم قلت الموائع الملتببة لم يتبادر المعنى المراد لكثير منهم .

على ان اطلاق السائل على المائع هو العكس لا بعد غلطاً مبنياً كما جزم به الكاتب الفاضل لأن الميع والسيلان يتعاقبان على المعنى الواحد قال في اللسان : « ماع الماء والدم والشراب ونحوه يميع ميعاً جرى على وجه الأرض جرياً منبسطاً في هيئته ومنه سميت الميعة لأنها سائلة ... وفي حديث جرير ماؤنا يميع وجنابنا مريع ... والميعة سيلان الشيء المصبوب » ويقول في مادة س ي ل « مال الماء والشيء سيلاً وسيلاناً جرى واسالته غيره وقال الراغب الاصفهاني في مفرداته « مال الشيء يسيل واسلته انا قال واسلنا له عين القطر اي اذنا له والامالة حالة في القطر تحصل بعد الازابة وقال ابن الاثير في النهاية « ماع الشيء يميع وانما اذا ذاب وسال » .

فكيف يكون بعد هذه التدروس استعمال السوائل في موضع المائعات او الموائع غلطاً مبنياً ؟ وقفنا الله للصواب .

أحمد رضا

التنبيه والتوجيه

— ٤ —

٥٠ - وجاء في ص ٣٨٣ « ثم علام يستند ان في ... » قلت : الصواب « الام » فانه يقال استند اليه لاعليه ، وذلك لأن الاستناد يكون من الجوانب لا من الاعالي ، وعلى العكس الاعتماد ، يقال « اعتمد عليه » .

٥١ - وورد في ص ٣٨١ مانعه « ولكن كذا بنا كثيراً مايتأثرون بالاسلوب الأعجمي في استعمال اسم الموصول ^(١) (كذا) فيقول بعضهم مثلاً : سيف الدولة الذي حكم في حلب ، والدقيق في هذه العبارة يوم أن هنالك اكثر من سيف دولة حكم في حلب ، قلت : دققنا النظر فيها فلم نفهم ما فهم الكاتب الفاضل ، وإن جاز أن يفهم منه وجود سيوف دولة - وهو بعيد - فليس يدل على أنهم كلهم حكموا في حلب ، لأن الوصف بالذي وصلتها يجعل الصفة - أي حكم

(١) هنا خطأ صوابه [الاسم الموصول] لأنه موصوف وصفة لا مضاف ومضاف اليه

حلب - مقصورة على هذا السيف وحده ، ولذلك يصح أن يقال « سيف الدولة الذي حكم في حلب وسيف الدولة الذي حكم في الحلة على نهر الفرات وهو سيف الدولة صدقة بن ديس الأسدي المبردي » مؤسس مدينة الحلة واليه نسبت فتيال لها « الحلة السيفية »

٥٢ - وجاء في ص ٢٨٠ أيضاً قول هذا الفاضل « وبنا أن الكلام في أغلاط العوام تخليق بنا ان توسع » ، وفي هذا التعبير أوهام وصوابه « ولما أن الكلام في أغلاط العوام كنا خليتين أنت توسع » وذلك بإحلال « لما » بكسر اللام وتخفيف الميم محل « بما » وهذا من أسلوب الجاحظ ويجذف « الناء » لعدم وجود الشرط الذي يستوجبها ، وبإدخال فعل في الجملة ليعتلق به « لما أن » ويجعلنا خليتين جديرين قيتين لا جعل التوصيع خليقاً بنا ولا اختيار له ولا إرادة ولا ذات .

٥٣ - وجاء في ص ٤٩١ « إنه ليس في حاجة الى غيرها » وهو مخالف لأسلوب القرآن الكريم وأساليب الفصحاء وذلك أن القرآن الكريم والعرب يستعملان الحاجة استعمالين إذا كانت مع الحرف الجار ، أحدهما استعمالها في الجملة الاسمية وإذا كان يجب جعل الحاجة في المحتاج فيقال « لي وبني وفي نفسي وفي صدري حاجة » وليس بفلان حاجة ، والاستعمال الآخر في الجملة الفعلية أو مع شبه الفعل نحو « جاء اليهم في حاجة » وذهب في حاجة وأرسله في حاجة ، وقول الشاعر :
إذا كنت في حاجة مُرسلاً فأرسل حكيماً ولا توص
أي إذا كنت مُرسلاً أحداً في حاجة فأرسل حكيماً . . . وفي هذا الاستعمال وحده تميز الحاجة بحرف الجر ، ومن الأول قوله تعالى « إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها » ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم »

٥٤ - وورد في ص ٤٩٥ « من الأشجار التي تنبتها الطبيعة » قلت : إن العرب قالت « الأشجار البرية » وهي ضد المزروعة فلا حاجة بهم إلى نسبة إنباتها إلى الطبيعة ، قال المبرد في وصف الغزال « والقال : الدر البري وما كان من الدر على الأنهار فليس بقال ^(١) » فالذي على الأنهار مفروس .

(١) كامل المبرد ج ١ ص [٦٩] من طبعة الدبلو في الأزهر .

٥٥ - وورد في ص ٥٠٦ « بحمد وآله آمين » والصواب بحمد وآله آمين ، والنقد واضح .

٥٦ - وجاء في ص ٥٠٦ وما بعدها ترجمة الأمير فخر الدين يوسف بن أبي الحسن محمد الحموي الجويني ، منقولة من عدة مراجع وقد رأينا مرجعاً جديداً لترجمة هذا الكبير ، قال ابن الفوطي : « فخر الدين أبو المنصور يوسف بن شيخ الشيوخ أبي الحسن محمد بن أبي الفتح عمر بن علي بن محمد بن حمويه بن محمد بن محمد بن نصر بن الأمير حمويه بن علي الجويني المصري الأمير ، من البيت العربي في المشيخة والتصوف والامارة واصلة^(١) من بخراباذ من رستاق جوين من أعمال نيسابور ، انتقل الى مصر وسكنها وصار شيخ الشيوخ بها وأعتقب أولاداً نجباء ، وكان فخر الدين في خدمة الكامل بن العادل وانتقله رسولاً الى بغداد في أيام الناصر وكان يلبس العمامة فلما رأوا شهادته خضع عليه انقباء والقلنسوة من دار الخلافة وأعطى الكوسات والأعلام وقيل [له] : ما تصلح أن تكون إلا أميراً^(٢) . واستمر حاله في اللباس مدة أيام الكامل وله غزوات في الفرج واستشهد بالمنصورة في ذي القعدة سنة سبع وأربعين وستائة^(٣) » .

٥٧ - وجاء في ص ٥٢٤ « ثم وقع الجبل^(٤) بيد أحد امراء الأطراف وهو احمد بن مروان أبو نصر الكردي صاحب ديار بكر وميافارقين ... » ذكر ذلك الكاتب الفاضل بعد نقله خبر اهداء السلطان طغرليك الجبل الياقوت المذكور الى الخليفة القائم بأمر الله ، وسياقة التاريخ توجب تأخير خبر الاهداء عن خبر الامتلاك ، ألا تراه - أعني كاتب المقالة - نقل بعد ذلك قوله « وأتخذ^(٥) للسلطان طغرليك هدايا عظيمة ومنها الجبل الياقوت الذي كان لبني بويه وإداعه

(١) لل الاصل [وأبوه أصله] (٢) قلت : هذه من غرائب المسكيات وتؤيد ما قيل في سيرة أمير المؤمنين الناصر لدين الله من أنه كان آية في اختيار الرجال ومعرفة أهل الفضل وذوي السكال (٣) كتاب « تلخيص مجمع الآداب المرتب على معجم الأسماء في معجم الألقاب » ص ٢٨٢ من نسختنا الخطية المنسوخة على نسخة نظرافية في المكتبة العامة ببغداد وهذه النظرافية مصورة على نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق . (٤) هو من ياقوت عظيم كتبت المقالة النبذة فيه . (٥) التميز يعود الى الأمير أحمد بن مروان المذكور

من ورثة الملك أبي منصور بن أبي ظاهر ٠٠٠» وقال صبط ابن الجوزي في ترجمة الأمير الكردي المذكور «وكان عنده الجبل الياقوت الأحمر الذي كان لبني بوبه اشتراء من ورثة الملك أبي منصور بن أبي ظاهر وأتقذه إلى طغربك مع هدايا كثيرة تساوي ثلاثمائة ألف دينار ومعها مائة ألف دينار عيشاً ٠ وهذا الجبل الياقوت هو الذي قدمه السلطان للخليفة لما نزل من أهدنة واجتمع به في النهروان^(١)» ٠ فالصواب إذن أن يقال «وكان الجبل الياقوت قد وقع بيد أحد الأمراء ٠٠٠» ليطرد التاريخ، وقد فات الكاتب الفاضل شيء من أولية «الجبل الياقوت» قال إبراهيم بن محمد البيهقي «قال الكسائي: دخلت على الرشيد ذات يوم وهو في ابوابه وبين يديه مال كثير قد شق عنه البدر شقاً وأمر بتفريقه في خدم الخاصة ويده درهم تلوح كتابته وهو يتأمله وكان كثيراً ما يحدثني فقال: هل علمت من أول من سن هذه الكتابة في الذهب والفضة؟ قلت: يا سيدي هذا عبد الملك بن مروان ٠ قال: فما كان السبب في ذلك؟ قلت: لا علم لي غير أنه أول من أحدث هذه الكتابة ٠ فقال: سأخبرك ٠٠٠ ثم رمى بالدرهم إلى بعض الخدم وقال: علي بالخازن ٠ فأقبل الخازن، فقال: اتني بالجبل ٠ فأتاه بحق فيه خاتم ياقوت يتقد كأنه مصباح، فقال للخادم: ضع لنا هذا على هذا الدرهم الذي معك وليكن على مقدار أصبعي ٠ ثم قال: أتعرف هذا الخاتم؟ فقلت: لا يا سيدي ٠ قال: إن ملك الترك كان غزوا في زمن أبي مسلم سمرقند وعليها عامل له يقال له صبيح بن اسماعيل ومع ملك الترك قائد ملك الصين كان جليلاً عنده عظيم القدر بمنزلة ولي العهد أمده به لصور كان بينها في سبعين ألف رجل وإن صبيح بن اسماعيل ظفر بمسكر التركي وحضره وغنم عامة ما فيه وأمر بكافة رجاله وأسر القائد الصيني فبعث أمر فكان هذا الخاتم في أصبعه^(٢) فأخذه منه وبعث به إلى أبي مسلم فبعث به أبو مسلم

(١) أصول التاريخ والأدب [مج ٣٠ ب ١٩٦] نقل عن مرآة الزمان ٠ (٢) وهذا الخبر يختلف ما نقله الكاتب الفاضل من مروج الذهب من كون الجبل من جواهر الأكرسة وكون الرشيد اشتراه بأربعين ألف دينار وليت شعري ما الذي ذكر المسعودي في أخبار الزمان من تاريخ ذلك النص الياقوت الذي أدخله في تاريخ «خواتم ملوك النعمان» من كتابه ذلك؟

الى أبي العباس فأعجب به إعجاباً شديداً ودعا له من يبصره من الجوهريين والمقومين
وسألم عن قيمته فلم يحسنوا ان يقوموه ، فلم يزل مرفوعاً في خزانته الى أن
مات فلما أخرج ما كان في خزانته من الجواهر والنخائر لتباع أخرج هذا الخاتم
فتودي عليه وطلبه المنصور وعيسى بن موسى وتزايدوا عليه فبلغ به المنصور أربعين
الف دينار وحرص على شرائه واشتدت عليه مزايده عيسى اياه فيه ، فلما رأى
عيسى ان ذلك قد غاظه أمسك عن مزايده فاشترى المنصور بأربعين الف دينار
فما ظنك بشيء يشتره المنصور بهذه الجملة في ذلك الزمان وكان الدرهم أعز
من الدينار في زماننا ، فلم يزل الخاتم في خزانته الى أن ولي المهدي فأخرجه ووجهه
لي من دون أخي الهادي وذلك أنه جعل ولاية العهد له فأرضاني عن ولاية العهد
بهذا الخاتم وبأشياء أخر فلما ولي الهادي طلب مني الخاتم فمعتة ورج فيه لجاً شديداً
وبعث الي سعيد بن سلم الباهلي يدعوني فعملت لم يدعوني فأخذت هذا الخاتم
وأخرجته من اصبعي فلما توسطت الجسر قلت لسعيد : انظر الى هذا الخاتم . ثم
رمىته في دجلة . ومضى سعيد الى الدار فأخبر الهادي بما كان مني فبعث بالفواصين
الى الموضع الذي ألقيت فيه الخاتم فطلبوه أشد طلب فلم يقدرُوا عليه فلما صار الأمر
الىنا بعثنا الفواصين فأخرجوه فها هو ذا عندي . ثم قال : يا علي أتعيناك بذكر هذه
الأموال وقد عوضناك لاصفائك البنا بخمسين الف درهم . فحملت بين يدي .
قال ابراهيم البيهقي : وحكي بعد ذلك أن هذا الخاتم صار الى المأمون فوجهه
لبوران ابنة الحسن بن سهل ذي الرباستين ثم صار الى المعتصم ثم الى المعتز والمستعين
فنقشه المستعين ثم صار كل خليفة ينقش عليه اسمه حتى بقيت من قيمته وهو
الآن عند الخليفة المقتدر بالله ^(١) .

قلت : وقد صار الجبل الياقوت المذكور الى علي بن بويه الديلمي على ما جاء
في أخبار ابن مكتوم الشيرازي فان يوسف بن دجيه احد ارباب الدولة والسلطان
في ذلك الزمان سأل ابن مكتوم المذكور عما ادّخره علي بن بويه المقدم ذكره

(١) ابراهيم البيهقي في الحسن والمساوي [ج ٢ ص ١٣٦ — ١٣٠] .

من النخائر والجواهر فقال ابن مکتوم « لا أعلم الا ما سمعت أن الجبل الذي كان
ثمقتدر قد وصل اليه ، فقال: وما الجبل؟ قال: قص ياقوت أحمر فيه خمسة مثاقيل^(١) .
ولا يعلم بعد ذلك ما صار اليه ذلك الجبل الياقوت أما تكرار اسم « الجبل »
في التواريخ فلا يعني أنه ذلك الجبل بعينه لأن الجبل كان خاصاً ثم صار عاماً
لكل جوهري كبير من الياقوت وغيره من الحجارة الكريمة ، وإلا فكيف يصير
الجبل من خزائن دار خلافة العباسية الى دار خلافة الفاطمية بالقاهرة ولم يجر
عليها حادثة كحادثة أرسلات الباسيري . قال سبط ابن الجوزي في ترجمة
ابي محمد عبد الله بن يوسف العاضد بالله الفاطمي « وكان في القصر من الجواهر
النفيسة ما لم يكن عند خليفة ولا ملك بما قد جمع على طول السنين فمنه القضب
الزمرّد وطوله قبضة ونصف والجبل الياقوت الأحمر والدرّة اليخمينيّة مثل يعض
الحمام والياقوتة الحمراء ونسي الحافر وزنتها أربعة عشر مثقالاً^(٢) » ولو كان لذلك
الجبل اتصال « بجبل بني العباس لنبه عليه سبط ابن الجوزي كما نبه قبل ذلك .
وكذلك سكّت عن الاشارة من تأخر زمنه عن ابن الأثير وسبط ابن الجوزي
كأنّ شيئا فانه قال « وحصل صلاح الدين على البنات وقطع البلخش والياقوت
وقضب الزمرّد » ثم اقل بعض كلام ابن الأثير عن الدين^(٣) وذكر المؤلف المذكور
أن صلاح الدين بعث فيما بعث به من النفائس الغريبة الى نور الدين محمود بن
زنگي حجر ياقوت وزنه سبعة مثاقيل^(٤) .

هذه تعليقاتي على ما قرأته من المجلد الثامن عشر من هذه المجلة الزاهرة ،
وقد اقتصر فيها على ما لم أجده بدأ من التعليق عليه في أثناء قراءتي اياه ،
ومأبداً التعليق على المجلد التاسع عشر مستعيناً بالله تعالى مستهدياً له - عز وجل -
الى السيل السوي . (بغداد) الدكتور مصطفى جواد

(١) أبو علي التوحي في [نشوار المحاضرة ج ٨ ص ١٥١] . (٢) مختصر المجلد الثامن من مرآة
الزمان [ص ١٨١] . (٣) كتاب الروضتين [ج ١ ص ٢٠٠] . (٤) المرجع المذكور ص [٢١٩]

الفهرس العام لمواد المجلد الحادي والعشرين

منسوقاً على حروف الهجاء

آراء وانباء ٧٧ و ١٨٣ و ٢٧٣	انتخاب عضو عامل ١٨٣
و ٣٦١ و ٤٦٣ و ٥٦٤	ايبا العرب اتحدوا (كتاب) ٦٤
ابن ابى عذبة وتاريخه ٣٠٦	بقايا الفتحاح ١٢
ابو حاتم البستي ٩٠	بقية ما ترك الأجداد ٨٥
ابو الخليل العلاف ١٠٧ و ٢٠٥	بهارستان نور الدين (كتاب) ٢٧٢
الأدب العربي في بلاد فارس ٤٩١	بين العلم والأدب (كتاب) ٣٦٢
آراء وملاحظات بشأن الدروس العربية ٣٦	تاج الدين الكندي ٣٤٨
الاستعمال محكم ٢٧٤	تاريخ الأسطول العربي (كتاب) ٦٥
استقبال عضو عامل جديد ٣٦٩	تاريخ حكماء الاسلام - فخير الدين
اسماء نباتات اعجمية من اصل عربي ٦٣	البيريقي ٥٤٨
الاصفقانية ٨٨	تاريخ المشايخ السازجيين واصبارهم
الاصلاح الزراعي (كتاب) ١٧٥	(كتاب) ١٧٣
اعضاء المجمع العلمي العربي في سنة ١٣٦٥ و ١٩٤٦ م ٧٧	ترجمة الشيخ عبد القادر المبارك ٨١
اعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون ٧٩	تصحيح واستدرك ٩٥
اغلاط الافرنج ٣	تطور الري في العراق (كتاب) ٣٦٦
افراح الريم ٣٦٥	تعقيب ٢٨٢
اقرب الموارد ١١٨ و ٢١٨ و ٣١٧	تعليق ١٨٦
اقنعة الحب ٤٤٦	تعليقات على مقال (دور كتب فلسطين
الألفاظ القريبة في شعر ابى فراس ٨٤	وتفانس مخطوطاتها) ١٨٧
آل بكتكين - مظفر الدين كوكبري -	تفيه ٣٧٨
٤٠٤ و ٥١٥	التنبيه والتوجيه ٢٨٦ و ٣٨١ و ٤٦٥ و ٥٦٦
الباذة هوميروس (كتاب) ٣٥٦	جغرافية شبه جزيرة العرب (كتاب) ١٧٧
	الجهاد السياسي ٥٦٠

شروح سقط الزند (نسخة الاول ٢٥٦١)	حفريات دورا - اروبس (كتاب) ٦٦
ضرب الحوضه على جميع القوسه	الحكومة المصرية تتبرع بالفي جنيه
لاين طولون ٢٣٦ و ٢٣٨	مكتبة المعري ٢٧٣
نوه في تاريخ التوحيد (كتاب) ٤٥٦	حول القنبلة ٢٨٧
انظرافه والابتدال في لادب المعري ٤٢٧	خيالات (كتاب) ٣٦٣
الطرح ومترادفاتها ٩٠	الدرر الفاخرة بماثر الملوك العلوبين
ظهر الدين البيهقي - تاريخ حكا	بفاس الزاهرة (كتاب) ١٦٣
الاسلام ٥٤٨	الدليل البريطاني لعام ١٩٢٥ م ٤٦١
عبد الله فكري (كتاب) ٤٥٦	دمشق القديمة (كتاب) ٢٧١
عصر انظرافه الذي نعيش فيه (كتاب)	دور كتب فلسطين وثقائس مخطوطاتها ٤٩
٣٥٨ و ٣٥٩	ديوان ابن عنين ٥٥٤
عصر السريان الذهبي ٥٦١	ديوان زهير بن ابي سلمى ٣٧٨
عقدا نكاح كتبنا في اواخر القرن	ديوان الغزي (كتاب) ١٨٧
الثامن ٤١٩	الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة
العقل في الاسلام ٥٥٠	(كتاب) ٤٤٣
على هامش النثر الفني ٤٣٦	ذكرى احمد تيمور باشا ٦٢
العلامة المراغي ٢٨٩	ذيل مرآة الزمان ٣٧٨
علم الاجتماع الديني (كتاب) ٤٤٤	رأس يحيى وزكريا ١٤١
العمل لمصر، بمش دولة واحياء مجد	ربيع الأيوار للزمخشري ٧٤
(كتاب) ١٦٧	رد على تنبيه ٥٦٤
الغزالي وزعماء الفلاسفة ٢٩٢ و ٥٠٣	زوج Sexe ٢٨٥
فرقد الغرباء ومراج الأدياء ٩١	السمنية أو النند ١٩١
الغريونة ٢٧٩	السلوان الكاذب (كتاب) ٦٣
فن التوليد (كتاب) ٢٧٠	سومر (كتاب) ٦٤ و ٢٧٣
فهارس المخطوطات في العراق ٥٣٨	سياسة الغد، برنامج سياسي واقتصادي
الفلاند الجوهريه في تاريخ الصاحبة	واجتماعي (كتاب) ١٧١

مركب النقص (كتاب) ٢٦٥	(كتاب) ٣٨٠
معالم الوحي (كتاب) ٧١	القضاء اللبناني (٦) ١٦
معطيات الوجدان البديعية (كتاب) ٢٦٤	الفتيلة فارسية الاصل ١٨٣
المقتورة التاجية ١٣٦	القول في اتكالنا ٩٧
ملاحظات لغوية ٢٨٣	كتاب التبصر في الدين وتمييز الفرق
ملاحظة لغوية ٤٦٣	التاجية ٢٠
الملك الظاهر يبرس ٣٣ و ٢٢٧ و ٣٢٩	كتاب المؤتمر الأول للمهاجرين ٣٥٧
منبع الاخلاق والدين (كتاب) ٢٦٢	كتاب نبأ الرتبة في طلب الحسبة ٥٥٧
من عمل المجتعيين ١٩٣	كريم عنقول - العقل في الاسلام ٣٥٠
من وحي المرأة (كتاب) ٢٥٨	كلمة الامتاز عارف التكددي ٣٧٣
المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري	كلمة الدكتور حسني - ببح ٣٦٩
(كتاب) ٦٠	الكلمات اللغوية الطيبة ٢٧
موجز الاقتصاد السياسي (كتاب) ٣٥٢	كنز من كنوز الجاحظ ٥٣٠
موجز الطب الجراحي (كتاب) ٢٦١	كيف يعمل العقل (كتاب) ٣٥٩ و ٣٦١
ميسلون (كتاب) ٣٦٤	المؤلفون في الشام ٤٨١
نظام جديد وحياة جديدة ، الأداة	المؤلفون في مصر ٣٨٥
الحكومية (كتاب) ١٦٣	مجمع البيان في تفسير القرآن (كتاب) ٤٤٩
نظرات في الصيام (كتاب) ٦٧	مجموعة احصاء آت عن سوربة ولبنان
نهضة العراق الأدبية في القرن	(كتاب) ٧٢
التاسع عشر (كتاب) ٣٦٢	مجموعة أشعار معربة المباني مفضة
هدية الى دار الكتب الظاهرية ٣٨٣	المعاني ٥٤٤
هدية الى دار الكتب الظاهرية ٩٥	محاضرات نقابة المحامين ٥٦١
وادي الفرات ومشروع سد الهندية	مختصر تاريخ الحضارة العربية (كتاب) ٤٥٩
(كتاب) ١٧٤	مخطوطات ومطبوعات ٦١ و ١٦٢
الوقائع والنظريات الاقتصادية الحديثة	٢٥٦ و ٣٥٢ و ٤٤٢ و ٥٤٨
في العصر الحديث (كتاب) ٣٥٤	مدينة سراي ٣٧٦

فهرس الأعلام

لكتاب مقالات الخلد الحادي والعشرين

منسوقاً على حروف المعجم

عبد الله الغزالي ٣٠٦ و ٤٠٤ و ٥١٥	أحمد رضا ١١٨ و ٢١٨ و ٣١٧ و ٥٦٤
عبد القادر المبارك ١٦٢	أحمد صقر ٤٣٦
عبد القادر المغربي ٢٧ و ٧١ و ١٣٣	أحمد عبيد ٩٤
٨٦ و ٢٢٧ و ٢٥٦ و ٣٢٩ و ٤٤٩	أدوار مرقص ٣١ و ٤٢٧
٥٣٠ و ٤٥٥ و ٤٥٢	اسعد طلس ٤٩ و ١٤٩ و ٢٣٦ و ٣٣٨
عبد الله مخلص ١٨٧ و ٤١٩	انتاس ماري الكرملي ٨٩ و ٩٠ و ٢٧٩
عبد الوهاب عزام ٤٩١	جعفر الحسني ٦٤ و ٦٥ و ٦٦ و ٢٧١
عمر رضا كحالة ٧٤	٢٧٢ و ٤٥٩
كوركيس عواد ٥٣٨	جميل صليبا ١٠٧ و ٢٠٥ و ٢٦٢
حسن الأمين العاملي ٨٢	٢٦٤ و ٢٦٥ و ٣٩٤ و ٤٤٤ و ٤٤٦
محمد أحمد دهمان ٧٠ و ١٢٦ و ٢٤٨	٥٠٢ و ٥٤٨ و ٥٥٠
محمد البزم ٢٥٨	جورج حداد ٦٨ و ٤٦١
محمد مبيجة اليطار ٦٧ و ٤٥٦	حسني صبح ٣٦٩
محمد راغب الطباخ ٨٥ و ١٤١ و ١٧٨	حنان ١٩١
محمد صلاح الدين الكواكبي ٢٨٧	داود الجلي ٩٥ و ١٨٣ و ٢٨٥ و ٣٧٦
محمد كرد علي ٣ و ٩٧ و ١٧٧ و ١٩٣	سالم الكرنكوي ٣٧٨
٢٧٤ و ٢٨٩ و ٣٨٥ و ٤٤٢ و ٤٨١ و ٥٦١	شفيق جبوري ١٢ و ٦١ و ٦٢ و ٦٣
مرشد خاطر ٢٦٨ و ٢٧٠	٦٤ و ٣٥٨ و ٣٥٩ و ٣٦١ و ٣٦٢
مصطفى جواد ٢٨٦ و ٣٨١ و ٤٦٥ و ٥٦٦	٣٦٣ و ٣٦٤ و ٣٦٥
مصطفى الشهابي ٢٣ و ١٧٤ و ١٧٥	عارف النكدي ١٦ و ١٦٣ و ١٦٧
٢٨٢ و ٢٨٣ و ٣٦٦ و ٤٦٣	٧١ و ١٧٣ و ٣٥٢ و ٣٥٤ و ٣٥٦ و ٣٥٧
منير الشريف ٧١	٣٧٣ و ٥٥٤ و ٥٥٧ و ٥٦٠ و ٥٦١

فهرس الجزء الحادي عشر والثاني عشر من المجلد الحادي والعشرين

الصفحة

- ٤٨١ المؤلفون في الشام للأستاذ محمد كرد علي
٤٩١ الأدب العربي في بلاد فارس للدكتور عبد الوهاب رام
٥٠٢ الغزالي وزعماء الفلاسفة (٢) جميل صليبا
٥١٥ آل بكشكين - مظفر الدين كوكبري للأستاذ عباس الغنوي
٥٣٠ كتز من كتوز الجاحظ عبد القادر المني
٥٣٨ فهارس المخطوطات في العراق كور كيس عواد
٥٤٤ مجموعة اشعار معصية المباني منمضة المعاني عبد الله مخلص

مخطوطات ومطبوعات

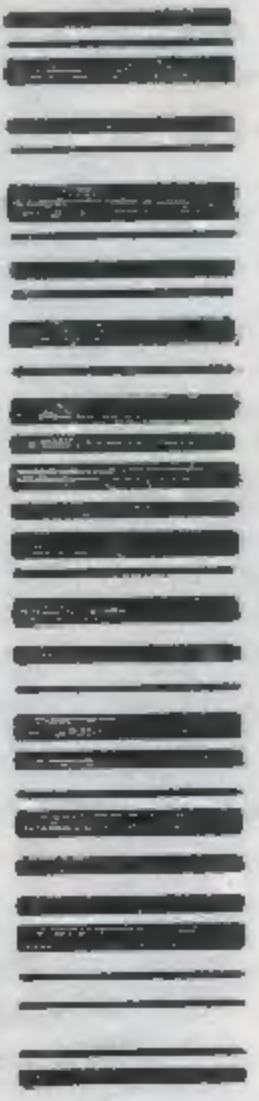
- ٥٤٨ فهير الدين البيهقي؛ تاريخ حكم الاسلام للدكتور جميل صليبا
٥٥٠ كبريم عزقول؛ العقل في الاسلام
٥٥٤ ديوان ابن عنين للأستاذ عارف التكددي
٥٥٧ كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسنة
٥٦٠ الجهاد السياسي
٥٦١ محاضرات نقابة انعامين
٥٦١ عصر السريان الذهبي للأستاذ محمد كرد علي

آراء وأنباء

- ٥٦٤ رد على تنبيه للأستاذ أحمد رضا
٥٦٦ التنبيه والتوجيه (٢) للدكتور مصطفى جواد
٥٧٢ الفهرس العام
٥٧٥ فهرس الأعلام



Bibliotheca Alexandrina



0652759